تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٩ - ذو الحجة ١٣٩٩

المختار

من ريدرز دايجست

دمشق في البال ١٩
الرياضة: السلاح الاقوى ضد السمنة ٢٣
اهرام المكسيك: رموز حضارة شامخة ٢٩
اللحن الخالد ٣٤
مونيه الفنان المضيء ٣٨
الزواج السعيد والنعيم الجنسي ٤٧
جولة صينية في عشرة مشاهد ٥١
كلنا معرضون للاصابة بالقرحة ٥٩
لورنس اوليفييه سيد المسرح والشاشة ٦٤
احجية القطار ٧١
شبح الجبل المتفجّر ٧٣
الكلمات الاخيرة ٧٨
كل افريقيا في داخلنا ٨٢
حمّى الديسكو ٨٩
صانع المانيا الحديثة ٩٣
جراحة الدماغ ٩٩
المطعم الطائر ١٠٩
اقوى من الدب ١١٧
العيش بذراع واحدة ٥
من نصدّق المنجمين ام العلماء ١٣

كتاب الشهر السفينة التي اصطادت نفسها ١٢٤

الضحك خير دواء ٣ - اكتب واربح ١١ - حديقة افكار ٢٨
دائرة المعارف ٤٥ - حكايات من العالم ٦٣ - اصداء من عالم الطب ١١٤

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٤٥٠ق - سورية ٦٠٠ق - الاردن ٥٠٠ف - الكويت ٥٥ف - الامارات العربية المتحدة ٦د - قطر ٦ر - البحرين ٦٠٠ف - السعودية ٦ر - مصر ٥٠٠ - السودان ٥٠٠م - ليبيا ٦٥٠د - اليمن الجنوبية ٦ر - مسقط ٦ر - العراق ٦٠٠ف - تونس ٧٠٠م - المغرب ٣د - الجزائر ٧د - فرنسا ٧ف - انكلترا ٧٥ب - اليونان ١٠٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢د٠

مُسجل الكاسيت جي ڤي سي المتناسب مع الأشرطة المعدَنية يفتح الطريق أمَام الجوَدة في التسجيل

الشريط المسمى "شريط معدني"، الذي ابتدعه صانعو الاشرطة، هو ثورة صغيرة في عالم التسجيل.

فهو يستوعب معلومات تفوق باربع مرات ما يسجل على شريط "كروم" مما يؤدي الى تسجيلات افضل واعادة اوضح.

وهو، بكلمة واحدة، افضل ما انتج للتسجيل على الكاسيت. والمسجل JVC KD-A8 المجهز برؤوس التسجيل "SA" المتناسب مع الاشرطة المعدنية والذي يحتوي على دماغ الكتروني صغير هو بدون شك أفضل المسجلات لاستعمال الاشرطة المعدنية للتسجيل والاعادة.

نحن نعرف. نحن JVC، الشركة المجددة في عالم التسجيل والفيديو الالكتروني ولنا ٥٢ سنة من الخبرة.

استمعوا الينا، انظروا الى اجهزتنا - بتأني - عند أقرب موزع JVC

JVC جي ڤي سي

بين السطور

عزيزي القارئ

منذ صدور العدد الأول من "المختار" الجديد في كانون الاول الماضي ورسائل القراء تتدفق على قلم التحرير بالمئات حاملة النكات والاقوال المأثورة والتجارب الشخصية، فضلا عن المقالات والاقتراحات.

وقد حرصت ادارة المجلة على تسريع عملية فرز الرسائل وتصنيف المواد التي تنطبق عليها شروط "اكتب واربح"، الا ان تجاهل عدد كبير من القراء لهذه الشروط، على رغم تكرارها وتخصيص صفحة لها لاكثر من ثلاثة اشهر، تسبب في تأخير عملية الفرز والتصنيف تمهيدا لاختيار المناسب والنظر فيه. فمن شروط المسابقة مثلا ان ترسل مواد كل باب على ورقة خاصة وبخط واضح، ترافقها المراجع التي نقلت عنها. وغالبية القراء التفتت الى التعويض المالي اكثر من التفاتها الى شروط المسابقة، فحدث ان ما وصلنا كان في معظمه متداخل الابواب والمواد ومن دون مراجع.

ووضعا للامور في نصابها، نود ان نوضح ان الهدف من فتح باب "اكتب واربح" كان تشجيع القراء على المطالعة، خصوصا الكتب، ونقل المفيد منها وتعميمه على قراء "المختار" وبقية الطبعات الدولية لدى "ريدرز دايجست"، مما يعطي اللغة العربية، بعدا عالميا، اضافة الى اشتراك القراء في تحرير بعض الابواب وبالتالي تعميم تجاربهم في الحياة علها تفيد امثالهم وتسليهم.

ان ادارة "المختار"، اذ تعتز بالثقة التي وضعها القراء في المجلة، تكرر رجاءها الى هؤلاء ان يتقيدوا بشروط المسابقة. وسيتلقى القراء الذين كتبوا الينا رسائل ايضاحية. فعذرا وشكرا.

رئيس التحرير

الضحك خير دواء

فراسة الأم

كانت الامهات الثلاث يتفاخرن باطفالهن ذوي الاعوام الثمانية، فقالت الاولى: "اعرف ان صغيري جوني سيصير مهندسا، فما ان اشتري له لعبة حتى يفككها ليعرف ما الذي يجعلها تعمل".

وقالت الثانية: "انا فخورة بابني فريدي، واعرف انه سيغدو محاميا بارعا لانه يقضي الوقت كله في الجدل مع الاطفال".

اما الأم الثالثة فقالت: "لا شك في ان قدر هارولد الصغير ان يكون طبيبا، اذ متى ناديته تملص من المجيء".

أ.س.ت.

ضرورة الزواج

يحتاج كل رجل الى زوجة. اذ انه، عاجلا أم آجلا، لا بد من ان يقع خطأ لا يستطيع القاء اللوم فيه على الحكومة.

ك.م.

القبعة

كان الطفل وجدّته المصابة بالخرف يتنزهان في محاذاة الساحل حين فاجأتهما موجة هائلة وجرفت الطفل نحو البحر. وركعت الجدة المذعورة على ركبتيها ورفعت بصرها نحو السماء متوسلة الى الله ان يعيد اليها حفيدها الحبيب. وحلت المعجزة، اذ كرّت موجة اخرى والقت الطفل غائبا عن الوعي على الرمال امام جدته. وتفحصت الجدة الطفل بعناية، ولم يكن اصابه اي اذى. لكن الجدة تطلعت الى السماء غاضبة ودمدمت: "حين جئنا كان الطفل يعتمر قبعة".

و.د.

ثقة الوالدين

سَمع طالب يقول لزميله في الجامعة: "لن اعتمد بعد على والديّ. فقد طلبت منهما ان يرسلا الي ٦٠٠ دولار لشراء موسوعة، فارسلا الموسوعة نفسها".

ب.ي.

لا يحيي الموتى

بعد عاصفة رعد قوية، وجدنا احد جيادنا ميتاً بسبب صاعقة على الاغلب. وكان علينا الحصول على تأييد لصحة سبب الوفاة هذا من طبيب بيطري لكي نستحق مبلغ التأمين. وحين اتصلنا بالطبيب هاتفياً، ردّت علينا مساعدته، وهي شابة مرحة. فأبلغتها ان لدينا جواداً ميتاً ونرجو ان يأتي الطبيب للكشف عليه.

وبعد صمت اجابت: "اعرف ان الطبيب بارع، لكنه لا يحيي الموتى".

د.س.

المختار
من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

المستشار الثقافي : مؤنس طه حسين.
رئيس التحرير : ادمون صعب.
رئيس التحرير المعاون : اديب صعب.
مدير التحرير : فؤاد غطاس كرم.
امانة التحرير : رينا نداف.
الاخراج : اروى سيف الدين.

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس.

الناشر :
شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية.

المؤسسون: غسان تويني، توفيق ابو خاطر، عثمان عائدي، لوسيان دحداح.

الخدمات الصحافية:
شركة الدراسات والمنشورات الدولية S.E.P.I.

الادارة والتحرير والاشتراكات:

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE
Tel. 7204542 7237422 Telex 612687 F

الاعلانات :
شركة تمام TAMAM
28, Rue de Berri, 75008 Paris, FRANCE

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات.

الصف والتنفيذ:
شركة المطبوعات العربية - باريس.

الطباعة:
بوليغرافيتشي اديتوريالي - بولونيا - ايطاليا.

الخط: محمد ماجد.

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست"
المدير العام: جون أ. اوهارا.
مدير التحرير: آلان دوليرو.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنرويجية والدانماركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانيه والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية اضافة الى العربية.

حقوق النشر محفوظة لـ"المختار من ريدرز دايجست" بموجب اتفاق خاص مع شركة "ريدرز دايجست" في نيويورك، الولايات المتحدة. يحظر النقل من "المختار" او الترجمة او الاقتباس منه في اي شكل كان، جزئيا او كليا، في العربية او في اي لغة اخرى. وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة الى كل الدول العربية والافريقية، وقد اتخذت كل اجراءات التسجيل والحماية في العالم العربي والخارج بموجب الاتفاقات الدولية المعقودة لحماية الحقوق الفنية والادبية.

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.
N° DE LA COMMISSION PARITAIRE 3398RL

الغلاف: نسيج دوار الشمس (سانت مارتن)

AL MUKHTAR *min* Reader's Digest
November 1979 (New Series). Vol. 1 N° 12

©1979 BY AN NAHAR PI. S.A., LICENSEE OF THE READER'S DIGEST ASSN., INC.

POLIGRAFICI EDITORIALE SPA

PRINTED IN ITALY

كليرول
هربل إسّنس
شامپُو
الطبيعة
وحدها
تلائم
شعركِ.
كليرول هربل إستنس شامپو
كليرول شامپو بالأعشاب ، أجمل
ما أختبر من شامپو في العالم.
كليرول شامپو الاخضر الرقيق هو
مزيج من اريج ١٩ عشبة طبيعية
وزهرة برّية.
ان تركيبة كليرول شامپو الخالية
من القلويّات تضفي على شعرك
بريقًا وحيويّة ونضارة طبيعيّة
ودائما زكيّة كرائحة الازهار
المنتشية في أوّل أيّام الربيع.
clairol®
herbal
essence
shampoo
with natural protein
for dry hair
to gently
and effectively clean
dry or delicate hair
7 FL.OZ.

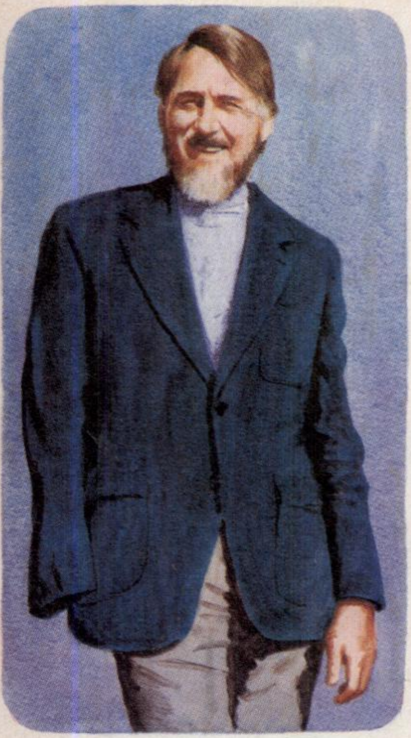

سقطت طائرة هليكوبتر في ٢٢ مارس (اذار) ١٩٦٨ على احد ارصفة النفط في مضيق "باس" على الساحل الاوسترالي، كان من ضحاياها جول زانيتي الذي فقد ذراعه اليمنى. وكان جول قد توجَّه الى ذلك المكان في جولة استكشافية مع فريق من الصحافيين. وكان من المقرر ان تعود بهم الهليكوبتر الى "سيل" في فيكتوريا، لكنها تحطمت وقتل اربعة صحافيين وشوّه اثنان، أحدهما جول زانيتي.

وفي ما يأتي حديث لهذا الصحافي، يروي بشجاعة لا تخلو من روح الفكاهة كيف يواجه تحديات الحياة اليومية.

العَيش بذراع واحدة

منذ نحو عامين وثمانية أشهر، رأيت حلما غريبا: كنت واقفا في الشارع مع صديق نتجاذب اطراف الحديث. واذا بي امدّ النظر الى ما وراء صديقي، فأرى صورتي منعكسة على واجهة احد المتاجر: كنت ارتدي بذلة دكناء وأحمل حقيبتي الصغيرة في يدي اليسرى. وكانت ذراعي اليمنى تتدلى الى جانبي وقد بدا كمّ سترتي خاليا ابتداء من مفصل المرفق. وعندما استيقظت تملكتني نشوة غامرة. فقد انقضت ثمانية أعوام منذ أن فقدت ذراعي، وكنت اراني في المنام بكلتا ذراعيّ طوال ذلك الوقت. اما وقد ابصرت ذلك الحلم، فقد أصبح وعيي الباطني يتقبل الواقع المحسوس. وكان ذلك الحلم الاول الذي ارى فيه نفسي كما اراني في واقع الحياة اليومية.

ذلك ان تقبُّل العجز المفاجىء

الدائم اسهل الى حد بعيد في حياتنا الواعية منه خلال النوم، او بالاحرى كما تبدّى لي ذلك من خلال اختباري الشخصي. وقد يطول الامر بالمرء قبل ان يوطّن نفسه على فقد احد اطرافه فقداً نهائياً. فالوعي الباطني يأبى التسليم بأن رسغا جديدة او يدا جديدة لن تنمو من موضع البتر. وفي الصباح، عندما ينظر المرء الى صورته في مرآة الحمام، يواجهه جسد عار يعوزه التناغم والانسجام، فتعتريه الدهشة لحظة لا يلبث ان يعقبها الادراك، فيقول معترفا: بلى، هذه صورتي، وليس لي سوى ذراع واحدة.

ولئن كان من الصعب لوعيي الباطني ان يتقبل حقيقتي البيّنة، فلكم يصعب الامر على سائر البشر، اولئك الذين يقابلونني وعلى وجوههم مزيج من الفضول والشفقة والحرج والرعب لدى نظرتهم للمرة الاولى الى كمّي الخالي.

حنين الى البيانو – وعندما ذهبت بصحبة زوجتي الى أول مناسبة اجتماعية بعد الحادث، حياني المضيف، وكان طيارا سابقا، بحفاوة وجذل قائلا: "اذاً، أنت تطير بجناح واحد؟" وراقني مرحه، فأجبته: "يكفيني ان يكون جهاز الهبوط سليما والخزّان مليئا بالوقود".

وكانت ذراعي في ذلك الحين ملفوفة بضمادات ضخمة، فقال أحد الضيوف بعد ان اختلس بضع نظرات: "عفوا... لقد تبادر الى ذهني... كنت اتساءل في أي موضع على وجه التحديد؟" وأشرت بيدي اليسرى في حركة تمثل البتر الى نقطة تبعد مقدار ١٢ سنتيمترا عن مرفقي الايمن، وقلت: "هنا تقريبا". وبدا عليه الارتياح لانه تلقى اجابة عن سؤاله المغيظ دونما حرج من جانبي.

وسألت احدى المدعوات: "هل تؤلمك كثيرا؟" فأكدت لها انها تؤلمني أشد ما يكون الالم. وانني، فوق ما اعانيه من وهم آلامي الممضة، لا اخلو من وقوعي عرضة لمصيبة اخف، هي وهم تلهفي الى الاكل، فاتلافاه بهرش جلدي في الهواء الطلق في الموضع الذي كانت فيه يدي اليمنى بالذات.

وسألني ضيف آخر عما افتقد من أشياء، فأجبت بأول ما تبادر الى ذهني: "ان ما افتقده اشد الافتقاد هو العزف على البيانو".

وساد الصمت لحظة قال بعدها بنبرة كئيبة: "وهل كنت تعزف قبل الحادث؟"

فأجبت: "كلا، لكن العزف قد أصبح الان امرا مستحيلا".

ان الحياة بذراع واحدة تخلو، بكل تأكيد، من المشكلات. غير ان هذه المشكلات ليست الصدمات النفسية العنيفة كما يتوهم معظم الناس. وانما مثلا، لا استطيع ان اقص اظافري او ازرّر كمّ قميصي الايسر او اقلب ذلك الكمّ. اما باستثناء ذلك، فليس هناك مشكلات مستعصية بمقدار ما هناك مشكلات عسيرة مثيرة للشعور بالاحباط.

فاذا كنت أيمن واردت ان تعرف ما اعني، فحاول ان تفعل الآتي بيدك اليسرى:

ثبت مجموعة من الاوراق بمشبك من مشابك الورق. اربط حذاءك او حزام البيجاما. شغّل مفتاح العلب،

حاول ان تقرأ في القطار جريدة كبيرة الصفحات. دوّن بعض التفاصيل في الصفحات الاخيرة الملحقة بدفتر الشيكات.

الزوجة الحاذقة - اما في ما يخصني، فقد ادركت للمرة الاولى ان حياتي في المنزل لن تكون بعد الان كما كانت في الماضي، وذلك عندما طلبت اليّ زوجتي ان اعلق صورة على الجدار. فكان ان وضعت الصورة في المكان المعيَّن من الجدار، وهممت بتناول المطرقة. وعندئذ واجهت الحقيقة، فناديت زوجتي: "يا مارغريت، عليك ان تمسكي بالمسمار بينما أدق بالمطرقة". ولما كانت زوجتي امرأة عملية، فقد ردّت بقولها: "عليك ان تمسك انت بالمسمار، وسأمسك انا بالمطرقة".

ومنذ ذلك الحادث صارت زوجتي تتكفل دائما بالمطرقة، اضافة الى انها اصبحت حاذقة في اصلاح الصمامات الكهربائية وأنابيب المغاسل.

ومن النتائج التي تترتب على فقدان احدى الذراعين ان بعض الالعاب الرياضية والهوايات تصبح صعبة، ان لم نقل مستحيلة. وقد اهتديت الى طريقة للعب البلياردو والبولة بالكلاّب الاصطناعي الذي حلّ محل ذراعي، وان كنت افتقد فعلا تلك اللمسة الناعمة التي طالما عادت عليّ بالمكاسب الصغيرة. اما في ما يتعلق بكرة المضرب، فانني لا ازال اتمرن على اتقان قذف الكرة في الهواء واستهلال اللعبة، وذلك كله بيد واحدة وفي حركة واحدة.

على ان صيد السمك بالسنَّارة مشكلة أخرى حقيقية. فمن الممكن الاعتماد على يد واحدة لوضع الطعم في السنَّارة. كما ان اقتناص السمكة ليس الان اصعب مما كان في اي وقت مضى. لكن المشكلة الحقيقية تكمن في شد خيط السنَّارة، لانه يتطلب استخدام اليدين كليهما. ومع ذلك فقد اهتديت الى حل بسيط لهذه المشكلة، هو الآتي: فور قنص السمكة ابدأ الركض نحو الكثبان الرملية، ولعل ذلك ساعدني على تحسين لياقتي البدنية. ولكن يبقى السؤال هل حاولت ان تنتزع بيد واحدة من كلاّب السنَّارة سمكة ملساء تتلوى وتخبط سعيا الى الافلات؟

ولما كنت من عشاق لعب الورق، فأكثر ما يضايقني عجزي عندما العب البوكر على نحو خشن مع بعض الاصدقاء. ذلك أن وضع الورق في الحجر تحت المائدة ليس امرا مستحبا، فلا بدّ اذاً من الاستعاضة عنه باللعب الماكر فوق المائدة، خصوصا في ما يتعلق بخلط ورق اللعب وتوزيعه. وأنا مضطر بالطبع الى التنازل عن دوري في هذا الصدد.

لكنني اتساءل في بعض الاحيان ما اذا كانت استهانتي بفقدان ذراعي اليمنى ليست الا وليدة الظروف، وما اذا كان موقفي تغير بالضرورة لو اختلفت ظروف الحادث. انني ما ان تحققت من نجاتي حتى اخذت اغبط نفسي وأردد: "يا لك من فتى سعيد الحظ يا زانيتي". ولم يتغير شعوري هذا منذ تلك اللحظة.

وفي الاسابيع والاشهر التي تلت الحادث، وجدت نفسي مغمورا بعطف شامل من الذين اشرفوا على علاجي

أجهـــزة بـــايونـــير الموســـيقيّـــة

ان شركة بايونير تعمل وتجتهد لتسهل لك الاستمتاع بالموسيقى التي تحبها • وصحيح ان اجهزتنا الموسيقية على درجة عالية من التقدم التقني، لكنها ليست من التعقيد بحيث تحتاج الى ترخيص لتشغيلها • ونحن لا نقدم اليك جهازا او جهازين فقط، بل نقدم اليك عشرة مبتكرات موسيقية رائعة لتختار منها ما يفي بمتطلباتك السماعية ويتناسب مع ميزانيتك • وبالاضافة الى اجهزتنا السابقة المتعددة الاختيارات (ثلاثة اختيارات في جهاز واحد)، لدينا الان اجهزة تشتمل على اختيارين: جهاز للاستقبال ومسجل للكاسيت •

فهناك اذاً سهولة في التشغيل وموارد القوة اللازمة للاخراج الموسيقي الجيد • واذا كنت لا تصدق اذنيك ففي استطاعتك ان تتأكد من قراءة البيانات على لوحة المعلومات •

■ البحرين: الكترونيات غاجريا • امام فندق ديلمون، وخلف مصرف "نيو تشارترد بنك"، الهاتف: البحرين ٥٣٤٥٣ ■ قبرص: ك•هـ• بابازيان ليمتد• ٤٤٠ شارع ليدرا ستريت، نيقوسيا، الهاتف: قبرص ٦٣٧٩٥ ■ ايران: باساند كومباني ليمتد• جادة نادري، ممر فرغاني، رقم ٦، طهران - ايران، الهاتف ٣٧٦٤٠٢ ■ الاردن: شركة الاردن لقطع السيارات، صندوق البريد ٤٨١، عمان، الاردن، الهاتف: ٣١١٣ ■ الكويت: غاجريا (شركة حساوي وغاجريا)، امام مكتب

البريد، شارع فهد السالم، الكويت، الهاتف: ٤٣٤١٢٥
■ لبنان: ابناء جورج حداد وشركاهم• مبنى سينما امبير،
صندوق البريد ٤٦٨٠، بيروت - لبنان، الهاتف: ٢٤٦٠٨٦/
٩٣٤٧٨٧ ■ مسقط - عمان: محسن حيدر درويش، صندوق
البريد ٣٨٨، روى - سلطنة عمان، الهاتف: ٧٠١٧٧٧
■ قطر: أحمد العثمان واخوته، صندوق البريد ٤١٨، الدوحة
- قطر، الهاتف: ٢٣٥٠٧ ■ المملكة العربية السعودية:
أحمد علي بادوغايس، شارع الملك خالد، الخبر، الهاتف

المنوّعـــة : إخـــتر واستمتـــع !

واننا نقدم اليك ايضا جهاز التسجيل المشهور المتعدد الاساليب والذي يتضمن "معينة" للنغم، فضلا عن التسهيلات الخاصة بالتسجيل بلمسة واحدة، والاسترجاع الاوتوماتيكي على جهاز "دولبي" (★) لتنقية التسجيل من الضوضاء والاستماع الى الشريط بعد تسجيله مباشرة. وهناك لهواة الاسطوانات قرص دوار مكتمل الحجم يدفع بالحزام ومزود بتسهيلات رجوع الذراع والتوقف الاوتوماتيكي. أما في ما يتعلق بالتضخيم، فهناك مكبران بديعان من طراز بايونير، يمنحان الصوت العظيم: اداء اكبر.

كثيرة هي اجهزة بايونير. فما اسهل ان تختار منها وما ايسر ان تستخدمها وتستمتع بها. ان الصعوبة الوحيدة هي التوقف عن الاستماع اليها. فحاول ان تزورنا اليوم لتشاهد وتسمع بنفسك. ولا بد ان لدينا جهازا موسيقيا يناسبك تماما.

PIONEER® بايونير

"تتفاوت السمات وفقاً للطراز والسعر"

٤١١١٥ (قاعة العرض الشمالية)، الهاتف ٤٦٧٨٦ (قاعة العرض الجنوبية)، صندوق البريد ٨١٥، جدة، الهاتف: ٢٥٩١٤، صندوق البريد ١١٣٥ الرياض، شارع الملك عبد العزيز، الهاتف ٢٦٨٤٧ ■ سوريا: اسعد وتار، صندوق البريد ٥٩٠، دمشق - سوريا، الهاتف: ٢٢٤٥٢١

■ الامارات العربية المتحدة: الوكالات التجارية الشرقية، مبنى البنك العربي، امام مكتب البريد، صندوق البريد ٤٥ - دبي، الهاتف: ٢٣٧٠٩، اليكترونات باتغو. خلف بنك القاهرة وامام السوق القديمة صندوق البريد ٣٥٧٤/ ابو ظبي، الهاتف/ ٢٥٢٧٢

★ "دولبي" علامة تجارية لمختبرات دولبي.

في المستشفى ومن اعضاء اسرتي والاصدقاء وحتى من قراء الباب اليومي الذي اكتبه في الصحيفة. اضف الى ذلك ان مارغريت أبدت لي من العون والتفهم ما كان يعزز معنوياتي باستمرار.

هل رأيتم ذراعي؟ – ولقد كان في امكاني ان اتخذ لي يدا يمنى جديدة، ولكن لم يرقني ان تكون لي يد اصطناعية مكسوة بطبقة من البلاستيك الذي يتشابه لونه تماما مع لون بشرتي. وبدا لي ان مصافحة الناس بمثل تلك اليد لا بد من ان يكون لها وقع غريب مفاجىء.

وآثرت ان اصافح الناس بيدي اليسرى، واستخدم كلاّبا معدنيا بفكَّين مشدودا الى كتفي عبر الظهر. فاكتفي بثني عضلات كتفي لفتح فكَّي الكلاّب واغلاقهما كأنني اشدّ سلكا، تماما كما يحدث في حال فرملة الدرّاجة. لكنني لا أجد قيمة كبيرة لهذا الجهاز الآلي في عملي الصحافي، وكثيرا ما استغني عنه. الا انني استخدم الكلاّب في الطباعة على الآلة الكاتبة عن طريق اللمس بيدي اليسرى والنقر من الناحية اليمنى على قطعة من المطاط موصولة بالكلاّب.

وللكلاّب فائدته لديّ عند تناول الطعام. فهو يمكنني من أن امسك بالملعقة فلا تهتز، وان اقطع اللحم من دون صعوبة. واستطيع كذلك ان امسك بالقدح، ولو ان الاقداح المستطيلة المستوية تتعرض احيانا للانزلاق وتتحطم على الارض. اضف الى ذلك ان الكلاّب مفيد في ربط الحذاء وفي استخراج الفأر الميت من المصيدة وفي فتح الرسائل.

وقد حدث ذات صباح انني نسيت فقرصت مؤخر زوجتي بكلاّبي لدى خروجها من الحمام. وما ان اطبق الكلاّب فكَّيه حتى قفزت بعصبية وارتعاب. فقررت منذ تلك اللحظة ان استبعد الكلاّب عن مجال الغزل.

ومن السهل على المرء ان ينسى اين وضع الكلاّب. فقد حدث ذات مرة انني كنت شارد الذهن عندما تركت كلاّبي في خزانة الملفَّات، ولم اهتد اليه الا بعد بضعة ايام. وما زلت اذكر عبارة طالما رددتها في البيت: "هل رأى احد منكم ذراعي؟"

ترى هل انا انسان مختلف عن الآخرين لانني فقدت ذراعي؟ انني، في الواقع، لا اعلم كيف ينظر اليّ الآخرون. لكن الحلم الذي رأيته منذ عامين وثمانية أشهر لا يزال عالقا في ذهني وهو يبعث الطمأنينة في نفسي بانني رجل في اواسط العمر وان لي زوجة واربعة ابناء وسيارة وبيتا لا بدّ من تسديد اقساط ثمنه. ولئن كانت هذه الامور جميعا لا تكوّن صميم وجودي، الا ان فقدان ذراعي ليس هو امراً ينال من صميم كياني.

■ **جول زانيتي**

كل واحد منا مصرف يصدر التسامح، والثقة، واللطف، والمحبة. ولقد ثبت ان هذه العملة غير زائفة، وقليلة التداول.

جيلبرت سسبرون – فرنسا

اكتب واربح

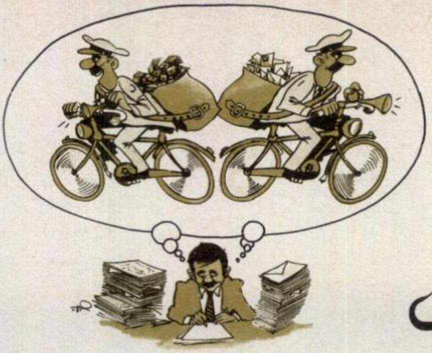

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله: الى "المختار" وهو يدفع لك في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

□ صور من الحياة: ٥٠ دولارا

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي.

□ الضحك خير دواء

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

□ تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين.

□ حديقة افكار

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

□ السدات

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

□ المقالات

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط

○ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.

○ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك - حديقة أفكار...).

○ في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.

○ ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة أفكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.

○ تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر أجنبية.

○ لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
S.E.P.I.
37, Avenue George V
75008 Paris, France

JOHN DEERE ذو الحركة الدائمة
JD855 ترتقي بقيادة محركات الموازنة المائية
(الهيدروستاتية) الى قوة ٢٠٠ حصان

ان تصميم JD855 من حيث الجوهر هو بعينه التصميم الهيدروستاتي لـ JD755 التي اثبتت جدارتها لمدة تزيد على السنتين. غير ان اجزاء JD855 اكبر حجما. وما دام التصميم واحدا، فستحصل على المزايا المعهودة نفسها. فمحولات القوة واحزمة موازنة الدوران والتحكم التلقائي بالسرعة والمقود والكابح الهيدروستاتيان، جميعها عوامل تساعدك على اداء عمل اكبر في وقت اقل.

وبفضل الهيكل السفلي المحكم الاغلاق والحزام الدائر حول سبع اسطوانات والموجهات الامامية والخلفية للحزام وصيانة العجلات المسننة والالواح المزدوجة للسيطرة على الكابح، اصبح لـ JD855 قاعدة راسخة تنطلق منها.

وتتميز JD855 ايضا بجهاز سيطرة للتحميل ذي رافعة مفردة، وبماكنة ذات شحن توربيني وتبريد دوري بين العمليات ونقاط خدمة ملائمة وصيانة تامة من التلف. فاذا اضفت حجم الوعاء الذي تختار (٢،١ متر مكعب او ٢،٥ متر مكعب، اي ما يعادل ٢،٧٥ او ٣،٢٥ ياردة مكعبة) الى رافعة او كسارة، فستحصل على JD855 متلائمة مع طبيعة عملك.

اتصل بوكيل جون دير الاقرب اليك اليوم للحصول على مزيد من المعلومات حول JD855 انها شبيهة بـ JD755 وقد انعكست جدارتها على انتاجك.

جون دير انتركونتيننتال ليمتد ش.م.
بولفار وولويه ٣٤، ص.ب ٤، ١٢٠٠
بروكسل، بلجيكا.

موزعون في مصر، الاردن، الكويت، المملكة العربية السعودية، السودان، الامارات العربية المتحدة.

JOHN DEERE ذو الحركة الدائمة

العلماء يحذروننا من الوقوع في اغراء الاطباق الطائرة وسواها من الظاهرات· المعاصرة، لأن اعاجيب الكون الحقيقية تفوق في اعجازها وإثارتها كل هذه الترهات

مَنْ نصَدّق المنجّمين أم العلماء؟

في القرن الثاني للميلاد كان في اليونان رجل وسيم ماكر ماهر يدعى اسكندر الابونوتيخي (نسبة الى بلدة ابونوتيخوس)،وكان دجّالا محتالا عديم الضمير· ومن اشهر حيله انه اندفع ذات يوم الى ساحة السوق المزدحمة في المدينة وتنبأ بظهور إله جديد، ثم انطلق باقصى السرعة الى المكان الذي يبنى عليه معبد جديد فتدفقت وراءه حشود الناس· وكان المحتال قد خبأ في ذلك المكان بيضة إوزة افرغها ثم احكم اغلاقها على فرخ ثعبان حديث الولادة· وتظاهر اسكندر باكتشاف البيضة، ففتحها وأعلن للجماهير ان ذلك الثعبان الصغير هو بعينه الأله الذي تنبأ لهم بمجيئه·

ثم اعتكف المحتال الكبير في بيته بضعة أيام، سمح بعدها للحشود الملهوفة بالقدوم اليه، فرأوه وقد التفت حول جسده افعى ضخمة، كانت في الحقيقة من فصيلة وديعة اليفة ملائمة، وقد لف رأسها بقناع من القماش يحمل ملامح البشر· وكانت الغرفة التي يجلس فيها معتمة، وقد حال ازدحام القادمين دون بقاء اي منهم فترة كافية تتيح اي محاولة للتدقيق في الأفعى· ومن ثم انعقد

CONDENSED FROM "BROCA'S BRAIN" COPYRIGHT © 1978 BY CARL SAGAN
PUBLISHED BY RANDOM HOUSE INC. NEW YORK N.Y.

الرأي على ان اسكندر قد جاء حقا وصدقاً بإله جديد٠

وأعلن اسكندر بعدئذ ان الاله الجديد مستعد للاجابة عن اي سؤال مكتوب يسلم إليه - اي الى اسكندر - في غلاف مغلق٠ وكان اسكندر ينفرد بنفسه ويقرأ كل سؤال، ويعيد اغلاق الغلاف ثم يرفق به رداً نبوئياً منسوباً الى الآله المزعوم٠ وتقاطر الناس من كل حدب وصوب ليشهدوا هذه الأعجوبة٠ وكانت النتيجة كما هو منتظر: إيراد هائل لاسكندر يعادل مئات عدة من آلاف الدولارات في العام، وشهرة لم يبلغها سوى قلائل في زمنه٠

ربما ابتسمنا الآن لقصة اسكندر صانع المعجزات والنبوءات، لأن مثل تلك الحيلة لا يمكن ان تنطلي علينا في هذا العصر٠ ولكن هل نحن في مأمن من ذلك حقا؟ لقد كان الدجالون في عصر اسكندر يستغلون سذاجة الجمهور واستثمار عقائده الدينية، في اغلب الاحيان٠ وبعض هذا الامر ما زال يحدث في ايامنا الحاضرة٠ ولكن السنوات المئة الاخيرة شهدت بروز العلم باعتباره الوسيلة الأولى لكشف اسرار الكون، فلا غرو ان توقعنا لكثير من محاولات الخداع المعاصرة ان تتنكر في ثوب العلم، وهو ما يحدث بالفعل٠

فالادعاءات في هذه الأيام تقف على حافة العلم، وتتخذ شكل التأكيد الذي يثير اهتمام عامة الناس، بل ومن الممكن في حالات كثيرة ان تغدو ذات اهمية علمية كبرى، وهي ادعاءات تخرج عن حيز المألوف وتتجاوز الاطار العادي وتنطوي غالبا على الزعم بان لدينا قوى هائلة غير مستغلة مثلا، او بأن هناك قوى غير مرئية على وشك ان تنقذنا من انفسنا، او ان تبيدنا٠

نعم، ان العلم يتقدم في بعض الأحيان بمثل هذه المزاعم، فيقول ان البيانات الوراثية تنتقل من جيل الى جيل مرمزة في جزيء واحد، هو جزيء "DNA"، اي جزيء حامض الـ"ديوكسيريبونكليك"، او يعلن اكتشاف انجراف القارات او استغلال الطاقة النووية٠ فاذا ما تقدم البعض بمزاعم اخرى - كالقول مثلا بأن من الممكن للانسان ان يطفو في الهواء من دون مساعدة بمجرد عامل الارادة فحسب - فما هو وجه الاختلاف؟

لا شيء٠٠٠ سوى قضية الاثبات بالبرهان٠ لقد تكررت مزاعم الطفو في الهواء على مدى السنوات المئة الماضية، وانما لم يحدث أبداً ان التقطت صور فوتوغرافية لأناس يطفون على ارتفاع خمسة امتار في الهواء في ظروف تستبعد كل احتمالات الخداع والاحتيال٠

المنطق البسيط الواضح - ولنأخذ مثالا آخر هو ذلك الشيء الذي يسمى الانفصال عن الجسد لكشف الاحتمالات المستقبلية٠ فهناك كثرة من الناس الذين مروا بحالات الوجد الديني او النوم المغناطيسي - أو تأثروا بأحد العقاقير التي تحدث الهلوسة - يقولون انهم قد احسوا احساسا واضحا بأنهم خرجوا من اجسامهم وطاروا بلا ادنى جهد الى مكان آخر٠ ولكن الحقيقة الثابتة هي ان الأحساس بالشيء لا يعني ان هذا الشيء قد وقع بالفعل٠ وربما ان هناك خللا شائعا في توصيلات الجهاز العصبي البشري يفضي دائما، في

بعض الظروف الخاصة الى الأحساس الوهمي ذاته بالانفصال عن الجسد. فلم يحدث - في حدود علمي - ان جرى بيان عملي تجريبي للانفصال عن الجسد في ظروف خاضعة للرقابة العلمية وفي حضور مشككين يتلمسون البرهان القاطع.

الأطباق والمثلثات - ولعلّ احدث المزاعم التي تتمسّح خطأ بالعلم وأكثرها انتشارا بين عامة الناس هي تلك التي تتصل برواد الفضاء القدامى، و"مثلث برمودا"، والأطباق الطائرة. ويؤكد انصار الزعم القائل بأن رواد الفضاء القدامى قد زاروا الأرض في الزمان السحيق، أن الكثير من الأدلة الأثرية لا يمكن فهمها إلا في ضوء التسليم بأن اسلافنا كانوا على اتصال بالحضارات الكوكبية الأخرى. فأهرامات مصر والعمود الحديد في الهند والمسلاّت الحجرية الضخمة في "ايسترلايلاند"، والاشكال الهندسية في نازكا في البيرو، قد صنعت كلها - في ما يزعمون - إما بأيدي الذين قدموا من الكواكب الأخرى او في اشرافهم. والحقيقة هي ان لكل هذه التخمينات تفسيرا أبسط كثيرا من هذا الزعم واجدر منه بالتصديق... باعتبار انها ثمرة ذكاء الانسان وجهده الشاق.

أما "سر" مثلث برمودا فهو يتعلق بالحوادث الغامضة لاختفاء عدد من السفن والطائرات في المحيط حول جزيرة برمودا! والتفسير المنطقي لحوادث الاختفاء هذه (في حال وقوعها بالفعل، لأن الكثير منها مزعوم ولم يقع ابداً) هو ان السفن والطائرات قد غرقت على اثر اصابتها بعطل ميكانيكي او طبيعي. ولم يستطع انصار الزعم المتعلق بمثلث برمودا ان يقدموا الدليل المقنع الذي يثبت دعواهم، كما هي الحال بالنسبة الى المتحمسين لفكرة رواد الفضاء القدامى.

وتأتي بعد ذلك حكاية الأطباق الطائرة التي يعرفها معظم الناس. فأن رؤية ضوء غريب في السماء لا يعني بالضرورة اننا نتشرف بزيارة مخلوقات آتية من كوكب الزهرة. فقد يكون ذلك الضوء - مثلا - مجرد انعكاس للأنوار الأمامية لأحدى السيارات على بعض السحب، او ضوء كشاف عالي الكثافة صادر عن احدى الطائرات لأغراض تتعلق بالأرصاد الجوية. ومن بين المليون رواية عن رؤية الاطباق الطائرة التي وردت في التقارير منذ عام ١٩٤٧، لا يتضح من اي من هذه الروايات والتقارير ان لقاء واحداً قد تم عن كثب مع اي من هذه الأطباق ويؤيد صحته عدد معقول من الناس بشهادات منفردة يمكن الوثوق بها. ولا يقتصر الأمر هنا على انعدام القرائن الروائية فحسب، بل يتعداه الى انعدام الأدلة المادية انعداما تاما. فلم يحدث ان عثر احد على قطعة صغيرة من سفينة فضائية غريبة عن الأرض... وكم بالحري على السجل اليومي لاحد ربابنة السفن الكوكبية.

الحقيقة الباهرة - يبدو ان الاهتمام بالأطباق الطائرة ورواد الفضاء القدامى يعود - جزئيا على الأقل - الى حاجات دينية غير مشبعة في نفوس الناس. فكثيرا ما تطلق النعوت على اهل الفضاء الذين يزورون الأرض بانهم يتسمون

اخـتر اللـقطة الـتى تـروق لـك .
واضـغـط عـلى الـزر فـقـط !
Polaroid 1000
بولارويد ١٠٠٠
تفعــل
البـاقى .
آلة التصوير التى يرغبها
العالـم أجمـع !
ليس هناك ماتعده ولا شئ
تضبطه .. ماعليك سوى أن توجه
آلة التصوير وتضغط على زر
آلة التصوير الفوري بولارويد ١٠٠٠
الزهيدة الثمن التى ستقدم لك
فورا صور بألوان إس . إكس ٧٠ الزاهية
الخلابة التى تحمض نفسها
تلقائيا أمام عينيك .
ليس هناك أسهل من هذه
الطريقة لتسجيل اللحظات
السعيدة وحفظها على مر السنين .
لاغرابة فى أن العالم كله
يرغب فى إقتناء آلة التصوير
الفوري بولارويد ١٠٠٠ !
إتصل فورا ..
بوكيل بولارويد المعتمد .
Polaroid
ثلاثون عاما
فى طليعة التصوير الفوري

بالحكمة والقوة والطيبة، وينسب اليهم احيانا انهم يرتدون البسة طويلة بيضاء. اي انهم - في اختصار - يمثلونهم بصور الآلهة والملائكة، ولكنهم يأتون من الكواكب الأخرى بدلا من ان يأتوا من السماء مثل الآلهة والملائكة، ويمتطون سفنا فضائية بدلا من ان ينتقلوا بأجنحتهم.

وفي رأيي المتواضع ان اهتمام عامة الناس بالأطباق الطائرة وزوار الفضاء القدامى وما الى ذلك هو - جزئيا على الأقل - امر حسن. غير ان استعدادنا لتقبل الاحتمالات الباهرة التي ينطوي عليها العلم الحديث، ينبغي ان يلطف بمقادر من التشكيك العقلاني السليم، علما بان الاستعداد لتقبل الاحتمالات الجديدة والاستعداد لاثارة الاسئلة المنطقية النفاذة، ضرورتان متلازمتان لتقدم المعرفة.

ولا شك في أن كل ما يخرج عن المألوف جدير بالمتابعة والبحث، ولكن المزاعم التي تخرج عن المألوف تحتاج الى ادلة وبراهين قوية، لا بد ان يلتزم بها التزاما امينا اولئك الذين يتقدمون بهذه المزاعم. وفي الوقت نفسه، فان افضل ترياق ضد سموم العلم الزائف هو - في رأيي - تلك العجائب التي اثبتها العلم نفسه بما لا يقبل الجدل، ومنها على سبيل المثال ما يأتي:

□ في افريقيا نوع من أسماك المياه العذبة اعمى تقريباً. وهو يولد مجالا كهربائيا يتيح له التمييز بين الاسماك التي تفترسه وتلك التي يفترسها هو وتتفاهم الاسماك من هذا النوع في ما بينها بلغة كهربائية محكمة، مما يستلزم نظاماً عضويا وقدرات استشعارية كانت مجهولة تماما قبل عصرنا التكنولوجي الحالي،

□ إن "الكاسارات" (المصادر الفضائية لموجات الراديو والاشعاعات الزرقاء والفوق البنفسجية القوية) هي، في ما يبدو، انفجارات عنيفة في المجرات تدمر ملايين العوالم التي قد يكون الكثير منها مسكونا.

□ ان كل واحدة من خلايا جسمنا تحتوي على عشرات مما يسمى "ميتوكوندريا"، وتعتبر كل "ميتوكوندريون" منها بمثابة مصنع صغير يقوم بعملية التأليف الكيميائي بين طعامنا والأوكسيجين الجزيئي لاستخلاص الطاقة في شكلها المناسب. وتشير احدث الأدلة الى ان "الميتوكوندريا" كانت منذ مليارات السنين كائنات عضوية منعزلة تعيش حرة في مفردها، ثم تطورت ببطء الى ان دخلت في علاقة تبعية متبادلة مع الخلية. ومن ثم، فان الانسان ليس كائنا عضويا واحدا، بل هو مجموعة من قرابة عشرة تريليونات (عشرة آلاف مليار) من الكائنات الحية.

ويمكن المضي في هذه القائمة الى ما لا نهاية. وفي اعتقادي ان هذا النزر اليسير من اكتشافات العلم الحديث ادعى الى الاهتمام والاثارة من معظم النظريات الواهية التي يدعيها العلم الزائف. فالعلم الحقيقي يتناول الامور المعقدة ويسكشف بواطنها بدقة تبعث على الاثراء والاعجاب فضلا عن انه حقيقي وصادق.

■ **كارل ساغان**

مدير مختبر الدراسات الكوكبية
في جامعة كورنيل

موهبة حقيقية

طلب موسيقي شاب من موزار ان يعلمه الخطوات التي يتبعها لتأليف سيمفونية.
فأجاب موزار: "انك لا تزال شابا. فلماذا لا تبدأ بتأليف الرقصات البسيطة؟"
- ألم تؤلف انت سيمفونية حين كان عمرك ١٢ سنة يا سيدي؟
□ بلى، لكني لم اسأل احدا قط عن كيفية تأليفها.

راديو مونت كارلو

RADIO MONTE CARLO

الاذاعة الأكثر شعبيّة والأكثر فعالية في العالم العربي

الاسلوب الأحسن في الأعلام

أهم النشرات (بتوقيت غرينتش)

الساعة: ٤،٠٠ ■ ٥،٠٠ ■ ١٢،٠٠ ■ ١٧،٠٠ ■ ١٩،٣٠

٢٤٤ مترًا - ١٢٣٢ كيلو هرتز

دمشق في البال

إن في تراب الوطن سرا كلما ابتعد الانسان عنه وجد في الذكرى همساً خفياً يشده الى العودة

جاء ابريل (نيسان)، فتفتح الزهر في جنائن الفاكهة حول دمشق، وأمها سكان المدينة ينفضون عنهم قيود الشتاء الطويل ويرحبون بالربيع الآتي و"يشمون الهواء".

كان ذلك في زمن مضى، لكنه كان تقليدا شعبيا رسخ في ذاكرتي منذ الطفولة. تلك الذكريات من الصعب تتبعها، فهي تتراءى لنا غامضة من خلال غشاوة، لكنما في خيال كل صبي تعيش احداث لا تنسى.

أذكر ان السبت كان يوم التنظيف. وكانت الغاسلة تأتي باكرا وتضع على موقد المطبخ خلقيناً ضخماً ملأته ماء من بئر الحديقة. وكانت تترك الغسيل يغلي، ثم تفركه بالصابون وتشطفه بالماء وتعلقه في الخارج. اي فرح كان يتملكنا اذ ننام على تلك الملاءات وفي ملابس النوم النظيفة. نتشمم منها رائحة الشمس.

وبينما انشغلت الغاسلة في المطبخ، كنت وسائر الاولاد ننظف زجاج القناديل ونضع فيها الكاز الذي كنا نشتريه في صفائح، سعة الواحدة منها عشرون ليترا وقد نقش عليها رأس هندي امريكي.

ولا انسى ليالي الصيف اذ نصعد الى سطح البيت. وفي دقائق يجتمع

CONDENSED FROM ARAMCO WORLD MAGAZINE (MARCH APRIL 1979) (C) 1979 BY ARAMCO WORLD MAGAZINE
THE HAGUE NETHERLANDS

الجيران وقد عبروا السطوح، فنغني ونتحادث ونأكل بذور البطيخ واليقطين المحمصة.

نعمة الايمان ـ في احدى الليالي شبت النار في كاتدرائية الروم الارثوذكس المجاورة. وكان منظر الدخان واللهب رهيبا. ولا تغيب عني صورة ذلك الراكع تحت السماء رافعا يديه في صلاة: البطريرك، يبتهل الى اللهلكي ينزّل رحمته. ولم تلبث النار ان خمدت. وبقي منطبعاً في ذهني ان البطريرك كان على قناعة تامة بأن ارادة الله قضت بأن تسلم الكاتدرائية، فيتلاقى ايمانه بايمان المسلم القائل بأن الله يفعل ما يشاء، متى يشاء ولمن يشاء

وقبيل نشوب الحرب العالمية الاولى - وكانت السلطنة العثمانية على وشك التحالف مع المانيا - وضع العدو يده على مدرسة الارسالية الايرلندية حيث كنت ادرس. فأرسلت الى المدرسة الارثوذكسية حيث تعلمت الفرنسية، لغة "العدو" التي يحرمها الاتراك. وكان من المثير حقا تعلم لغة جديدة.

وذات يوم جاءنا ان المفتشين الاتراك في طريقهم الى المدرسة، فأمرتنا المعلمة نايلة بالقاء كتبنا الفرنسية في الموقد. والتهمت النار صفحاتها، وامضينا ما تبقى من السنة من دون كتب.

درس لا ينسى ـ وتلمست في الحرب صدق الاخوة. كان الخبز آنذاك نادرا نتيجة للحصار البريطاني وتدفق اللاجئين. وفي احد ايام الخريف حمل ابي الينا مؤونة شهرين من الطحين، وسمعته يخبر امي انها حصتنا الاخيرة. وما زال صدى كلماته يتردد في اذني: "سوف نأكل هذا الطحين، ولن يبخل الله علينا بنعمته".

وبعد ايام قليلة جاءت ابنة الجيران تطلب اثني عشر رغيفا. فأسرعت الى امي اخبرها وفي صوتي صدى انزعاج. لكنها امرتني بأن اعطي الفتاة ما تشاء. وكنت يومها في التاسعة.

ولم تلبث قوات الشريف حسين وقوات الانكليز ان دخلت دمشق فأصبح الطعام متوافرا وقد حلت علينا نعمة الله.

وعلى أثر انهيار السلطنة العثمانية اعيد فتح مدرسة الارسالية الايرلندية. والتحقت بها من جديد الى جانب رفقائي المسلمين واليهود من دمشق. في ذلك الوقت كان في استطاعتنا فعلا ان نكون اصدقاء.

وكان بالقرب من بيتنا مخزن بقالة يديره حاج مسلم، وكان زبائنه معدودين. وخطرت لي يوما فكرة شيطانية. فما ان سمعت صوت المؤذن حتى وقفت على باب الحاج وكأنني اريد الشراء. لكنه لم يلتفت الي، بل بسط سجادته وتوجه بعينيه وقلبه الى الكعبة مصلياً. لقد علمني الحاج ان على الانسان غالبا ان يختار بين الله والشيطان، وكانت للروح عنده الافضلية. وتأكدت من ان فصاحة الكاهن - مهما بلغت - لن تؤثر في نفسي كما فعل البقال البسيط.

الاستعمار الجديد ـ وتغير موقفنا

المسلمين، لكن ذلك لم يمسنا نحن المسيحيين. فقد كانت الالفة تجمعنا. وفي احدى الليالي سمعت احدهم ينظم الحركة في حيّنا قائلا: "يا شباب! سيروا على مهل لئلا تعكروا نوم اخواننا".

واستمرت تلك الروح النبيلة في السنتين التاليتين، وعاش السوريون اياما سعيدة. وفي ١٨ ابريل (نيسان) ١٩٢٠، منح مجلس رؤساء وزراء الدول الحليفة فرنسا حق الانتداب على لبنان. ولم تصمد المقاومة السورية طويلا، وبسط الفرنسيون سلطتهم على دمشق.

لكن الحياة استمرت. فالمدينة كبيرة والريف جميل مليء بالتلال نتسلقها وبالجداول نخوضها وبالطرقات نراقب فيها سير الحياة.

وكانت انارة الشوارع حدثا انتظره كل ليلة. وكانت الكهرباء قد وصلت الى المدينة، ولكن مصابيح الكاز بقيت تنير الشوارع الجانبية. وعند الغروب كان يأتي رجل في يده ابريق وسلم، فيملأ كل مصباح وينيره، ثم ينحدر عن سلمه تاركا خلفه فيضا من نور.

ولا انسى الحارس الليلي، يتردد في اذني صوت عصاه الثقيلة فوق حصى الشارع. وكان يحيي كل عابر سبيل ليتأكد من هويته. فاذا كان مقيما اكمل الحارس سيره، واذا كان غريبا اطلق صفارته عاليا منبها الحارس التالي.

من الاوروبيين، واعادتهم خلافاتهم الى انظارنا رجالا عاديين. ومع انهيار اوهامنا بالمثل الاوروبية، نما في نفوسنا الشعور بالقومية العربية، يذكرنا بأن في تراثنا كنوزا على اساسها يبنى الوطن.

ولدى زوال السلطة العثمانية بعد ٤٠٠ سنة من الاحتلال، برزت في دمشق تلقائيا جماعات مدنية حافظت على النظام. وكانت في غالبيتها من

وفضلا عن ذلك كانت السنة ١٩٢٢ - ١٩٢٣ آخر سنواتي الدراسية في دمشق، التحقت بعدها بالمدرسة الاعدادية التابعة للجامعة الامريكية في بيروت. وكنت قد وقعت على مكتبة تعود الى جمعية القديس يوحنا الدمشقي، وجدت فيها كنزا من روائع الأدب العربي. وانكببت بنهم على قراءة أدبنا الاصيل. وكنت، حتى ذلك الحين، على هامش معرفتي بالعروبة. لكنني وجدت في لغتنا سحراً وتناغماً ادخلا الى نفسي حب كل ما هو عربي.

وعلمت انني ولجت عمق العروبة. وانكشف لي ان ما يربط العرب ليس رباطاً جغرافياً او دينياً او عقائدياً، ولا تراثاً مشتركاً، بل هو كونهم جميعاً يتكلمون العربية. وكل ما تبقى ليس الا نتيجة لتلك الحقيقة.

وجاء يوم وجدت فيه نفسي في محطة السكة الحديد انتظر القطار الى بيروت. وكان والدي معي. وبدافع غامض مددت يدي الى جيبي اخرج كل ما فيها من نقود سورية سلمتها اليه. غير اني ادركت في ما بعد سبب تلك البادرة: لقد كانت رمزا عفويا لدخولي عالما جديدا تختلف قيمه عن قيم العالم الذي تركته.

ووصل القطار. وساعدني ابي على الركوب، ووقف على الرصيف منتظرا وقد امتلأت عيناه دمعاً.

لقد آن الفراق، ووجدت نفسي ابتعد عن دمشق.

■ **منير سعاده**

قد يكون من الصواب القول ان مقدارا طفيفا من اللامبالاة هو اسلم اساس تبنى عليه الصداقة الثابتة.

("الصنداي تلغراف" - لندن)

جمعية "اخدم نفسك"

نشرت جمعية "اخدم نفسك بنفسك في البيت والحديقة" الالمانية الاعلان الآتي في احدى الصحف:

"مطلوب عاملة تنظيف لمكاتبنا، تعمل من الاثنين الى الجمعة اسبوعيا بعد الخامسة عصرا".

(مجلة "دير شبيغل"، المانيا)

باسم الوطن!

خلال مناقشة لمجلس العموم البريطاني تتعلق بالحكم الذاتي وجه لويد جورج، رئيس الوزراء آنذاك، كلامه الى الاعضاء:

"الحكم الذاتي لايرلندا وسكوتلاندا؟ لم لا. حكم ذاتي لويلز؟ بالتأكيد. بل وحكم ذاتي حتى لانكلترا".

وهنا قاطعه صوت متعب من المقاعد الخلفية "ما رأيك في منح الحكم الذاتي لجهنم؟". فرد لويد جورج "موافق. فكرة حسنة أن يتحدث كل شخص باسم وطنه".

ايرل لويد جورج (كتاب "لويد جورج")

الرياضة: السلاح الأقوى ضد السمنة

لقد اتضح من بعض البحوث المدهشة ان الرياضة المنتظمة قد تكون بمثابة السلاح الحاسم في المعركة ضد السمنة

قرّر رأي الدكتور غرانت جويناب من جامعة كاليفورنيا عام ١٩٧٣ على القيام بتجربة تتناول ٣٤ مريضاً يعانون زيادة في الوزن، وتدهوراً في معنوياتهم بعد سنوات من المحاولات الفاشلة لتخفيف وزنهم عن طريق الحمية الغذائية. وقد طلب منهم الدكتور جويناب ألا يلتزموا بأي نظام غذائي، وان يواظبوا بدلا من ذلك على المشي كل يوم، مع زيادة وقت المشي ومسافته على نحو تدريجي.

في بداية الأمر، لم يطرأ اي تغيير على حال هؤلاء المرضى ولكنهم بدأوا يلاحظون بعض التناقص في وزنهم عندما اصبح الوقت الذي يمشونه يتجاوز نصف الساعة يومياً. وفي نهاية العام الأول من التجربة، تبيَّن ان كل واحد من الأحد عشر مريضاً الذين ثابروا على البرنامج فقد مقداراً ملموساً من وزنه السابق وظل محافظا

على وزنه الجديد وبلغ ما فقده اقلهم نجاحا اربعة كيلوغرامات ونصف كيلوغرام، وأكثرهم نجاحاً ١٧ كيلوغراماً، فكان متوسط ما فقده افراد المجموعة من وزنهم الزائد عشرة كيلوغرامات (للفرد الواحد).

وقد اتضح من تجربة الدكتور جويناب - على نقيض الاعتقاد الشائع - ان الذين يعانون السمنة يمكنهم ان يتخلصوا من وزنهم الزائد بفضل الرياضة، سواء التزموا نظام الحمية او لم يلتزموا ذلك.

ولا ريب في ان هذه المعلومات تغبط اولئك الذين يعانون زيادة في الوزن بسبب ما يسميه علماء الطب الوظيفي (الفيزيولوجيون) "الميزان الايجابي للطاقة"، بمعنى ان اجسامهم تحصل على مقدار من الطاقة - في شكل اغذية - يزيد عما يستخدمونه منها فيلجأ الجسم الحريص الى خزن الفائض في شكل ادهان. وكان العلاج المألوف لمثل هذه الحالات الالتزام بنظام الحمية، غير ان ما يحدث في الواقع، كما جاء في مقالة نشرتها اخيرا مجلة الجمعية الطبية الامريكية، هو ان الذين يصيبون نجاحا طويل الأمد في خفض وزنهم عن طريق التزام هذا النظام لا تتجاوز نسبتهم ٢٠ في المئة. ممن يحاولون ذلك، بل ان من المحتمل ان تتدنى هذه النسبة الى اقل من ٥ في المئة.

ولعل الفشل الواسع الانتشار في السيطرة على السمنة يرجع في اساسه الى تركيز الاهتمام حتى الآن على الجانب الخاطىء من معادلةالطاقة، باللجوء الى خفض استهلاك الغذاء بدلا من زيادة الحركة والرياضة.

فالكثيرون منا يكسبون عيشهم وهم جالسون الى مكتب، ويستخدمون السيارات في الانتقال الى كل مكان، وينفقون الجانب الأكبر من وقت فراغهم في مشاهدة برامج التلفزيون وهم قابعون في اماكنهم. بل ان ربات البيوت قد اصبحن يحرقن سعرات اقل في اداء نشاطاتهن المنزلية اليومية، لأنهن لم يعدن ينفضن السجاجيد بالعصي او يغسلن الملابس بأيديهن.

ونتيجة ذلك: زيادة في متوسط الوزن. نعم، لقد زادت سمنتنا مع انفاق معظم وقتنا جلوسا. وهناك تعليل للأمر اشارت اليه دراسات عدة في هذا الصدد، وهو ان الذين يمارسون مستويات منخفضة من النشاط يصعب عليهم تكييف كميات الطعام التي يتناولونها بحيث تتناسب مع قلة كمية الطاقة التي يستهلكونها (الواقع ان الذي يقوم بنشاط منخفض يكون أكثر ميلا الى تناول كمية من الطعام تزيد عما يتناوله اذا كان يمارس نشاطاً معتدلا). غير ان السؤال الجوهري يظل قائما، وهو: هل يستطيع الناس أن يخفضوا وزنهم فعلا عن طريق برامج الرياضة المنتظمة؟

ان هذه الفكرة تتناقض مع ما يعتقده كثير من الناس. والحقيقة ان هناك مهنيين متخصصين في المجالات الصحية مقتنعون بأن ممارسة الرياضة لا جدوى منها في اي محاولة لخفض الوزن، لأنها تحمل الانسان على تناول كميات أكثر من الطعام. ولكن البحوث الحديثة، مثل تلك التي اجراها الدكتور جويناب، قد اثبتت خطأ هذا الاقتناع.

السعرات التي تبذَل في النشاط الرياضي

جرى حساب الارقام المبينة ادناه بالنسبة الى الشخص الذي يبلغ وزنه ٦٨ كيلوغراما، ويجب تعديلها على اساس نسبي لمن هم اخف او اثقل وزنا، مع الملاحظة ان التخلص من نصف كيلوغرام يتطلب حرق ٣٥٠٠ سعرة حرارية.

نوع النشاط	السعرات في الدقيقة	السعرات في الساعة
المشي البطيء (التنزه) (سرعة ٢ ١/٢ كيلومتر في الساعة)	٢-٢ ١/٢	١٢٠ - ١٥٠
المشي الجاد (٥ كيلومترات في الساعة)	٤ - ٥	٢٤٠ - ٣٠٠
العدو (٩ كيلومترات في الساعة)	١٠ - ١١	٦٠٠ - ٦٦٠
ركوب الدراجة الهوائية (١٦ كيلومترا في الساعة)	٦ - ٧	٣٦٠ - ٤٢٠
كرة الطاولة، والبادمنتون،	٥ - ٦	٣٠٠ - ٣٦٠
كرة المضرب (الفردي)	٦ - ٨٨	٤٢٠ - ٤٨٠
الانزلاق على الثلج	٨ - ١٠	٤٨٠ - ٦٠٠
الغولف، باستخدام عربة ذات محرك	٢ ١/٢ - ٤	١٥٠ - ٢٤٠
الاسكواش، وكرة اليد	١٠ - ١١	٦٠٠ - ٦٦٠

(المفاهيم الجديدة في امراض القلب والشرايين يونيو/ حزيران ١٩٧٢، الجمعية الامريكية لامراض القلب)

فقد توصل عدد آخر من الباحثين الى نتائج مماثلة، ومنها التجربة التي شملت اخيرا ١١ طالبة جامعية يعانين زيادة في الوزن: فقد وضع لهن برنامج يجمع بين المشي والركض الخفيف الذي يستهدف حرق قرابة ٥٠٠ سعرة يوميا. واستمر البرنامج مدة ثمانية اسابيع من دون اي قيود غذائية على الاطلاق، وعلى رغم ذلك فقد انخفض وزن المشتركات فيه بمقدار يزيد على كيلوغرامين في المتوسط في نهاية الاسابيع الثمانية ولكن عندما اجرى الباحثون عددا من القياسات الدقيقة، مثل قياس ثنيات الجلد وغيرها، تبين لهم ان متوسط انخفاض الوزن لدى الطالبات قد بلغ خمسة كيلوغرامات ونصف كيلوغرام تقريبا. من الشحم، في حين ان متوسط وزن انسجة الجسم الخالية من الشحم - اي العضلات - قد زاد بأكثر من كيلوغرامين ونصف كيلوغرام (مما ادى الى اضفاء مظهر الهزال عليها لأن العضلات التي تبلغ وزنا معينا تشغل حيزا اقل من ذلك الذي يشغله وزن مماثل من الشحم، لكون نسيج العضلات أكثر كثافة وتماسكا).

وتبين من دراسة اخرى ان الرجال الذين بلغوا منتصف العمر ويعانون زيادة في الوزن، قد اتجه وزنهم الى

الانخفاض ببطء ولكن باطراد عندما خضعوا لبرنامج مدته ١٦ أسبوعا يعدون في تؤدة بمقتضاه مسافة خمسة كيلومترات ثلاث مرات في الأسبوع، وذلك من دون ان يلتزموا بأي قيود غذائية.

الرياضة فعالة – وقد ثبت بالدليل العلمي ايضا ان الرياضة وسيلة فعالة للمحافظة على الوزن المنخفض. واجرى اخيرا الباحثون في مدرسة الطب في جامعة ستانفورد، دراسة لحالات ٤٥ رجلا يتمتعون بصحة جيدة ويمارسون الرياضة بانتظام، وهي رياضة العدوّ في معظم حالاتهم. وتبين ان متوسط النسبة المئوية للشحم في اجسامهم (١٣ في المئة) مماثل لمتوسطه لدى الرجال الذين يصغرونهم بخمسة وعشرين عاما، مما يشير الى ان هؤلاء الرجال النشطين لم يزد وزنهم مع تقدمهم في السن، كما هو مألوف.

وفي تجربة اخرى، تولى الباحثان جـ. سكروباك - كازينسكي وك. لانج اندرسن قياس الوزن ونسبة الدهن في الجسم لدى ٣١٢ رجلا من قاطعي الاخشاب النرويجيين الذين مارسوا النشاط البدني طوال حياتهم، فوجدا ان هؤلاء حافظوا على الوزن ذاته ٧٢ كيلوغراما تقريبا وعلى نسبة الدهن نفسها في اجسامهم (١٣ في المئة تقريبا) طوال حياتهم، ويتعادل في ذلك المتقدمون في السن منهم والشباب.

ومنذ عام ١٩٥٣، اثبتت كلّ من جين ماير، التي كانت تعمل آنئذ في مدرسة الصحة العامة جامعة هارفرد، وماري لويز جونسون، من جامعة واشنطن، أن النشاط البدني مهم ايضا كعامل للوقاية من الزيادة المفرطة في الوزن لدى الصغار والمراهقين. فهما اختارتا ٢٨ فتاة بدينة و٢٨ فتاة غير سمينة من طالبات المدارس الثانوية، وتابعتا بدقة وحرص ما تأكله الفتيات، فكان متوسط استهلاك السمينات من الطعام يقل عن ٢٠٠٠ سعرة في اليوم، بينما كان متوسط استهلاك غير السمينات يزيد على ٢٧٠٠ سعرة. وعندما حللت الباحثتان النشاط البدني لكل فتاة، تبين لهما ان الفتيات غير السمينات ينفقن من الوقت ضعف ما تنفقه السمينات في المشاركة في الالعاب الرياضية وغيرها من النشاطات التي تتطلب حركات قوية وسريعة. وكانت النتيجة التي انتهت اليها الباحثتان ان قلة النشاط هي عامل مساعد على نشوء السمنة لدى المراهقين يفوق في اهميته عامل الافراط في الأكل.

ومن الواضح اذا ان للرياضة اثرا مهما في خفض الوزن او المحافظة عليه، سواء لدى الاطفال او الكبار. ولكن، هل يصدق ذلك بالنسبة الى جميع الناس؟ يبدو ان الاجابة عن هذا السؤال سلبية، لأن الكثيرين من الناس يفشلون في الاستفادة من الرياضة للسبب نفسه الذي يجعلهم يفشلون في الاستفادة من نظام الحمية، وهو عدم المثابرة.

ففي تجربة الدكتور جويناب، لم تثابر على البرنامج حتى نهاية العام الأول سوى ١١ سيدة من ٢٩، كما لم يثابر عليه رجل واحد من الرجال الخمسة الذين شملهم في البداية (وبعد خمس سنوات، بقيت معظم السيدات الاحدى عشرة مستمرات في

البرنامج ومحافظات على وزنهن الجديد المنخفض).

المواقف تتغير - وقد اسفرت التجارب الاخرى عن نتائج مماثلة. ففي عام ١٩٧٥، وضع باري فرنكلين، من جامعة ولاية بنسلفانيا، برنامجا لستّ وثلاثين سيدة جمع بين المشي والعدو المتئد، واستمر البرنامج مدة ١٢ اسبوعا انخفض في نهايتها وزن معظمهن. وبعد ١٨ شهرا، تولت باتريشيا ماكين، من الجامعة نفسها، مراجعة حالات ٢٨ سيدة استطاعت الاتصال بهن من بين اولئك السيدات، فوجدت ان معظمهن قد استعدن ما سبق ان فقدنه من وزن زائد، وان ٦٤٪ من المشتركات (٢٢ سيدة) قد توقفن عن ممارسة العدوّ.

ولكن الناس بدأوا يغيرون مواقفهم من الرياضة والنشاط البدني، فأصبح الكثيرون يستمتعون بالرياضة وما تحققه لهم من فوائد سريعة مباشرة، ويعقدون العزم على الاستمرار فيها.

ويقول بيتر وود من جامعة ستانفورد: "سيكون الأمر مجديا اذا استطعت ممارسة الرياضة بطريقة تستهويك. وهناك سبيلان اساسيان لتخفيض الوزن، فاما ان تزيد ما تنفقه من طاقة، واما ان تخفض ما تأكله من طعام وتحرم نفسك مما تشتهيه. واذا استطعت رفع مستوى ممارستك للرياضة الى درجة معقولة - وليكن ذلك ٤٠ دقيقة اربع مرات في الاسبوع - فقد لا تحتاج عندئذ الى قضاء بقية حياتك وانت تحصي السعرات الحرارية بقلق. وفي رأيي ان هذا المستوى من ممارسة الرياضة امر من اليسير بلوغه حتى بالنسبة الى اولئك الذين يزحمهم العمل".

ومن الجلي اذا ان الرياضة والنشاط البدني لا يعتبران علاجا سحريا للحد من زيادة الوزن. غير ان هذا الاسلوب قد اثبت نجاحه في بعض الحالات التي تكرر فيها فشل الحمية الغذائية. واذا كانت هذه الطريقة قد اثبتت جدواها بالنسبة الى الآخرين، فلا شك انها تثبت جدواها ايضا في حالتك انت.

■ س. ب. غيلمور

تجاعيد الزمن

يحفر الزمن التجاعيد على وجوه الناس ويزيلها عن عجلات السيارات.

بول موران

استفتاء

سألت صحيفة "تشينغ شن نيوز" الصادرة في تايوان قراءها: "لماذا يغلق معظم الناس عيونهم خلال التقبيل؟" ومن بين الاجابات الواردة ما يأتي:

- القبلة بعين مفتوحة اشبه بمتابعة مباراة بعين مغلقة.
- الحب اعمى.
- القبلة شيء نحسّ به ولا نراه.

ولعل افضل تعليق ورد الى الصحيفة هو الآتي: "لكي نركز تفكيرنا على الخطوة اللاحقة".

حديقة افكار

■ أن نندم على الخطايا التي ارتكبناها اسهل كثيراً من الندم على تلك التي نعتزم ارتكابها .

ج.ب.

■ ما يحس به القلب اليوم سيعيه العقل غداً .

ج.س.

■ يثري البخيل بتظاهره بالفقر ، ويفتقر المسرف بتظاهره بالثراء .

ن.و.

■ استطيع ان ابرهن عن اي شيء بواسطة الاحصاء ، الا عن الحقيقة .

ج.ك.

■ الاشخاص المهمون هم اكثر من يعي ان الآخرين مهمون ايضا .

م.س.ف.

■ لو صح كل ما ينبىء به الاطفال من صفات ، لما وجدنا بين الكبار سوى عباقرة .

غوته

■ لا احد يعرف عمر الجنس البشري . بيد ان الجميع يتفقون على انه بلغ من العمر ما يؤهله لان يزداد معرفة .

م.هـ.

■ اذا اردت ارضاء حصيف فدعه يخرج بانطباع جيد عنك ، واذا اردت ارضاء غبي فدعه يخرج بانطباع جيد عن نفسه .

صامويل تايلور كوليردج

أهي مقامات الآلهة؟ أم أنها قبور للملوك؟ الاهرام منتشرة في بقاع مختلفة، ولا تزال أسرارها الدفينة تتكشف كل يوم عن واقع رهيب

أهرام المكسيك رموز حضارة شامخة

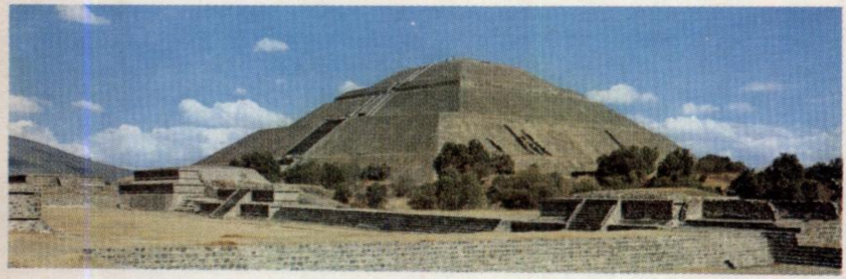

هرم الشمس فى تيوتيواكان (المكسيك)

شهد وادي تيوتيواكان الذي يقع على بعد ٤٠ كيلومترا شمال شرق مدينة المكسيك، عام ١٥٢٠، معركة غيرت وجه التاريخ، تمكن خلالها هرنان كورتيز وبضع مئات من الاسبان، بمساعدة ألفين من الهنود، من جرّ الهزيمة على ٢٠٠ ألف من مقاتلي شعب الآزتك. وكان ذلك الموقع مكانا ملائما لمثل هذه الواقعة، لان أولئك المتحاربين خاضوا معركتهم تلك على أرض بين هرمين حجريين مهيبين بقيا مهجورين، وقد غطتهما الأتربة والشجيرات، لألف سنة خلت.

يدعى أصغر هذين الهرمين "هرم القمر" (★). أما الاكبر، ويدعى "هرم الشمس"، فيساوى محيطه

(★) لا أحد يعرف الاسماء الاصلية لاهرام المكسيك اما الاسماء الحالية فقد اطلقها عليها الهنود والاسبان وعلماء الآثار.

محيط "هرم خوفو" في الجيزة (مصر)٠ ولا يزال المشتغلون بالحفائر الأثرية في تلك المنطقة يكشفون عن أبنية مدينة أثرية تكاد تكون مما لا يصدقه عقل٠ وهي تضم ساحات عظيمة ومعابد وطرقا ممهدة ومساكن، وتحتل ٢١ كيلومترا مربعا، مما يجعل مساحتها تفوق مساحة مدينة روما في العصور القديمة٠ وفي ١٩١٩ تولى عالم الآثار مانويل غاميو العمل في هرم آخر في تيوتيواكان، اسمه كوتزالكوتل، فاكتشف تحته موقعا أثريا يعتبر من روائع الفن في المرحلة ما قبل الكولمبية، وهو هرم مزخرف بنحت رائع يمثل رؤوس ثعابين مجنَّحة ورؤوس آلهة المطر٠

ولا ندري من بنى تلك المدينة العظيمة وأهرامها، كما لا نعلم سبب هجرها قرابة العام ٧٥٠ للميلاد٠ والذي نعرفه أن تشييدها بدا في اوائل العهد الميلادي، في وقت كان فن بناء الاهرامات في المكسيك وأمريكا الوسطى معروفا منذ القدم٠

كعكات وجماجم ـ ويشمل تاريخ المنطقة الذي سبق الحقبة الكولومبية حضارات عدة متميزة، أوجدتها شعوب مختلفة اللغات والملامح الجسدية٠ وكان نشوء أولى تلك الحضارات نحو العام ١٢٠٠ق٠م٠، وهي حضارة شعب عرف باسم "الأولمك"، استوطن الساحل الجنوبي لخليج المكسيك وشيد اهراما من الآجر المجفف بلغ ارتفاعها ٣٧ مترا، ثم اختفى فجأة نحو العام ٤٠٠ق٠م٠ وربما كان اختفاؤه خلال ثورة قام بها على الكهنة الحاكمين٠

وانتقلت حضارة الأولمك الى شعب "الزابوتك" في منطقة ويهاكا على ساحل المحيط الهادىء، والى أهل تيوتيواكان في المكسيك الوسطى، والى شعب المايا في جنوب المكسيك وغواتيمالا وهوندوراس الغربية، وهي شعوب ازدهرت حضاراتها خلال بضعة قرون لتختفي هي الاخرى طي الغموض٠

وفي حدود العام ٩٠٠ للميلاد ظهر المغيرون التولتك الذين هاجموا المنطقة من الشمال، وبنوا عاصمتهم تولان (الان تولا)، وانطلقوا منها ليقيموا امبراطورية امتدت حتى شبه جزيرة يوكاتان جنوبا، وعمرت اكثر من قرنين٠

وفي العام ١٣٢٥ جاء شعب الآزتك، وهم قبيلة مقاتلة من الشمال عرفت بوحشيتها، وأقاموا امبراطورية أعظم من تلك التي أقامها شعب التولتك، وكانت عاصمتهم تينوشتيتلان التي ترقد أطلالها تحت مدينة المكسيك٠ ومع مجيء الغزو الاسباني عام ١٥٢١، انطفأت الى الابد جذوة الحضارة القومية في تلك المنطقة٠

وكانت ديانات تلك الحضارات وتقاويمها متشابهة٠ وقد لعبت الاهرام دورا مهما في حياة أهلها الدينية والمدنية والثقافية، ولا تزال آلاف منها مطمورة في أمريكا الوسطى٠ وتعد الاهرام القليلة التي اكتشفت ورممت من أروع نماذج العمارة القديمة، ولا يتشابه بينها اثنان٠

ومن أكثر تلك الاهرام اثارة للدهشة هرم المحراب في التاجين الذي يشبه كعكة زفاف من سبع

طبقات، وهرم "مونت ألبان" الذي أقامه شعب الزابوتك منذ ٢٣٠٠ عام على قمة جبل ونقشوا عليه رسوما راقصة عجيبة، وهرم تشتشن - ايتزا في يوكاتان بمعبده الرهيب الذي يدعى "معبد المقاتلين" وبحائط الجماجم المنحوتة. وربما كانت الاهرام التي تطاول السحاب في تيكال اكثرها اثارة بسقوفها المنمقة التي ترتفع حوالى ٦٠ مترا فوق أشجار الغابة.

ولا شك في أن انشاء تلك الابنية اقتضى جهدا بشريا هائلا. فبناة تلك الاهرام لم يملكوا دواب لجر الاثقال ولا مركبات تسير على عجلات ولا بكرات لرفع الاثقال ولا أي أدوات معدنية. وهكذا، فان الكتل الضخمة من الحجر الجيري، التي تصل زنتها الى ٤٥ طنا، كانت تقتلع بأزاميل من حجر وتُنعَّم عن طريق الحك بالرمل وبالزجاج البركاني، ثم يجرّها الرجال بضعة كيلومترات ويرفعونها الى مواضعها على منحدرات من تراب بواسطة حبال مجدولة من الألياف.

قلب الظلام - وبعد انتهاء بناء الهرم كان يبنى فوقه دائما بناء يغطيه تماما، تكريما لكاهن أو ملك جديد أو احتفاء بذكرى انتصار أو شكرا للآلهة على سماحها للبشر بالبقاء على قيد الحياة. وهكذا نرى هرم تشولولا، الذي يعد أضخم بناء شيده الانسان، مؤلفا من سبعة أبنية بعضها فوق بعض، وعلى قمته كنيسة اسبانية.

ويبدو ان مشيّدي تلك الابنية لم يعنوا أي مرة بانقاذ محتويات البناء السابق. ففي هرم الكاستيللو الذي بناه التولتك في القرن الحادي عشر نفق يفضي، بدرج ضيق، الى معبد من معابد المايا شيد قبله بقرون، وأقيم فيه عرش رائع على هيئة نمر مرصع بحجر اليشب الكريم يحرسه وثن من حجر.

وعلى خلاف الاهرام المصرية التي بنيت كقبور، وأقيمت بالتالي بعيدا عن التجمعات السكانية، كانت الاهرام الامريكية ترتفع في قلب المدن، تعلوها منصات مسطحة بنيت عليها المعابد.

وفضلا عن كونها أماكن للعبادة، كانت الاهرام تلك مراصد للشمس والقمر والكواكب التي كانت لتحركاتها مغاز دينية مقدسة. وكان عمل أولئك الفلكيين الاوائل يتم بدقة مذهلة. فقد حسبوا السنة الشمسية مع فارق لم يتجاوز ١٧ ثانية، فكانت في تقويمهم ٣٦٥،٢٤٢٢ يوما، كما قدروا دورة كوكب الزهرة مع خطأ لم يزد سبع ثوان كل خمسين سنة، وهي حسابات لم يأت أحد بأدق منها حتى أواخر القرن الماضي.

وبقي الخبراء على ثقة بأن الاهرام الامريكية لم تستخدم كقبور أبدا. الا ان عالم الآثار المكسيكي البرتو روز - لويير شق طريقه عبر الانقاض الى درج يفضي الى "معبد النقوش" في بالنكيه، حيث عثر على غرفة مسردبة في وسطها ناووس حجري على شكل رحم، تعلوه بلاطة مزخرفة زنتها خمسة أطنان. وكان من الضخامة بحيث استحال انزاله عن طريق الدرج، مما يبين أنه وضع في مكانه خلال الايام الاولى لبناء الهرم. وكان داخل الناووس هيكل عظمي لرجل

طوله ١٨٢ سنتيمترا، ونحو ألف قطعة حلى من حجر اليشب الكريم بينها قناع رائع عليه صورة وجه الرجل· ومن النقوش علم الأثريون أن صاحب ذلك الهيكل العظمي الغارق في الحجار الكريمة هو الكاهن الاكبر "باكال" الذي مات سنة ٦٧٣ للميلاد عن ٨٠ عاما· ومنذ ذلك الحدث التاريخي اكتشفت قبور عدة تحت أهرام أخرى بناها شعب المايا·

دماء الضحايا - لا يزال الغموض يكتنف تلك الاهرام· ومما يدعو الى التساؤل ان ارتفاع كل درجة بلغ مترا، في حين جعل الجزء الافقي الاعلى من الدرجات بالغ الضيق بشكل لا يسمح بارتقائها الا على أطراف الاصابع أو بشكل تكون فيه القدمان منفرجتين· وبلغ انحدارها الشديد أن تعددت حوادث سقوط السياح الذين غامروا بالصعود من دون ان يتشبثوا بالسلاسل الواقية التي ركبت حديثا·

وهناك تفسير مروع لهذا الغموض· فآلهة تلك الحضارات كانت عديمة الرحمة شديدة النهم· وكانت - ما لم تقدم لها القرابين الكثيرة - تحجب المطر، وتوقف نمو المحاصيل او حتى الحياة· وكان طعامها الدم البشري والقلوب ينتزعها الكهنة من صدور المنكودي الحظ· وكان ذوو العاهات مفضلين كذبائح في تلك الديانات الدموية، نظرا الى الاعتقاد السائد بأنهم يحوزون قوى سحرية غامضة· وكذلك كان الاطفال هدية ثمينة تفرح بها آلهة المطر·

وكانت التضحية بالنساء والفتيات تتم عادة باغراقهن· أما البالغون من الرجال فكانوا أثمن ضحايا تقدم الى آلهة الحرب والشمس· وكانت الضحية البشرية تطرح على ظهرها فوق الهيكل المقام على قمة الهرم ويمسك بها أربعة من الكهنة، بينما يقوم كاهن خامس بشق صدر الضحية الحية لينتزع القلب النابض بالحياة· وبعدها، كان الجسد الذي فارقته الحياة يلقى من فوق ليتدحرج هابطا الى الارض· وهذا يفسّر انحدار

الدرجات الشديد. وكانت روح الضحية، في اعتقادهم، تنتقل توا الى الجنة.

ومع ظهور شعب التولتك الشهير بوحشيته، ازدادت حدة تلك التقاليد الدامية. وتفنن التولتك في طقوسهم، فكانوا يدخلون السكاكين الى رأس الضحية ويشدونها الى مخلعة، وهي آلة تمط العنق.

وبلغت تلك التقاليد ذروتها في عهد شعب الآزتك، الذي اشتهر - على سبيل المفارقة - بولعه بقرض الشعر وسماع الموسيقى والتغني بالجمال. ويقول المؤرخون الاسبان الاوائل ان الآزتك قدموا، خلال احتفالاتهم بانتهاء تشييد هرم تينوشتيتلان، عشرين الف ضحية بشرية.

وعندما استولى الاسبان على المدينة، عثر رجال القائد هرنان كورتيز على ١٣٦ ألف جمجمة بشرية ملقاة عند المخالع. ونظرا الى عدد الاهرام وضرورة اطعام الآلهة كل يوم، لا بد أن عمليات الذبح كانت تتم على نطاق واسع. وكانت المدن في مواسم الجفاف تنظم معارك وهمية للحصول على ضحايا (من الاسرى) تقدم ذبائح للآلهة. شبيهة بتلك التي أودت بحضارة الأولمك قبل ذلك بقرون. ويتضح من الهياكل العظمية التي اكتشفت في تايكل أن الشعب كان يعاني سوء تغذية حادا. كما تصوّر الرسوم الملونة على الآنية افراد الطبقات الحاكمة وقد أسكرهم الشراب وخبلتهم المخدرات.

ويقدر الباحثون أن عدد سكان منطقة المايا انخفض من أكثر من ثلاثة ملايين الى ٤٥٠ ألفا خلال فترة لم تتجاوز القرن. وفي النهاية هجرت تلك الاعداد الصغيرة مدنها تاركة اياها تحت رحمة الغابات.

وهكذا جاءت نهاية ذلك العالم الغريب المثير هزيلة حزينة. وأصبح الهنود في الجنوب من دون قادة، واستعرت في قلوبهم الكراهية لقادتهم الآزتك في الشمال، فسقطوا فريسة سهلة للغزاة الاسبان. ومع ذلك، فان اهرامهم تشهد على أن الحضارة التي أبدعوها، والتي دامت ألفي عام، كانت من أزهى ما عرفه العالم من حضارات.

■ رونالد شيلر

تنويع انكليزي

خلال الثلاثينات اكمل والدي كتابة "الازمة العالمية" وكتب "مارلبورو" وشرع في وضع مخطط لكتاب "تاريخ الشعوب الناطقة بالانكليزية". وكان اذا انتهى من تأليف كتاب يهدي نسخا يوقعها شخصيا الى أقرب اصدقائه فيسارعون الى ارسال شكرهم الى الكاتب الغزير الانتاج. ومع مضي السنين وتزايد عدد مؤلفاته غدا تنويع عبارات الشكر المرسلة من جانب عدد من الاصدقاء يشكل بعض الصعوبة. لذا فحين انتهى أبي من مجلدات "مارلبورو" تسلم بطاقة من أحد اصدقائه تقول "عزيزي ونستون، اشكرك على كتابك. لقد وضعته على الرف الى جانب مؤلفاتك الاخرى".

سارة تشرشل (كتاب "خيط في سجادة")

ان ما يسحق القلب حزنا في حالات الاطفال المرضى الميئوس من شفائهم ليس ما يعانونه من آلام وعذاب، بل ما يتميزون به من معنويات قوية

اللحن الخالد

في الجناح الذي يعالج فيه ابني ادريان في مستشفى الاطفال في لندن سبعة اطفال آخرين، تراوح اعمارهم بين سنوات ادريان الاربع، وفريدي الذي بلغ الأثني عشر، عاما مرورا بكارولين واليزابيث وجوزف وهيرمي وميريام وسالي.

وكان المرضى الصغار جميعا - ما عدا واحدة - ضحايا لشتى انواع سرطان الدم، ومقضيا عليهم بقصر الحياة. اما المستثناة من بينهم فكانت اليزابيث الجميلة، الخضراء العينين والذهبية الشعر. وكانت لا تتجاوز العاشرة من عمرها، وتخضع مع الاطفال الآخرين لنظام علاجي معقد سينتهي بها الى الشفاء والعودة الى بيتها لتعيش حياة سليمة. ومع انها - على نقيضهم -

قد كتبت لها الحياة، فانهم كانوا يتعاطفون معها تعاطفا خالصا عميقا، كما تبين لي من زياراتي اليومية لأبني ومن احاديثي التي لم تقتصر عليه، لأن المحنة قد جمعت بين هؤلاء الاطفال وجعلتهم يتقاسمون كل من لديهم، بما في ذلك الآباء والأمهات.

اما سبب التعاطف، فهو العملية الجراحية المعقدة التي اجريت لاليزابيث خلف الأذنين والتي ترتب عليها فقدها السمع في ما بعد، وهي تخطو في سبيله خطوات حقيقة بلغت مدى بعيدا، ولن تنقضي بضعة اشهر الا وتفقد السمع تماما وعلى نحو لا مرد له.

وكانت الزيابيث من هواة الموسيقى المتحمسين، ولها صوت صاف بديع وموهبة ملحوظة في العزف على البيانو، فضاعف كل ذلك من مأساة صممها الحتمي. ولكنها صمدت ولم تبد منها اي شكوى على الاطلاق بيد انها، من وقت الى اخر، عندما تتأكد من ان احدا لا يلاحظها كانت تذرف الدموع خلسة فتملأ هذه عينيها الجميلتين وتنساب على خديها.

كانت اليزابيث تهوى الموسيقى اكثر من اي شيء اخر، وتحب الاصغاء اليها بمقدار ما تستمتع بعزفها. وفي احيان كثيرة، بعد ان انتهي من تحضير ابني للنوم، كانت تومىء الي بان اوافيها في غرفة اللعب التي يسودها الهدوء بعد ضجيج النهار، فتجلس في مقعد جلدي كبير وتفسح لي مكانا الى جوارها، ثم تأخذ يدي بين يديها وتقول: "غن لي".

المشروع الجنوني — وكان الاطفال الآخرون، كما ذكرت، متأثرين تأثرا عميقا بمحنة الفتاة الصغيرة، فقرروا القيام بشيء يبعث البشر في نفسها، وقد تحقق لهم ذلك بفضل ارشاد فريدي، ثم انطلقوا لاحاطة الممرضة الأولى هيلدا كيربي، بالأمر.

كانت "كيربي"، كما يسميها الآباء والامهات والاطفال على السواء، شابة نحيلة،طويلة القامة، رهيبة الطلعة، توقع الرعب في من يراها للوهلة الأولى. ولكن الاطفال لم يحفلوا بمظهرها الفظ، ما داموا يدركون انها صديقتهم.

وفوجئت كيربي، في البداية، بما ابلغوها اياه، وصاحت: "اتريدون اقامة حفلة موسيقية لمناسبة عيد ميلاد اليزابيث الحادي عشر؟ وتقولون ان ذلك يقع بعد ثلاثة اسابيع؟ انكم مجانين!" وما ان لاحظت علامات الخزي والاكتئاب على وجوههم حتى استدركت: "انكم جميعا مجانين ولكنني ساساعدكم".

ولم يطل الامر بكيربي كي تفي بوعدها، بل اسرعت الى الهاتف في قاعة جلوس الممرضات واتصلت برقم معهد للموسيقى يقع على مسافة قريبة من المستشفى شمال لندن، وقالت لعاملة التلفون التي ردت عليها: "ارجوك ان تبلغي رسالة للاخت ماري جوزف، وتعلميها بان هيلدا كيربي ستزورها في هذا المساء لامر مهم".

وبمجرد انتهاء نوبتها في العمل، استقلت كيربي سيارة اجرة الى معهد الموسيقى كي ترى صديقتها الأخت ماري جوزف، مدرسة الغناء الفردي والجماعي. وبعد تحية قصيرة، دخلت الراهبة في الموضوع مباشرة وسألت: "والآن يا كيربي، ما هو المشروع

الجنوني الذي تريدين توريطي فيه؟".

أجابت كيربي: "اسمعي يا ماري جوزف، هل يمكن مجموعة صغيرة من الأطفال الذين لم يتلق احد منهم اي تدريب موسيقي التحول خلال ثلاثة اسابيع الى جوقة غنائية مقبولة الأداء لاحياء حفلة موسيقية؟".

فأجابت الاخت ماري جوزف: "انه امر ممكن وان يكن بعيد الاحتمال ... ولكنه ممكن".

فردت الممرضة: "بارك الله فيك يا ماري جوزف. كنت اعرف انك ستقبلين".

وسارعت الراهبة المأخوذة تقول: "لحظة واحدة يا كيربي! اطلعيني على التفاصيل، فربما كنت لا استحق بركاتك هذه!".

وبعد عشرين دقيقة، افترقت الاثنتان على درج معهد الموسيقى بينما كانت كيربي تردد: "بارك الله فيك يا ماري جوزف. سنراك يوم الأربعاء في الثالثة".

●●●

وقفت كيربي بين الاطفال بينما كانت اليزابيث الصغيرة غائبة تتلقى علاجها اليومي. وسأل فريدي: "ما اسمها؟ تقولين انها تدعى ماري جوزف. ماذا؟ هل هي رجل ام امرأة؟".

وردت كيربي: "انها راهبة يا فريدي. وهي مدرسة في معهد من أرقى معاهد الموسيقى في لندن. ولو شئت ان تتلقى منها دروسا لكلفك ذلك جنيهين ونصف جنيه في الساعة الواحدة. ولكنها ستدربكم مجانا".

فتدخل هيرمي قائلا: "يا ألطاف الله!" كان هيرمي يعرف قيمة المال، لأن امه تملك حانوتا في سوق الأحد الشعبية في بيتكوت لين في لندن. فاستبعد اعتراضات فريدي واضاف: "اننا نقبل العرض".

وتقرر الامر. وراحت الأخت ماري جوزف تدرب الاطفال يوميا اثناء غياب اليزابيث في فترة علاجها. ولم يبق هناك سوى مشكلة رئيسية واحدة: طريقة اشراك الطفل جوزف الذي عمره تسعة اعوام، في الجوقة، والذي لا يجوز تجاهله، ولكن جوزف اصبح عاجزا عن استخدام اوتاره الصوتية، على اثر جراحة اجريت له.

ولاحظته الراهبة وهو يرقب بنظرات كسيرة توزيع ادوار الغناء على رفاقه، فقالت له: "اسمع يا جوزف، انني اعتقد ان الله يريد لك ان تعاونني معاونة خاصة جدا في الحفلة، فأنت تحمل الاسم نفسه الذي احمله، وهو يريدك ان تعمل معي على نحو وثيق، فعليك ان تجلس بجانبي وتقلب صفحات النوتة الموسيقية اثناء عزفي على البيانو".

ولمعت عينا جوزف للحظة قصيرة، ثم اوشك ان يغص في دموعه، واسرع يكتب بعصبية على احدى الاوراق من كراسته: "ولكنني ايتها الأخت لا استطيع قراءة النوتة الموسيقية".

فابتسمت الأخت ماري جوزف في وجه الطفل القلق ابتسامة لطيفة، وقالت تطمئنه: "لا تبال يا جوزف. سوف تستطيع، وسأعلمك ذلك بمعونة الرب".

الجوقة - المعجزة — وحدث الشيء الذي يتجاوز التصديق. ففي خلال الاسابيع الثلاثة، تمكنت الأخت ماري جوزف والممرضة كيربي، بمعونة الرب، من تحويل ستة اطفال

محتضرين، لا يتمتع اي منهم باي موهبة موسيقية يعتد بها، الى جوقة غنائية مقبولة الأداء، ومن تحويل صبي صغير عاجز عن الغناء والكلام الى شخص يقلب صفحات النوتة الموسيقية ويؤدي مهمته بدقة لا تخطىء.

وكان الأدعى الى الدهشة ان السر ظل في حرز حريز. وقد تملكت الدهشة اليزابيث حين وجدت نفسها في كنيسة المستشفى عصر يوم عيد ميلادها، جالسة على "عرش" (كرسي المقعدين).

وكان المستمعون عشرة من الآباء والأمهات وثلاث ممرضات، وقد جلسوا على مسافة متر واحد تقريبا من المنصة. وعلى رغم اننا عانينا بعض الصعوبة في رؤية وجوه المنشدين بوضوح، الا اننا لم نجد اي مشقة في سماعهم وهم ينشدون مجموعة متباينة من الأغاني، منها الديني مثل "يسوع يحبني" ومنها المرح مثل "الفتى داني"، وكلها مما تحبه اليزابيث وتفضله. وكانت الأخت ماري جوزف قد نبهت المنشدين، قبل بدء البرنامج مباشرة: "تذكروا ان تنشدوا عاليا، فأنتم تعرفون انها ضعيفة السمع، فارفعوا اصواتكم بمقدار ما تستطيعون".

وحققت الحفلة الموسيقية نجاحا كبيرا، وقالت اليزابيث ان ذلك كان أفضل أعياد ميلادها على الاطلاق،

لا شك في ان المرء القريب الصلة بالاطفال المحتضرين او المصابين بأمراض لا يؤمل شفاؤها، يدرك ان ما يسحق القلب في اوضاعهم ليس اليأس الذي يحيط بهم او الآلام الجسدية التي يعانون بل هو ما يبدونه من صمود وشجاعة في وجه قدر غالب، فذلك حقا هو ما يطير النفس شعاعا.

ويؤسفني الا يكون لدي برنامج مطبوع اعرضه عن اروع حفلة موسيقية شهدتها وظلت حية في ذاكرتي، كما يؤسفني الا توجد لدي اي قصاصات من الصحف التي تحدثت عن الحفلة باعجاب. وعلى رغم ذلك فانني لم اسمع في حياتي كلها - ولا أتوقع ان اسمع - موسيقى اروع من تلك التي سمعتها فيه، وما زالت اذناي ترددان اصداء كل نغمة من نغماتها كلما اغلقت عيني.

لقد صمتت تلك الاصوات الستة الصغيرة منذ سنوات عدة، واغرق في النوم الأبدي كل اعضاء الجوقة السبعة - المنشدون الستة ومقلب الصفحات الموسيقية الصامت - ولكنني واثق من ان اليزابيث، التي تزوجت واصبحت الآن اما لطفلة جميلة خضراء العينين ذهبية الشعر، لا تزال تصغي في ذاكرتها الى تلك الأصوات الصغيرةالستة التي كانت من آخر ما وعته أذناها.

■ آرثور ميلوورد

معجزة!

سألت امرأة متدينة بيكاسو ان كان يؤمن بالمعجزات فأجاب: "نعم، منذ ان علمت ان اوتريلو لم يرسم طوال حياته غير الفي لوحة في حين يؤكد ٤٠٠٠ شخص انهم يملكون لوحات أصيلة له".

مونيه الفنان المضيء

منذ قرابة قرن نزل "ضياء الشمس وجمال الأثير" نزول السحر في لب الشاب الباريسي كلود مونيه، فراح يرسم كما لم يفعل أحد من قبل

على أثر الزيارة التي قام بها احد نقاد الفن في باريس خلال شهر ابريل (نيسان) ١٨٧٤، لمعرض اللوحات الزيتية والمائية والرسوم الذي نظمه عدد من الفنانين "المتمردين" الناشئين، ادلى هذا الناقد بتصريح ندد فيه بهذا "الفن الاحمق المجنون، وهذه المهزلة البشعة التي توقع الاشمئزاز في النفس وتبعث على الغثيان". ذلك ان هؤلاء الفنانين لم يكتفوا بالاعتماد على مجموعة من الالوان الجديدة والاساليب التقنية المتهورة بل تجاسروا كذلك على تصوير مشاهد من الحياة اليومية، كحقول الخشخاش والنساء الغاسلات وقوارب صيد الاسماك، بدلا من صور الشخصيات الجليلة وتناول الموضوعات التاريخية العظيمة التي كانت شائعة في ذلك الحين. وسرعان ما اصبح معرضهم غير المألوف حديث

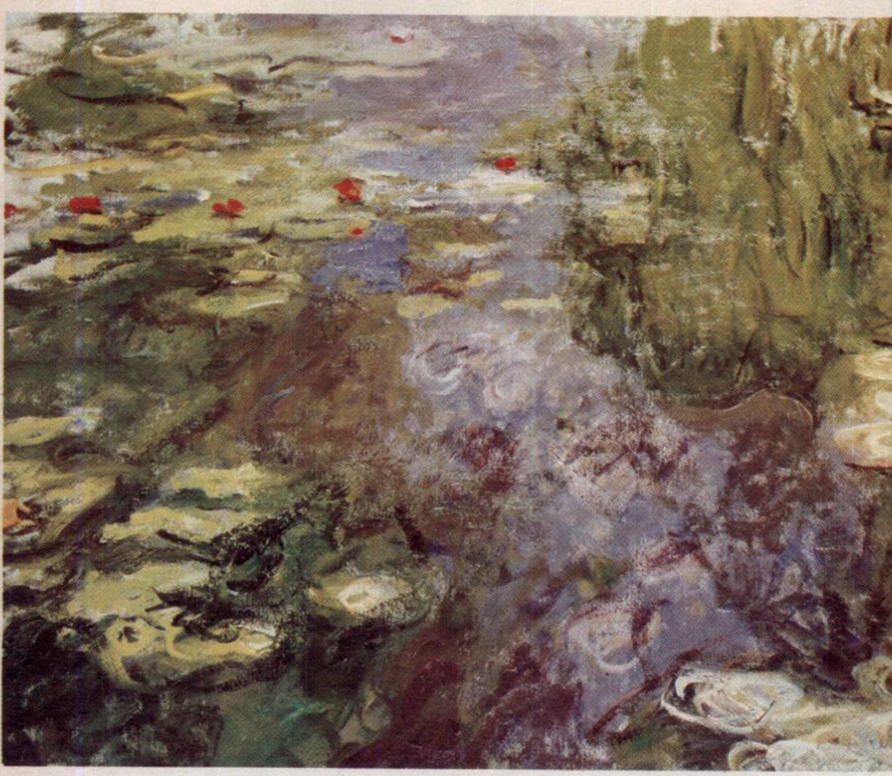

"زنابق مائية" (١٩١٩ - ١٩٢٦) من مجموعة مونيه الشهيرة بهذا الاسم.

الناس في باريس فتقاطر الجميع اليه ليسخروا منه، بل ان بعضهم لم يتردد في البصق على اللوحات.

وقد انصب معظم السخرية على لوحة زيتية بريشة كلود مونيه، تمثل ميناء الهافر لدى بزوغ النهار وسماها: "انطباع: شروق الشمس". وركز أحد النقاد الساخرين على هذه التسمية واتخذ منها تعبيرا ملائما للاساءة، فنعت مجموعة هؤلاء الفنانين بـ"الانطباعيين". ولم يتسنّ لهؤلاء ان يبيعوا لوحة واحدة، وانما كان لاسمهم الجديد دويّ سريع في انحاء العالم. واصبحت اليوم، اعمال الانطباعيين محط بهجة الملايين، وأكثر ما يستهوي المشترين. ويعتقد الخبراء ان لوحة "شروق الشمس" بريشة كلود مونيه تساوي وحدها الان قرابة مليوني دولار.

وكلود مونيه هو الذي اقنع

"كاتدرائية روان" (١٨٩٤).

اصدقاءه - ومنهم رينوار وسيزان ودوغا وسيسلي وبيسارو - بأن يتخذوا الكنية التي اطلقها عليهم الناقد شعارا لهم على سبيل التحدي، فأصبح مونيه الزعيم المعترف به للمجموعة، وبدأ يتقد ثقة ببنيته المتينة وشعره البني الغزير وعينيه الحادتين السوداوين ووجهه الوسيم الملتحي. وأصرّ مونيه على ان يستمر هو ورفاقه في اتباع الاسلوب نفسه في الرسم حتى يتعلم الجمهور كيف يقدر عملهم. وقال رينوار في ما بعد: "لولا صديقي العزيز مونيه ليئسنا جميعا".

اللحظة العابرة - وحاول مونيه أكثر من أي رسام آخر التقاط اللحظة العابرة وتدوينها بدلا من التركيز على الشكل المجسم للاشياء ذاتها. وكان يقول ان "الضوء هو الشخصية الرئيسية في الرسم"، فانصبت

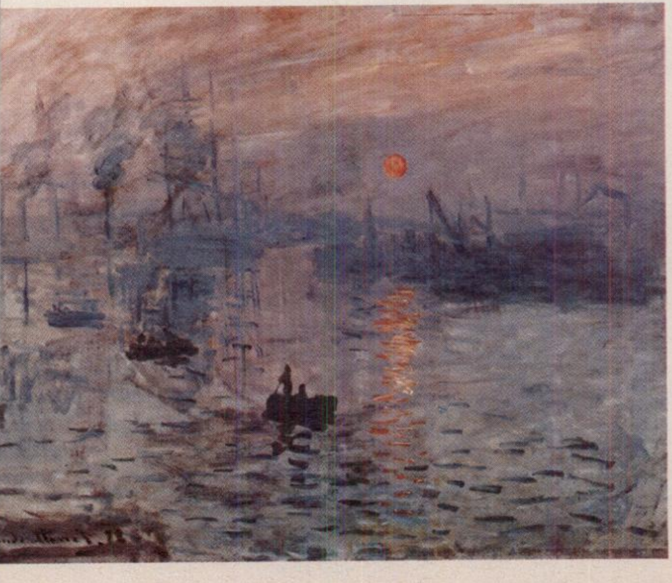

"انطباع: شروق الشمس" (١٨٧٢).

"حقول الخشخاش" (١٨٧٣)٠

جهوده باستمرار على رسم "جمال الأثير"، من دون ان يبالي، كما قال، "باستحالة" هذا الامر٠ وكان من محاولته الدائبة طوال حياته في هذا السبيل، انها افضت الى تلك الروائع البهيجة التي انتجتها ريشته وهي تلتقط اللحظات الخاطفة على الفور٠ فكأننا، معها، نتلمس باناملنا وعيوننا عبور السحابة الرقيقة التي تسوقها النسمات وراء "الفتاة حاملة المظلة"، او نستنشم الهواء المالح من خلال لوحاته عن مشاهد البحر التي يبلّلها الرذاذ٠

ولقد كان الرسم في الهواء الطلق حينذاك تجربة جديدة بالنسبة الى الفنانين، على أثر اختراع الالوان الزيتية الجاهزة للاستعمال في انابيب في منتصف القرن التاسع عشر٠ وكان مونيه في الثامنة عشرة من العمر، وقد خامره بعض الشك عندما دعاه رسام المشاهد الطبيعية المعروف اوجين بودان الى اجراء تجربة اولى في هذا المجال، فسرعان ما اقتنع بها ولما طلب منه، في ما بعد، أحد الرسامين الناشئين أن يأخذ على يده بعض الدروس، اجابه مونيه مشيرا الى السماء والاشجار والمياه وقال:

"هاك معلّموك، سلهم وانصت الى ما يقولون لك".

وغادر مونيه منطقة النورماندي - حيث امضى طفولته والمرحلة الاولى من شبابه - متوجها الى باريس لدراسة الفن، ولكنه انفصل عن معلمه الاكاديمي وراح يرسم في الهواء الطلق في شايي، على مقربة من غابة فونتينبلو، مع صديقه رينوار. الا انه لم يكن قد حقق بعد اتقان اسلوبه الثوري. وقبل منه صالون باريس الرسمي لوحات عدة، كما نال، وهو في السادسة والعشرين من عمره، ثناء أحد النقاد الباعث على التشجيع من أجل لوحته "السيدة صاحبة الثوب الاخضر"، وهي صورة صافية الملامح نابضة بالحياة لخليلته كميل دونسيو.

وكانت كميل رقيقة، ناعمة، ذات شعر داكن، واعتبرت مصدر الهام لمونيه طوال سنوات، غير ان والديه كانا ساخطين على هذه العلاقة. وعندما علما بمولد أول ابناء مونيه، جان، عام ١٨٦٧ قطعا عنه كل عون مالي فكانت النتيجة ان طردت الاسرة المعدمة من مسكنها مرة تلو أخرى. وقد كتب مونيه في هذا الصدد عام ١٨٦٩: "ثمانية ايام بلا خبز او فحم او نور". اما صديقه رينوار، الفقير الحال هو ايضا، فكان يهرّب الخبز من مائدة والدته ليقي اسرة مونيه الجوع.

صيف الابداع - ومع هذا، فقد تميز ذلك الصيف بانجازات ابداعية بالنسبة الى كل من مونيه ورينوار، اذ هما شرعا في محاولة لنقل وهج الشمس على المياه ورعشة اوراق الشجر، وراحا يرسمان بطريقة جديدة تستبعد المدارج اللونية الداكنة وتستخدم الشرطات والفواصل الدقيقة من اللون الصافي، فتتجاور وتتمازج حتى تبدو وكأنها تنصهر بعضها في البعض لدى النظر اليها من بعيد. وبهذه الطريقة تمت ولادة الرسم الانطباعي وان لم يكن قد اكتسب تلك التسمية بعد.

وتزوج مونيه بكيمل في العام التالي، وبعد انتهاء الحرب الفرنسية - البروسية في أواخر عام ١٨٧١، استقرا على ضفاف نهر السين في ارجنتوي. واخذ مونيه يرسم في الهواء الطلق يوماً بعد يوم طوال الاعوام الستة التالية، من دون ان تثنيه قسوة الجو، مهما بلغت، عن غيه. وعندما يتجمد نهر السين كان مونيه يغرس مسند قماشات الرسم وكرسيه في الجليد ويستحضر زجاجة من الماء الساخن ليدفىء اصابعه ويحررها من الخَدَر. وبينما كان يرسم ذات يوم على الشاطىء في "بيل - ايل-اون - مير"، واذا بريح اطلسية عاصفة، تندفع به وبمسند لوحاته وتلطمه بالصخور. ولا يزال من الممكن حتى الان رؤية آثار الرمال التي تذروها الرياح عالقة في بعض مشاهده البحرية.

ولقد اتخذ مونيه من قوة الثبات والاحتمال هذه عماداً له في العمل وسط عواصف حياته الخاصة وزوابعها، عندما اصيبت كميل بمرض عضال بعد ولادة ابنهما الثاني، ميشل، خلال عام ١٨٧٨. وعلى رغم ان مونيه اضطر الى القيام بمهمات التمريض والطهو، والعناية بالطفل، فهو كان يجد وقتا للتجول في الطرق محاولا بيع لوحاته الرائعة، في مقابل ثمن زهيد. وقد تمكن، حتى في تلك

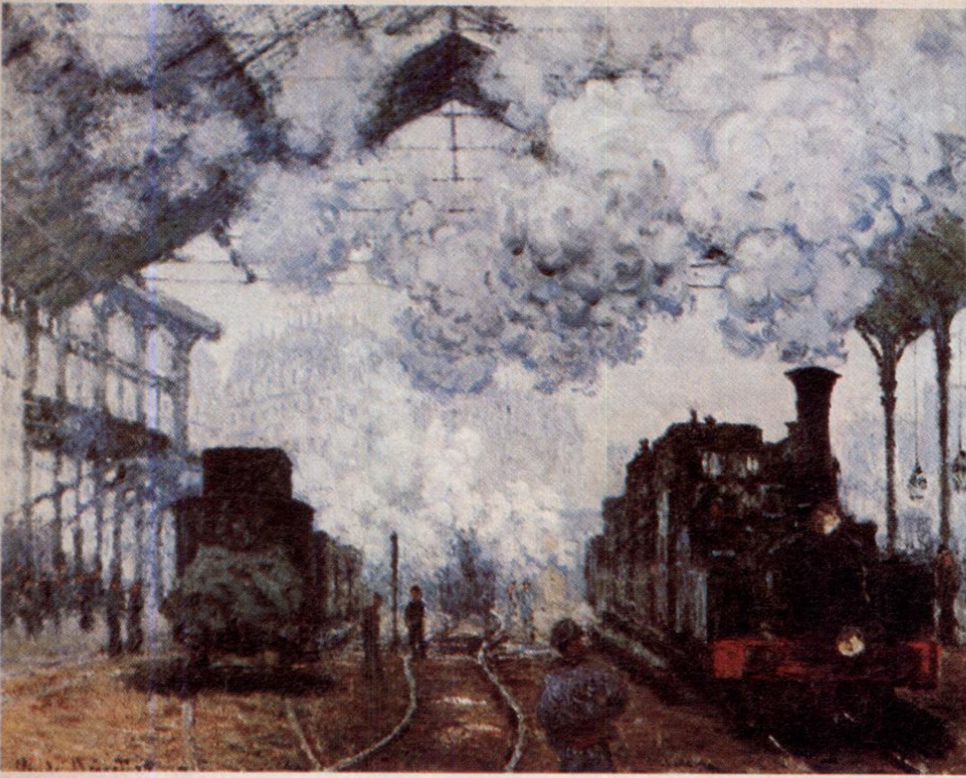

"محطة سان لازار" (١٨٧٧).

الظروف العصيبة، من انتاج لوحات تزهو بالالوان مثل "شارع مونتور غويل العارم بالاعلام"، وكاننا به يكاد يلوح بقبضته للقدر. وعندما توفيت كميل في العام التالي، وقد انهكتها المحنة الطويلة وهي لم تبلغ بعد السن الثلاثين، جلس مونيه في جوار سريرها يتملكه الأسى وترقب عينه الفنانة، من غير دراية منه، تبدل الملمح واللون على صفحات وجهها المضنى بفعل الموت.

وبحلول عام ١٨٨٣، اخذ الجمهور يتقبل فن الانطباعيين وعرض تاجر الاعمال الفنية بول دوران - رويل لوحات مونيه في باريس ولندن وبوسطن. وفي امريكا قبل أي مكان آخر، حيث كان مناخ الرأي العام مؤاتيا لتأييد الفن الجديد، اخذت بوادر النجاح الاكيد تطل على مونيه، فأقيم معرض نيويورك عام ١٨٧٦ وضم ٤٥ لوحة رائعة لمونيه. وكان هذا المعرض نقطة تحول بالنسبة الى هذا الفنان حيث بدأ هواة المجموعات يتهافتون على لوحاته. وحتى فرنسا اعترفت به كرجل عظيم واقترحت منحه وسام جوقة الشرف، الذي رفضه.

وللمرة الاولى، في الثمانينات، استطاع مونيه التمتع بحياة سعيدة. فما أن وجد نفسه وحيدا امام مسؤولية ولدين صغيرين، حتى أقام في منزل واحد مع الارملة اليس هوشديه وايتامها الستة. واهتدى الزوجان واولادهما الثمانية الى بيت ريفي متداع يبعد عن باريس حوالي ٧٥ كيلومترا، وحوله جدول يتعرج بين المروج، فأصبح المكان في نظر مونيه جنة على الارض، مما حمله على الاستقرار في جيفرني التي احبها ورسمها طوال ٤٣ عاما حتى وفاته.

وذات يوم، بينما كان مع ربيبته بلانش هوشديه في الحقول على مبعدة من البيت الريفي، راح مونيه يرسم ركاما من الحشيش المجفَّف عند الاصيل. ولم يلبث ان تغير الضوء بعد خمس عشرة دقيقة حتى تعذر عليه الاستمرار في الرسم، فطلب من بلانش ان تأتيه بقماش لوحة جديدة، ثم بأخرى، ثم بغيرها الى أن تمت ولادة تلك "المجموعة" الشهيرة، بعد ان وضع مونيه الخطوط الاولية لركام الحشيش المجفَّف في بقية ساعات النهار ومن ثم الفصول. وهو قضى عامين كاملين في درس ورسم واجهة الكاتدرائية الكبرى في مدينة روان.

هاوي المياه – غير ان المياه قد استهوت مونيه أكثر من اي موضوع آخر. فما ان استقر في جيفرني حتى بادر الى تحويل مجرى الجدول وصنع منه بركة زنرها بزنابق الماء، وظل يرسم البركة وزنابقها مرارا تلو مرار، طوال ثلاثين عاما، وكانت اللوحات تتزايد حجما وتزداد تجريدا بالتدريج.

وكان اعظم اصدقاء مونيه في سنواته المتقدمة، جورج كليمنصو رئيس وزراء فرنسا ابان الحرب العالمية الاولى. وقال له مونيه ذات يوم انه يحلم بصالة عرض مزدانة كلها بلوحات ضخمة تمثل زنابق الماء تتقوس دائريا حول الجدران، وكانت غايته انشاء ركن هادىءللتأمل في ضوضاء عالم مزقته الحرب. وشجعه كليمنصو.

غير ان عيني مونيه كانتا تزدادان ضعفا. وفي بعض الاحيان كان يشرط، وهو في ذروة غضبه، لوحاته التي يشعر ان فيها عجزا عن ترجمة رؤاه. واعلن مونيه مرة او مرتين عزمه على الكف عن الرسم، فكان رئيس الوزراء، على رغم تراكم اعماله، يهرع الى جيفرني ليحث الكهل على الاستمرار، قائلا له: "ارسم، ارسم، فهذه روائع!" وكان كليمنصو على حق. فالجميع يعتبرون اليوم ان "الزنابق المائية" التي قدمها الفنان الى الامة الفرنسية احتفالا بهدنة ١٩١٨، هي اعظم انجازات مونيه.

وتحسَّن نظره على أثر عملية اعتام عدسة العين، واستمر مونيه في الرسم حتى وفاته تقريبا عام ١٩٢٦. وظل يثور احيانا ويشرط قماش اللوحات. وكان يعبر بالكتابة عن نجاح رسم ما، بغبطة "لا توازيها غبطة في ذلك اليوم". وكان يعرف انه كاد ان يحقق بذلك حلم صباه "المستحيل"،في رسم"جمال الأثير".

فلقد جاء مونيه الى العالم بطريقة جديدة للعين المبصرة، شهد له بها صديقه سيزان عندما قال: "ليس مونيه سوى عين مبصرة، ولكن اي عين، يا الهي!".

■ جانيت غراهام

دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد اصطلاحات علمية متداولة في الكتب والمجلات والمطبوعات العربية.
وقد وضعت أمام كل كلمة أربعة معان، واحد منها فقط صحيح. والمطلوب من القارىء، اختبارا لمعرفته اللغوية - العلمية، أن يختار المعنى الذي يعتبره صحيحا، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

٠١ مَجَرّة: مجموعة نجوم - سفينة فضاء - مصب نهر - غيْمَة.
٠٢ دينامو: مُحَرّك - مصباح قوي - مُوَلّد - مُقَوٍ.
٠٣ هوائي: عاصفة - هاتف - بُركان - لاقط لاسلكي.
٠٤ دينوصور: سمكة ضخمة - من الزحافات - كوكب - فيل.
٠٥ بارومتر: مقياس ضغط - ميزان حرارة - مئة متر - مغناطيس.
٠٦ أوزون: أوكسيجين - عشب - قرد - جهاز لغلي الماء.
٠٧ مَرصَد: سفينة فضاء - مجهر - مدرج المطار - نقطة مراقبة.
٠٨ طُحْلُب: شجر كثيف - غشاوة العين - نبات بلا جذور - من التوابل.
٠٩ رقّاص: وتر صوتي - بندول - من أنواع النحل - عظمة في الاذن.
٠١٠ أزوت: سُمّ - كاز - مازوت - نيتروجين.
٠١١ خُسوف: هلال - احتجاب الشمس - احتجاب القمر - زلزال.
٠١٢ نَواة: خلية عصبية - سنام - دماغ - جزء من الخلية.
٠١٣ فُطر: جِلد - بطاطا - نبات محلّل - شجر صغير.
٠١٤ نَيْزَك: نَجْمَة - بَرق - شِهاب - نور خاطف.
٠١٥ ليزر: شُعاع قويّ - مصباح - رصاص - جرّار زراعي.
٠١٦ تابِع: حيوان اليف - نبات طُفَيلي - ذَكَرُ النحل - قمر.
٠١٧ نُشادِر: تِبْن - نشاء - أمونيا - أجزاء من الجِلْد.
٠١٨ خلِيّة: وحْدَة حيّة - عَظمَة فارغة - عَيْن - ذاكِرة.
٠١٩ تَحاتّ: قَضْم - زَحْف - تأكُّل - جَرَب.
٠٢٠ عَنبَر: مقدّم الصاروخ - مادّة شمْعيّة - نمر - مرساة.
٠٢١ مِخْلَب: إصبَع - ظفر - ناب - مقصّ.
٠٢٢ أحْفور: جُرثومة - فَجْوة - حَجَر مُتفتّت - بقايا مُستحْجرة.
٠٢٣ بروتيين: مادة غذائية - مخدّر - سمك - من محتويات التبغ.
٠٢٤ كُسوف: هلال - احتجاب الشمس - احتجاب القمر - زلزال.
٠٢٥ مِخْل: رافعة، طاحونة - عصير العنب - ضرس.
٠٢٦ بلُوتو: قمَر - بَحْر - مادّة مُشعّة - كوكب.
٠٢٧ الكترون: قوّة - سُرعة - ميكانيك - جُسَيْم ذرّي.
٠٢٨ كلوروفيل: شُعاع - سَمَكة - مادة خضراء - من الامراض.
٠٢٩ فَقْرَة: فجْوة - خرزة - نقص في الدم - كُويكب.
٠٣٠ مِزوَلَة: ساعة شمسية - أداة تشريح - رافعة - بوصلة.

الأجوبة الصحيحة

١٠ مجَرَّة: مجموعة نجوم. ومجرتنا تسمَّى "درب التبانة" وتضم، الى جانب الشمس، نحو ١٣٠ مليار نجمة.
٢٠ دينامو: آلة لتوليد الكهرباء.
٣٠ هوائي: جهاز لاقط للموجات اللاسلكية.
٤٠ ديْنوصور: أحد الزحافات الضخمة المنقرضة التي بلغ طول بعضها ثلاثين مترا.
٥٠ بارومتر: آلة لقياس الضغط الجوي.
٦٠ أوزون: أحد أشكال الاوكسيجين، جُزَيْئة ثلاثيّ الذرات. وهو يكوّن طبقة الجو التي تمتص الاشعة فوق البنفسجية.
٧٠ مَرصَد: مُنقْطَة مراقبة.
٨٠ طُحْلُب: أشْنَة. نبات له ساق وورق وليس له جذور حقيقية، ينمو في الاماكن الرطبة. أيضا: طُحْلَب وطِحْلِب.
٩٠ رقَّاص: بندول. جسم يهتز حول محور أفقي، وتضبط به حركات الساعة.
١٠٠ أزوت: نيتروجين. ويشكل نحو أربعة أخماس حجم الهواء.
١١٠ خسوف: احتجاب القمر حين تقع الارض بينه وبين الشمس.
١٢٠ نَواة: الجزء المركزي من الخلية أو الذرّة.
١٣٠ فُطر: نبات مُحلِّل لا يحتوي على الكلوروفيل.
١٤٠ نيزك: شهاب
١٥٠ ليْزِر: أشعَّة هائلة تستخدم في الجراحة وفي الصناعة.
١٦٠ تابِع: قمَر. جسم يدور في فلك كوكب.
١٧٠ نُشادِر: أمونيا، غاز ذو رائحة حادة يتكون من نيتروجين وهيدروجين، وتستعمل مشتقاته سمادا زراعيا.
١٨٠ خَليَّة: وحْدة حيَّة.
١٩٠ تحاتّ: تأكّل، تفتُّت.
٢٠٠ عَنبَر: مادّة شمعية تستعمل في صناعة العطور ويُظَن أنها تنشأ في أمعاء الحيتان.
٢١٠ مخْلب: ظفر، وخصوصا ظفر الاسد.
٢٢٠ أحفور: بقايا حيوان أو نبات من عصر جيولوجي سالف مستحجرة في الارض.
٢٣٠ بروتيين: مادة غذائية أساسية لبناء الاجسام، توجد في اللبن والبيض واللحم وسواها.
٢٤٠ كُسوف: احتجاب الشمس حين يقع القمر بينها وبين الارض.
٢٥٠ مخل، رافعة، آلة معدنية ترفع بها الاثقال وتقلع الحجار.
٢٦٠ بلُوتو: الكوكب السيّار الأبعد عن الشمس. أيضا: إله الموتى والجحيم عند الاغريق والرومان.
٢٧٠ الكترون: كُهَيْرب، جُسيم ذري ذو شحنة كهربائية سالبة.
٢٨٠ كلوروفيل: يخضور، مادة خضراء تلوّن النبات.
٢٩٠ فَقْرَة: خرزة من خرزات الظهر. أيضا: فقْرَة.
٣٠٠ مِزوَلة: ساعة شمسية.

المستوى

٢٥ - ٣٠: ممتاز
١٩ - ٢٤: جيِّد
١٣ - ١٨: مقبول

الـزواج السعيد والنعيم الجنسي

هل للجنس اهميته في السعادة الزوجية؟

■ بلغت ميجان (★) الحادية والاربعين من عمرها، ولم يحدث لها أبداً ان بلغت النشوة الجنسية. وعندما عقد ميجان وجون قرانهما، كانت تستمتع بممارسة الجنس مع زوجها، أما الان فقد أصبحت أقل مبالاة بهذه الممارسة. وهي لم تنبىء زوجها أبداً بأنها لا تبلغ النشوة وانه، ولا شك، سيندهش متى عرف ذلك.

■ ليزا وبيتر زوجان قلّما اتّسع لهما الوقت لممارسة الجنس، ولكنهما عندما يغادران المنزل في عطلة نهاية الاسبوع أو عندما يغيب أبناؤهما، فانهما يستمتعان بالاتصال الجنسي، وعندئذ يتملكهما العجب من احجامهما عن ممارسته بانتظام، وعن اعتباره عنصراً اساسياً في حياتهما.

■ بيتي وريتشارد متزوجان منذ سبعة أعوام. وقد حقق كل منهما تقدما بالغ السرعة في حياته المهنية خلال تلك الفترة. وهما كثيرا الأسفار والنشاط الاجتماعي. وأما حياتهما الجنسية فقد اصبحت راكدة مملة اذا ما قورنت بمجالات نشاطهما الاخرى. وفي واقع الحال، لو اخطرت بتي يوما بأنها لن تتمكن ابداً من ممارسة الجنس في ما بعد، لردت عليه بأن ذلك لا يزعجها على الاطلاق.

■ ستيوارت وكارولين زوجان في أواخر العقد السادس من العمر. ومنذ عشر سنين أصيب ستيوارت بمرض خطير تسبب، بعد شفائه منه، في قصوره الجنسي عن الانتصاب الا نادرا. وعلى رغم أن الزوجين يتبادلان الحب العميق، الا انهما لا يمارسانه أبداً.

(★) الازواج الاربعة والزوجات الاربع المذكورون هنا يمثلون نماذج مستقاة من الدراسة الخاصة التي قام بها معهد الاسرة العلاجي التابع لعيادة الطب النفسي الغربي في جامعة بتسبيرغ في ولاية بنسلفانيا.

CONDENSED FROM FAMILY CIRCLE (MARCH 13 79) (C) 1979 BY THE FAMILY CIRCLE INC NEW YORK N.Y

اذا ما اعترضتك أي من هذه المشكلات، فقد يطمئنك أن تعرف أن كثيرا من الزوجات والازواج السعداء يعانون حالات مماثلة. وعلى رغم ما نشهده هذه الايام من تركيز شديد على المشكلات الجنسية، فان الاتصال الجنسي الناجح والمتكرر الحدوث قد لا يكون له أهمية حاسمة في الزواج السعيد.

وقد اكتشفنا ذلك عندما درسنا مجموعة من ١٠٠ زوجة وأزواجهن يعيشون حياة زوجية سعيدة وتراوح أعمارهم بين بضعة وعشرين عاما وبضعة وستين عاما. وباعتبارنا أختصاصيين في علاج مشكلات الزواج والجنس، فقد اعتقدنا أن دراسة هذه الزيجات السعيدة المئة ستزيد من معلوماتنا فتمكننا على نحو أوفى من معاونة الزوجات والازواج الذين يقصدوننا لمعالجتهم، وهذا ما حملنا على مراجعة بعض المتطوعين ممن يشعرون بنجاح زواجهم، ولم يحدث لهم أبدا أن احتاجوا الى طلب المعونة من الاختصاصيين المهنيين لمواجهة اي مشكلات زوجية أو جنسية.

ولدى فحص الردود التي تلقيناها على استبياناتنا، تبين لنا أن أكثر من ٩٠ في المئة من أولئك الازواج والزوجات يرتبطون بعلاقات جنسية بعيدة عن الكمال في ما بينهم، ولكن أكثر من ٨٠ في المئة منهم وصفوا زواجهم بانه "سعيد جدا"، واستبعدوا كلهم تقريبا أن يكون افتقارهم الى النعيم الجنسي مشكلة بالنسبة اليهم، كما أن أحدا منهم لم يعرب اطلاقا عن حاجته الى التغيير. ومن هذا يبدو أن وجود مشكلة جنسية ليس بالضرورة مرادفا لوجود مشكلة زوجية.

ما هي المشكلات الجنسية التي تعترض الاشخاص "الطبيعيين"؟

كان بين الزوجات والازواج الذين شملتهم الدراسة نساء لم يبلغن أبدا مستوى هزة الجماع، ورجال لا يستطيعون بلوغ الانتصاب، ورجال ونساء يجدون أن اتصالهم الجنسي يفتقر الى الرقة الكافية. وكانت المصاعب التي تعترض الأداء الجنسي الناجح شائعة بينهم، ومن أكثرها مشكلة القذف المُبتَسَر (أكثر من ثلث الرجال) وصعوبة بلوغ هزة الجماع (نصف النساء تقريبا).

الا انه على رغم ارتفاع معدل تكرار هذه المشكلات، فقد أفادنا معظم النساء والرجال الذين تناولتهم الدراسة أن مسألة الأداء الجنسي الناجح من جانب الشريك تُعدّ، في نظرهم، أقل أهمية من العواطف التي يبديها او لا يبديها هذا الشريك اثناء الاتصال الجنسي. ومثال ذلك ان ريتشارد يبلغ مرحلة القذف على الدوام تقريبا قبل أن تبلغ زوجته بتي مرحلة الاثارة، وعلى رغم ذلك فان بتي تهتم في الحقيقة بالتقارب الحميم أكثر منها بهزة الجماع. وهي لا تشعر، "بالفراغ، والنبذ والاستهتار" الا عندما يهمل ريتشارد ضمها اليه برقة وحنان.

وليس الفشل في "التواصل" النفسي الا نوعا من الصعوبات الجنسية التي تحدث في زواج يُعتبر ناجحا من جميع الوجوه الاخرى. فمعظم المتزوجين يجدون أن لقاءاتهم الجنسية تتأثر لا بنوع مشاعر كل منهم تجاه الآخر في لحظة

اللقاء الجنسي فحسب، وانما هي تتأثر كذلك بضغوط العمل وبواعث القلق المالي وفوضى الاطفال المزعجين، كما تتأثر فوق كل شيء آخر بالاجهاد والتعب، اذ يصبح الانتقال من الحياة المزدحمة بالعمل الى لحظات الاسترخاء والتواصل الحميم أمرا بالغ الصعوبة في أحيان كثيرة، حتى بالنسبة الى الزوجين المتحابين. ومثال ذلك أن ٤٧ في المئة من الزوجات قد ذكرن أن "العجز عن الاسترخاء" يؤلف مشكلة مهمة في حياتهم الجنسية. واذا كانت أسباب الكبح الذاتي المستمر والمخاوف والشعور بالذنب تبعث على التوتر النفسي، فان من الصعب أيضا أن يتحرر الانسان من كل ذلك وينتقل على الفور الى حال التقارب النفسي الحميم بمجرد ان يغلق الزوجان باب حجرة النوم عليهما.

وأيا تكن أسباب الصعوبات الجنسية، فان الزوجات، في ما يبدو، هن أكثر تعرضا للمعاناة من ازواجهن". وقد ذكرت ثلث النساء المشتركات في الدراسة تقريبا أن الجنس لا يثير اهتمامهن، وأنهن يشعرن بأن الزوج يختار للاتصال الجنسي أوقاتا غير ملائمة، أو بأن الجنس يخمد لديهن الرغبة في التواصل الحميم.

أما الرجال فينزعون الى ذكر مشكلات تنم عن اهتمامهم المستمر بالجنس. ومثال ذلك أن المشكلتين اللتين ذكرهما الرجال أكثر من غيرهما هما: مشكلة نقص المداعبات التمهيدية (٢١ في المئة) والانجذاب الى نساء أخريات (٢١ في المئة أيضا). وذكرت ٣٨ في المئة من النساء أن قلة المداعبات التمهيدية أمر يزعجهن، كما كانت الشكوى الثانية الاكثر ترددا بينهن تشير الى تضاؤل الاهتمام بالجنس أكثر مما تشي بالرغبة في التمتع بممارسة جنسية أفضل.

غير أن المشاعر السلبية تجاه الجنس لا تؤدي في ما يبدو، الى اضعاف مشاعر المرأة نحو زوجها أو تجاه حياتها الزوجية. وعلى رغم ما ذكره الرجال من أن شعور الانجذاب نحو نساء يؤثر احيانا على علاقاتهام الجنسية بزوجاتهم، الا أنهم لا يستجيبون عمليا لهذه الاحاسيس الخيالية بالدخول في علاقات جنسية خارج نطاق الزواج.

الى اي مدى يتواتر الجماع في الزيجات السعيدة؟

ذكر اثنان في المئة من الزوجات والازواج السعداء في حياتهم أنهم لا يمارسون الجماع أبدا، وذكر ثمانية في المئة أنهم يمارسونه أقل من مرة واحدة في الشهر، وذكر سبعة وأربعون في المئة انهم يمارسونه ما بين مرتين وأربع مرات في الشهر، بينما قال ٣١ في المئة انهم يمارسونه مرتين أو ثلاث مرات في الاسبوع، وقال ١٢ في المئة انهم يمارسونه بمعدل أربع أو خمس مرات أسبوعيا، وذكر زوجان اثنان فقط انهما يمارسون الجماع يوميا.

وعلى رغم هذا التباين الشاسع، فقد ذكرت الغالبية العظمى من الزوجات والازواج أن معدل الجماع بينهم يتفق مع الوضع الامثل في نظرهم. ويبدو من ذلك أن القضية الجوهرية في الرضا الزوجي هي

التمكن من الوصول الى وضع مقبول من كلا الزوجين.

ما الذي ينبغي عمله لمواجهة المشكلات الجنسية في زواج تغمره السعادة من كل ناحية ما عدا الناحية الجنسية؟

اذا شئت أن تحيي صلتك الجنسية بالشريك، فلا بدّ من التفاهم معه في هذا الصدد. فالذي يدعم الزواج أو يحطمه ليس هو كمية الاتصال الجنسي أو نوعه، بل درجة الانسجام "والمواءمة" بين حاجات الشريكين الجنسية وأولوياتهما. وهذا التبادل الحميم لا يتحقق الا عن طريق التفاهم. كما أن من العناصر الجوهرية الاخرى في احداث التغيير المنشود تخصيص الوقت والمقدرة اللازمين.

حاول أن تحدد (أو تحددي) لنفسك ولزوجك بواعث شكواك ومتعتك. فهناك كثير من الناس يحرجهم او يخجلهم أن يطلبوا امورا محددة في هذا الصدد، ولكن الحديث والتجربة على أساس الصراحة التامة أمران حيويان، فليس هناك فرد واحد على الاطلاق يمكنه أن يعرف من تلقائه ما يروق شريكه. وأما في ما يتعلق بمراجعة الاختصاصيين المهنيين، فلا ينبغي الانتظار الى أن تتفاقم الصعوبات الجنسية التي تعانيها (أو تعانينها)، فان بعض الازواج والزوجات لا يحتاجون الا الى مجرد الاطار المنتظم الذي يوفره البرنامج العلاجي. ولا شك في أن الموعد الاسبوعي لمقابلة الاختصاصي (أو الاختصاصية) يعد بمثابة تذكير ممتاز بأنك تريد (أو تريدين) احداث تغيير في هذا الجانب من حياتك. وفضلا عن ذلك، فان خبرة الاختصاصيين والاختصاصيات في علاج مشكلات الجنس والزواج تتيح لهم أن يتبينوا الاساليب الكفيلة بمعالجة هذه المشكلات مما يتعذر اكتشافه على الزوج والزوجة بنفسيهما.

ولكن ربما كان من الافضل ترك الامور على ما هي، ما لم يشعر أحد الشريكين بأن الصعوبة القائمة تؤثر على سعادته تأثيرا سلبيا واضحا.

والخلاصة المهمة التي يمكن استنتاجها من هذه الدراسة هي أن الصعوبات الجنسية أمر طبيعي، وأن الجنس - في ذاته - لا يُعدّ عنصرا حاسما في سعادة الزواج.

■ **الين فرانك**
وكارول اندرسون

سر التعب

تقابلت صديقتان، فقالت احداهن للأخرى: "يبدو عليك التعب".

- نعم فزوجي مريض، وعلي أن اتابعه ليل نهار.

□ اتعنين انك لم تستأجري ممرضة؟

- بلى، وتلك هي المشكلة.

ا.ب.ب.

الماضي والحاضر: ثلاثة صينيين يقفون لتلتقط لهم صورة تحت تمثال أسد مكشرٍّ عن انيابه في قصر الصيف في بكين.

جولَـة صينيَّة في عشرة مشاهـد

قل من كتب عن الحالة الانسانية من الامريكيين بأبلغ مما فعل الكاتب المسرحي آرثر ميلر، الحائز جائزة بوليتزر ومؤلف "موت بائع جوّال" و"البوتقة".

وقد زار ميلر وزوجته، المصورة الفوتوغرافية اينجه مورات، الصين خريف ١٩٧٨ بدعوة من "اتحاد الشعب الصيني للصداقة مع البلدان الاجنبية".

هنا انطباعات عاد بها الكاتب من معاينته النضال الذي يخوضه بلد عريق ليصبح امة حديثة.

المشهد الاول

ما اسرع ما يتعلم المرء ان الأحمق من تصور انه قادر على فهم الصينيين سريعا. ومع ذلك، فانه لم يكد ينقضي يومان ونحن في صحبة كياو يو حتى تهتك الحجاب المسدل بين امتين منعزلتين الواحدة عن الاخرى، بفضل ما ابداه من فضول مشرّب بالودّ الى معرفة اي شيء عن حياتنا نحن الامريكيين. وكياو شاعر ومؤلف مسرحي التقينا به عن طريق اتحاد الصداقة، فوجدناه ذا رقة وكياسة لا تخذلانه في اي حال.

ذهبنا نحن الثلاثة ذات صباح برفقة دليلنا سو كوانغ، فنزلنا اربعة طوابق الى الأقبية الحجرية التي

CONDENSED FROM «CHINESE ENCOUNTERS» COPYRIGHT (C) 1979 BY INGE MORATH AND ARTHUR MILLER
PHOTOS (C) MORATH MAGNUM PHOTOS

ظلت، طوال قرون، مكامن تورات فيها الكنوز التي تضمها قبور الأباطرة من اسرة مينغ. هناك رأينا امرأتين في مقتبل العمر، متلفعتين بعباءتين سوداوين كراعيات الغنم الأندلسيات، اتقاء للرطوبة على ذلك العمق في باطن الأرض، تنفذان باكتئاب المهمة الموكولة اليهما، وهي الاشراف على السياح وزواد ذلك المكان.

سألت صديقنا الكاتب المسرحي عن سر اكتشاف تلك المقابر التي أظهرتها اعمال الحفر حديثا، فقال: "لقد خلف احد الأباطرة حجرا عليه وصف دقيق لموقعها. وقد عثر على ذلك الحجر اخيراً".

ولم تفتني المفارقة الماثلة، فقلت: "لقد تكبد ذلك الامبراطور تلك الكلفة كلها لكي يخفي الكنوز في مكان آمن. الا ان غروره غلب حرصه، فلم يستطع ان يردع نفسه عن ترك ذلك الحجر لأنه لم يطق ان تظل الكنوز خافية على الناس لا يشاهدونها ويعجبون بها". ونظر الي كلا الرجلين نظرة من بوغت بفكرة لم تخطر له. واستطردت: "وهكذا قادكم غروره الى قبره!" فضحكا، وفي ضحكهما دهشة فائقة، اذ انطوى الأمر على ما هو اهم من ذلك الامبراطور وقبره المخبوء، وهو تمكني من استقراء خلق ذلك الزعيم من تصرفاته العامة. والغريب ليس ان الزعماء والقادة يجب ألاّ تكون لهم شخصياتهم الفردية الخاصة، انما هو ان السلطة لا شخصية لها. وقد درّب الشعب الصيني على النظر الى اولئك الذين في القمة باعتبارهم مجرد نماذج تعبر عن قوى اقتصادية وسياسية.

وفي اطار تلك النظرة، بدا ما قلته عن خيلاء ذلك الزعيم القديم وما خلفته من عواقب، تصوراً لا سبيل الى التسليم بصحته. الا ان كلا من كياو يو وسو كوانغ أدركا انه تصور برهن عن صوابه ضحكهما الذي نبع من استمتاع بما تكشف لهما في تلك المفارقة من سخرية.

المشهد الثاني

من الساعة الأولى لنا في الصين، أغدق علينا الصينيون، انا وزوجتي، سيلا من حكاياتهم عن اعمال السلب والنهب التي قامت بها "عصابة الأربعة" (اي كيانغ كينغ، أرملة ماو، وثلاثة رجال، اتهموا أربعتهم بارتكاب اخطاء استراتيجية وبالفساد الخلقي). وبعد الصدمة الاولى التي ولدتها تلك الحكايات، بدا من المضحك ان تعزى العلل التي يعانيها بلد يبلغ عدد سكانه مليار نسمة - ومنها قلة المسرحيات والافلام المعاصرة واوضاع النقل العام المتردية والجهل المطبق بوجود اي عالم خارج حدود الصين - الى ثلاثة رجال وامرأة من اللجنة المركزية، اي الى اربعة اشخاص فقط.

وهكذا تبين لنا في النهاية صدق ما تنبأ به، منذ يومنا الأول في بكين، مراسل صحيفة كندية اذ قال: "توقعوا ان تسمعوهم ينسبون مسؤولية الاخطاء كلها الى عصابة الاربعة. لقد حضرت احدى المآدب التي اقيمت اخيرا. وعندما جلست على المقعد الذي قدّم اليّ، انهار بي، فنظرت الى الحضور وصحت: عصابة الأربعة! فارتعدوا جميعا من شدة الضحك!"

المشهد الثالث

كنا في مركب يطوف بنا بحيرة

كون مينغ المشمسة في قصر الصيف في بكين، قريبا من الشاطىء حيث ترسو سفينة المرمر. وهي ذات طابقين ودولاب تجذيف على جانبها، وتبدو اشبه بالمراكب البخارية التي تمخر عباب نهر المسيسيبي في امريكا.

لقد صنعت تلك السفينة لآخر امبراطورة من اباطرة الصين، بالأموال التي استولت عليها من شعبها لبناء اسطول لمقاومة الغزاة الأجانب.

ولم أكن اعرف، عندما حللت بالصين، ما عرفته بعيد ذلك، وهو ان الصينيين، كالفرنسيين، يعتبرون بلدهم مركز العالم، ولذلك لا يهتمون كثيرا بالسفر الى الخارج. فالجفاف والفيضانات والمجاعات، وما الى ذلك من كوارث، كانت - في الأغلب - هي التي تدفع الصينيين الى ما وراء حدودهم اكثر مما يدفعهم الفضول الى رؤية بلاد الآخرين.

المشهد الرابع

لم نستطع ان نصدق، انا وزوجتي، ان دليلنا ومترجمنا الذي لا يعرف الكلل، سو كوانغ، من رجال الشرطة السرية. فمن ناحية، كان في امكان زوجتي اينجه ان توقف السيارة حيثما شاءت او حيثما وقعت عينها على منظر وجدته جديرا بالتصوير، على رغم ان المناظر التي ارادت تصويرها لم تكن كلها مما يشبع خيلاء بلد متلهف على مطالعة العالم بأفضل ما فيه. ومن ناحية أخرى، فان صراحة ذلك الدليل اوقفتنا على انه أياً كانت نقائص الخلق الصيني، فان التفاخر ليس واحدا منها. وحين بدرت مني ملاحظة عن الدراجات وكيف يتركها اصحابها بغير سلاسل او اقفال، اخبرني سو كوانغ انها مؤمنة فعلا ضد السرقة بجهاز غير ظاهر للعين مركب فيها، يغني عن السلاسل والأقفال، وان حوادث سرقة الدراجات في الصين ليست بتلك الندرة التي تصورتها.

وعندما لاحظت ان الصينيين الذين شاهدتهم اناس يتصفون بالنظافة، قال سو: "الحقيقة ان بعضهم ليس هكذا. الا انه من الصعب ان يحافظ المرء دائما على نظافته". وسألته: "لماذا؟ هل الماء الساخن غير متوافر؟" فأجاب: "كلا، بل احواض الاستحمام ليست متوافرة".

المشهد الخامس

قررنا ذات صباح ان نذهب بمفردنا في جولة على الأقدام في شوارع بكين الخلفية. وفي تلك الجولة، ترك الفقر الظاهر على البيوت اثرا عميقا في نفسي. الا ان نشاط الناس وحيويتهم كانا مما لا سبيل الى انكاره، تماما كانتفاء الخوف والوجل من اعينهم وهي تحدق الينا. وقد صعدت رائحة الفحم المحترق الذي يطهون عليه طعامهم الى سقوف البيوت التي تشبه القوارب المقلوبة، فخلطت جوا من الصفاء بالقدم الذي تنطق به الابنية المتداعية. وعلى رغم الازدحام في تلك الشوارع، لم نجد اثرا للروائح الكريهة المألوفة في الاحياء السكنية الفقيرة.

وبينما نحن في جولتنا، طلع علينا فجأة، من احد الأزقة الضيقة، رجل عجوز توقف عندما رآنا. وبدا ان المباغتة اوشكت ان تفكك اوصاله. واخذ يرتعش وعيناه تدمعان.

وقبل ان نوجه اليه كلاما، سألنا

آرثر ميلر مع اعضاء فرقة المسرح الشعبي للفن في بكين وراء كواليس المسرح.

بانكليزية متعثرة عمن نكون وما الذي جئنا نفعله في ذلك المكان. ثم تدفق الكلام من فمه: "تصوروا! تصوروا ان يجدكم المرء هنا، هكذا، على قارعة الطريق، وان يستطيع التحدث الكيم! منذ عام واحد فقط لم اكن اجروء على الاقتراب منكم. كان الجيران احرياء بأن يحدثوا لي متاعب لا حصر لها". ونظر حوله بتحد، وكأنه يأمل ان يراه واحد من الجيران يتحدث الينا من دون ان يعدّ ذلك عملا غير مشروع. واستطرد: "لقد اضطهدنا طوال سنوات. وهذا يفسر ذلك الخوف الفظيع من الأجانب والمقت لهم". ثم اشرق وجهه بابتسامة: "وها نحن أولاء! نستطيع ان نقف معا ونتحدث عن اي شيء يخطر في بالنا!".

المشهد السادس

سألت سو كوانغ: "لم لا ارى اي رجل وامرأة يتلامسان أبدا؟".

فأجاب: "لأن ذلك ليس من تقاليدنا. هذا شيء لا نفعله امام الناس".

ومن حيث لا ندري، ظهر امامنا فتى وفتاة في مقتبل العمر، ووقفنا جنبا الى جنب ليلتقط صديق كان بصحبتهما صورة فوتوغرافية لهما. ورأيت الفتى يطوق كتفي صديقته بذراعه، فالتفت الى سو قائلا: "لقد اخطأت. انهم يتلامسون فعلا".

ولم يبد على سو انه سرّ كثيرا لذلك المنظر، اذ قال: "ليسا صينيين، انهما من ماليزيا!"

ولم اشأ ان اكف عن معابثته، فقلت: "وحتى مع ذلك، انت لا تقر فعلهما؟".

فقال مبتسما وهو واقع في حيرة ازاء الصراع الذي يعانيه: "كلا، لست

مستعدا للموافقة على مثل هذه الامور ... بعد".

وكنا اسفل الدرج العظيم الذي يهبط من ضريح صن يات - سن في نانكينغ. وعندما علم سو اني لم أكن انوي صعود ذلك الدرج، بل سأبقى معه في صحبة الروائي آي كسوين، تاركا اينجه تصعد وحدها مع احد المترجمين المحليين، انتابته سعادة غامرة.

وكانت المقاعد الحجرية التي تحف بأسفل الدرج مشغولة بمن جلس عليها، فاقترحت ان نجلس على احدى الدرجات. لكن صديقنا آي كسوين تقدم من ثلاثة اشخاص كانوا جلوسا على احد المقاعد وقال لهم: "اوسعوا مكانا لو سمحتم لهذا السيد، فهو صديق اجنبي للصين". وللتو قام الثلاثة، وكانوا اثنين من الشباب وامرأة في اواسط العمر معها طفل في الخامسة، تاركين لنا المقعد وهم يومئون لنا بسرور وكأنما انا صاحب الفضل لا هم، مشيرين الي بأن اتفضل فأجلس، ثم ذهبوا عنا واختفوا في الزحام.

والحقيقة ان اللطف الذي انطوت عليه تلك البادرة كدّره شعور قلق بأن ما حدث لم يحدث حقا، ناهيك بما انتابنا من غبن على اولئك الناس الذين اخذنا مقعدهم بهذه الطريقة. وخطر في بالي الحارس الذي يراه المرء احيانا في اخر مدرج السيارات في الفندق ممسكا ببندقيته في وضع استعداد وتأهب. ويكون هذا الحارس عادة جنديا صغير السن، تراه يحيي بهمة ونشاط كل سيارة مقبلة. وعندما استفهمت عما يحرسه الرجل، هز سو كتفيه تعبيرا عن الحيرة وقال: "ربما كان من مخلفات الأوضاع السابقة"، نافضا يده من ذلك الموضوع.

لكن عندما عدنا الى الوطن من رحلتنا الى الصين، التقينا بفتاة صينية الاصل، من مواليد سان فرانسيسكو روت لنا تجربة غريبة وقعت لاحدى بنات اعمامها مع واحد من اولئك الحراس. كانت ابنة العم تلك قد اشترت لنفسها سترة شائعة الاستخدام في الصين تدعى سترة صن يات - سن (وتعرف في الخارج باسم "سترة ماو") وسراويل مما ترتديه الفتيات في الصين. وبعدما ارتدت السترة داخل فندقها، ضفرت شعرها كما تفعل معظم الفتيات الصينيات وخرجت من الفندق. ولما عادت بعد وقت واخذت تصعد درج الفندق، اعترض الحارس طريقها ودفعها بعيدا. فلما احتجت أقذع لها السباب وسألها من تظن نفسها حتى تتصور انها تستطيع ان تدخل بتلك البساطة من عرض الطريق الى فندق فخم. واستغرق الامر وقتا قبل ان تتمكن الفتاة من اثبات هويتها واقناع الحارس بأنها صينية من وراء البحار. فاعتذر الحارس وقد انتابه القلق. وهكذا، فاذا كان في وسع الاجانب ان يتحركوا اليوم في الصين بحرية نسبية، فمن الواضح انه ما زال امام الصينيين انفسهم وقت قبل ان ترتفع من طريقهم الحواجز التي تمنعهم من ان يكون لهم مثل ذلك الحق.

المشهد السابع

بينما كانت السيارة تسير بنا في شوارع بكين الخلفية الهادئة الضيقة

والشبيهة بالمتاهة، تذكرت ان ١٥ في المئة فقط من الصينيين هم الذين يعيشون في المدن، وان السواد الأعظم يعيش "بعيداً هناك"، في الريف، بظهور محنية وايد تفلح الأرض كما كانت الحال منذ الأزل. فالمسافة بين الواقع الحالي والواقع الاقطاعي القديم ضيقة على نحو مذهل. ذلك لأن الانسان في ظل الاقطاع كان "يدين" بكل شيء للجماعة، اما في ظل الاشتراكية الصينية فلا يحق لأي انسان ان يغير محل اقامته الا بتصريح من اعلى لأنه "جزء" من الكوميون والمصنع والتنظيم الاجتماعي والمؤسسات الاخرى التي ينتمي اليها. فمفهوم الفرد الذي يمكن ان يتفرد حقا ويصبح ذا وجود مستقل عن الجماعة مفهوم يستحيل على العقل ان يتقبله هناك.

المشهد الثامن

كان كبير جامعي بطاقات السفر في قطار يانان - اكسيان السريع رجلا يشعر بأهميته الحكومية الهائلة ويحمل عبئها كأي محترف متمرس. انه "الشخص المسؤول" في ذلك القطار، وهو اشبه بقبطان باخرة من عابرات المحيط. رأيته ينحني انحناءة طفيفة وهو يفتح باب المقصورة ويدخل، وعلى وجهه المستدير ابتسامة وقار وفرح. وكانت سترته الرسمية المصنوعة من قماش قطني ازرق خفيف نظيفة ومكوية كيا جيدا.

كان الرجل يجول بين عربات القطار التي جلس فيها مسافرون اجانب، سائلا عما اذا كانت لديهم اي اقتراحات لتحسين الخدمة في قطاره. ووقعت عيناه على ديوان من شعر اسرة تانغ في الحقيبة الشبكية التي تضع فيها زوجتي مشترياتها. فاستأذنها واخرج الكتاب من الحقيبة، ثم سألها بدهشة: "من اين اشتريت هذا الديوان؟" فقالت "من محل لبيع الكتب في بكين". وقال الرجل وهو يقلب صفحات الكتاب: "لم اكن اعرف انه اعيدت طباعته". وبدا انه استغرق في قراءة قصائد ذلك الديوان الذي حوى اشعارا من ازهى فترات الثقافة الصينية منذ اكثر من الف عام. وكانت "عصابة الاربعة" قد حرمت نشر شعر تلك الفترة وتداولها، وهو من اشدأشعاراللغةالصينية اثارة للاعجاب، في محاولةلمحو ماضي الصين من ذاكرة الناس، بحجة ان ذلك الشعر يمجد الحكام الاقطاعيين القدامى واتباعهم. وبقينا، اينجه وانا وسو كوانغ، ملتزمين الصمت طوال عشر دقائق، او اكثر، فيما كبير جامعي التذاكر يقلب الصفحات، ووجهه ناطق بمنتهى النشوة، منتقلا من قصيدة الى اخرى. واخيرا وقف الرجل، كمن مر بتجربة ممتعة، وتنهد منتشيا ثم شكر انيجه اذ تركته يطلع على الديوان، وخرج من المقصورة.

المشهد التاسع

بعد العرض الذي قدمته فرقة المسرح الشعبي للفن في بكين لمسرحية جو مورو "كاي ون جي"، اصرّ كاو يو، مدير الفرقة، على ان اجلس مع اعضاء الفرقة لأناقش المسرحية معهم مناقشة جادة.

واصغى اليّ مدير الفرقة ذو الشعر الأسود، الذي بدا لي اشبه بديك نشط

لا يهدأ من فصيلة البنطم الضئيلة الحجم التي يراهن عليها الناس في حلبات صراع الديكة، على رغم انه في اواخر الستينات من العمر، وامر ممثلي فرقته بالتزام الصمت كيما استرسل في الكلام عن المسرحية. وذلك بالذات ما خشيت ان يحدث. فالمسرحية اثارت ضجري فعلا - على رغم جدتها وغرابتها - بما فيها من تكرار لا يرحم. وهو ما يبدو ان جمهور المشاهدين شعر به ايضا. فالتكرار يظل تكرارا، حتى وان كان في اللغة الصينية.

وفي النهاية قلت: "اسمعوا يا اصحاب. سنتحدث بصراحة. قد اكون جاهلا تاريخكم، وقد يكون لجهلي هذا اثره الذي لا ينكر على حكمي. الا ان المسرحية ذاتها تثير الملل". وعلى الفور اطلق قولي موجة من النظرات الناطقة بالروع والمباغتة على وجوه اعضاء الفرقة. وكانوا لا يزالون في ثياب العصور الوسطى الفضفاضة الباذخة الجمال، وقد زاد الماكياج الذي كان يغطي وجوههم حدّة الانفعال المرتسم عليها.

وسألني كاو يو وقد اتسعت عيناه دهشة: "لم تظن انها اثارت شجركَ؟".

وشجعني ما لمسته في الرجل من روح مهنية على ان ازج بنفسي كالمجنون في انتقاد مسرحية صينة، هناك شبه اجماع على انها من روائع المسرح الصيني، فقلت: "بدا لي ان الحكاية التي ترويها المسرحية كررت نحو اربع مرات او خمس مرات خلال الساعة الاولى. والواقع ان هناك مجموعة جديدة من الشخوص تعيد الحكاية كل مرة، لكنها لا تضيف الا القليل".

وترك كاو يو جزءا من ثانية ينقضي في صمت مطبق اثر قولي، ثم قفز فجأة وهو يصيح: "مرحى!" وانطلق ممثلوه يصفقون بحماسة وهم ينحنون انحناءات عميقة تجاهي، بينما كاو يو يقول: "لقد قضينا ستة اشهر في محاولة اكتشاف ما يجعل هذه المسرحية مملة، الى ان جاء هو وشاهدها مرة واحدة لا اكثر، فأوقفنا على مبعث الملل فيها!" وانطلق الممثلون يتكلمون في وقت واحد بلغط عظيم وقد اخذوا جميعا، بمنتهى الحبور، يكيلون اللوم على مؤلف المسرحية.

المشهد العاشر

لقد ادهشتنا الصين من عشرات الوجوه. ولعل اشدها تأثيرا في النفس ذلك الجمال الذي طالعنا فيه ملامح تلك البلاد. فالتعلق بالجمال يكاد يكون غريزة لدى الصينيين، حتى في الطريقة التي تصف بها امرأة صينية اعوادا من الكراث بعد غسلها في ماء غدير، اذ تنسقها على شكل مروحة. والطفل الصيني كائن يعتبر انتصارا للانسانية. اما كبار السن فيتحلون بضرب من الوقار ينبع مما يحيطهم من احترام يعتبر سنة من سنن المجتمع ومن مكونات تراث انساني كريم. كما ان في الصين تراثا من الشاعرية لا سبيل الى تصور ما يماثله في الغرب: ففي اي مكان آخر من العالم غير الصين يمكن ان يكون خط اليد الذي يكتب به زعيم من الزعماء مسألة مهمة؟ واين يمكن ان تثير رشاقة ذلك الخط مشاعر

الفخر لدى شعب ذلك الزعيم؟ واي شعب من شعوب العالم يتمتع بمثل فهم الصينيين العميق للطعام؟

الا ان ايا من تلك الملامح الآخاذة لم يعد يجدي في تحويل انتباه الصينيين عن مأزقهم. فالكل يقول لك ويكرر القول بطريقة تنبىء عن ان القول نابع من القلب ان الصينيين ما زالوا اسرى ميراثهم الاقطاعي.

في شنغهاي تحدثنا الى هوانغ زو لين، المخرج المسرحي، وهو فنان مخضرم في منتصف السبعينات من العمر انحدر من صلب اسرة ثرية (كان ابوه ممثل شركة "ستاندارد اويل" في الصين)، فعلمنا منه انه ارسل في مهمة طالت ثلاث سنوات، كان عمله خلالها اطعام الحيوانات، فضلا عن دراسة تعاليم ماو والاعتراف باحلامه المعادية للثورة.

قال لنا الرجل: "لقد حاولت ان اخلص نفسي من افكاري الثورية المضادة، على رغم انى لم اكن اعرف ان لدي افكارا كهذه".

حاولت ان اتصور منظر هذا الرجل المتمدن وهو يطعم الحيوانات ويجرف سمادها الطبيعي، فسألته عن حياته خلال تلك الفترة.

قال: "اسوأ ما في الامر انني كنت ارى زوجتي يوميا، طوال ثلاث سنوات، تعمل في حقل مجاور لا يفصله عن الحقل الذي كنت اعمل فيه الا غدير صغير، من دون ان استطيع مخاطبتها".

سألته: "اتظن ان مثل هذه الامور يمكن ان تحدث ثانية في الصين؟".

قال: "نعم، بكل تأكيد. ستحدث مرارا عدة. الا انها، في المرة المقبلة، قد تكون اقل تدميرا للاعتبارات الحيوية والخيرة".

اجل، فالرجل يعرف ان الماضي طويل طويل، وان المستقبل طويل مثله. والواقع ان عدم وقوع فاجعة في الصين قد يكون راجعا الى كل ذلك الزمن اللامتناهي الممتد الى الوراء والى الامام.

■ آرثر ميلر

الحق والعدالة

الحقوق هي الرداء الخارجي المتغير للتطور الانساني، اما العدالة فهي قلبه.

ماري غيلمور (كتاب "الشخصية الاوسترالية")

مساعدة الاصدقاء

كنت اتنزه في مدينة هاربن في منشوريا، فشاهدت طفلة لا يزيد عمرها على السنتين جالسة فوق سور في زاوية أحد الشوارع وهي تحاول ان تعقد شريط حذائها من غير ان تفلح في ذلك. ولما كان الصينيون يكثرون الحديث هذه الايام عن الحاجة الى "مساعدة الاصدقاء"، فقد قطعت نزهتي كي اساعدها.

وربما كنت أول غربي استطاعت الطفلة رؤيته عن كثب. لذا حدقت الي طويلا من دون أن يرف لها جفن، ثم نزلت عن الجدار وارخت عقدة الحذاء الاخرى، فلم أجد بدا من ان اعقدها لها من جديد.

ر.و.

القرحة، مرض العصر، لا تقتصر الاصابة بها على الرجال الذين تثقل كواهلهم الضغوط، فالنساء بل والأطفال الرضع معرضون كذلك للاصابة بهذا المرض

كلّنا معرّضون للأصابة بالقرحة

كانت الفتاة ذات الشعر المعقوص تقضم في تأن سندويش سجق مع خردل وتوابل وقد بدت كأنها طفلة. وبادرتني قائلة اعلم ان علي الا آكل هذا الطعام". وابتسمت ثم اضافت: "سأدفع الثمن بعد ساعة عندما تنتابني آلام القرحة".

هناك ميل الى الاعتقاد ان مرضى القرحة يكثرون عادة في اوساط مديري الاعمال النشطين، المتوترين، الذين يشعلون السيجارة من عقب الاخرى ويسرفون في الشراب وهاجسهم الوحيد هو الوصول الى القمة.

الا ان هذه الفتاة طالبة جامعية، لم تتجاوز الثامنة عشرة من عمرها وان حالها ليست باستثنائية، فعلى نقيض الاعتقاد السائد، ان القرحة كالانفلونزا، لا تصيب فقط مديري الاعمال الذين تجاوزوا مرحلة الشباب وارهقتهم مسؤوليات مناصبهم. فكل انسان معرض للاصابة بهذا المرض، حتى الطفل الرضيع.

وعلى رغم ان اكثرنا يتحدث عن قرحة المعدة، فان خمسين في المئة من القرح لا تصيب الغشاء المخاطي المغلف للمعدة وانما السنتيمترات الخمسة الأولى من المعي الاثني عشري، اي ذلك الجزء من الامعاء الدقيقة حيث تفرغ المعدة

CONDENSED FROM COSMOPOLITAN (MARCH '77) © 1977 BY THE HEARST CORP., 57 ST. AT EIGHTH AVE., NEW YORK, N.Y.

محتوياتها. (ينطبق اسم "القرحة الهضمية" على الحالين)

ان قرحة المعي الاثني عشري تكاد تكون غير سرطانية، في حين ان الحالات السرطانية المتولدة عن قرحة المعدة، ترتفع الى معدل ثلاث في المئة. واذا كانت القرحة غير الخبيثة "لا تتحول ابدا الى سرطان"، فان الحالات المستحكمة منها (اي حالات القرحة الثاقبة) قد تكون مميتة. ويطلق على ذاك النوع اسم القرحة الثاقبة لانها تحدث ثقبا في المعدة او في المعي الاثني عشري.

درس في التشريح - دعونا نأخذ درسا قصيرا في علم التشريح حتى نفهم اسباب الاصابة بالقرحة ونتعلم كيف يمكننا الحؤول دونها او معالجتها.

ان خلايا الغشاء المخاطي المغلف للمعدة تفرز احماضا قوية المفعول بالاضافة الى مادة "الببسين" التي تساعد على الهضم فاذا كنا نتمتع بالهدوء والسعادة فان معدتنا لا تفرز هذه المواد الهاضمة الا ساعة الأكل حيث يعادل الطعام مفعول الحامض. بيد ان هذه الخلايا المنتجة للحامض تستجيب لمنبه اخر هو العصب الكبير الذي يربط بين المخ والمعدة ويعرف بالعصب الحائر، فكلما شعرنا بالجوع او رأينا طعاما او شممنا رائحته او شعرنا بقلق او غضب فان هذا العصب ينقل اشارة من الدماغ تثير افرازات حمضية في المعدة.

وهكذا فان كنا متوترين معظم الوقت تدفقت الاحماض الى معدتنا طوال ساعات النهار لا في اوقات الاكل فحسب، حيث يعادل الطعام مفعول الحامض. وفي حال خلو المعدة من الطعام، فان هذه المواد الحمضية تؤثر على الغشاء المغلف للمعدة او المعي الاثني عشري محدثة فيهما ثقبا متقرحا يعرف بالقرحة الهضمية.

وقد لاحظ الاطباء، منذ اعوام، ان الارهاق الشديد يمثل دورا في الاصابة بالقرحة. وثبت اثناء الحرب العالمية الثانية ان القرحة الهضمية كانت من اهم اسباب العجز في صفوف القوات الكندية والبريطانية التي اضنتها المعارك. كما ان عدد ضحايا القرحة الذين عولجوا في المستشفيات كاد ان يتضاعف خلال فترات الغارات العنيفة على لندن. لكن العلاقة بين الارهاق والقرحة لم تحدد بدقة حتى الآن.

وكمثال على صعوبة التنبوء بالقرحة، اذكر مديرين عرفتهما يعملان في مجال التأمين:

مارشا، تبدو وكأنها تعيش حياة هانئة خالية من الهموم. فهي دائمة الابتسام تواظب على حضور الاجتماعات كلها.

بيل، يتحمل مسؤوليات مماثلة لها ولكنه كتلة اعصاب، لا يكف عن تناول الاقراص المضادة للحموضة. ايهما في اعتقادك يعاني القرحة؟

مارشا. ذلك ان القرحة مرض شائع في عائلة مارشا. وهي وان لم تكشف عن اساها مطلقا، امرأة قاست الامرين من خلافات زوجية جعلتها منفعلة باستمرار.

لماذا يصاب البعض بالقرحة تحت وطأة الارهاق بينما لا يتأثر البعض الآخر؟

تشير الدلائل الى ان الاحساس بالقدرة على الانجاز. قد يخفف من

الآثار المؤذية التي يولدها التوتر. فالشخص الذي يكافأ على عمله المضني بسخاء هو اقل عرضة للاصابة بالقرحة ممن يؤدي عملا يتطلب جهداً مماثلا من دون ان يكافأ على ذلك. فسبب القرحة اذا ليس الارهاق في ذاته وانما طريقتنا في مواجهة التوتر.

مؤشرات القرحة ـ كيف تستطيع الحكم اذا بان هناك ما يدعو الى القلق؟

ان المؤشر الاهم هو الالم البطيء الذي يَقْرُص الجزء الاعلى من البطن. وتزداد حدة هذا الالم في الليل عادة وبين الوجبات بحيث يبدأ في فترة تراوح بين نصف ساعة وساعتين بعد الأكل. والمؤشر الثاني هو توعك ما بعد الاكل. فاذا كنت لا تعاني الا عسر هضم بسيطاً فأن الاكل يشعرك بالانتفاخ في حين انه يشعرك بالارتياح الفوري اذا كنت مصابا بالقرحة.

ماذا يمكنك ان تفعل اذا ظننت انك مصاب بقرحة؟

اولا، تستطيع ان تطلب صورا بالاشعة للمعدة والمعي الأثني عشري. يمكن ايضا اجراء فحص بمنظار خاص (فايبر اوبتيك) يستطيع الطبيب بواسطته رؤية الغشاء الذي يغلف معدة المريض. اما اذا تعرضت لآلام حادة او تقيأت دما (وان مرة واحدة) او اذا تكررت اصابتك بأدوار عسر الهضم لمدة تزيد على اسبوع، فاذهب الى الطبيب فورا. فالقرحة اذا اهملت تحولت الى قرحة ثاقبة تسبب التهابا او سكتة وقد تؤدي الى الوفاة. كذلك فان الم القرحة قد يخفي سرطانا معويا ومن الحماقة تأجيل الفحص الطبي.

وتعالج قرحة المعي الاثني عشري في معظم الاحيان بينما يظل خمسون في المئة من قرح المعدة مصدر متاعب للمصابين بها. لماذا؟ لان هؤلاء ما ان يبدأوا الشعور بالتحسن حتى يرجع كثيرون منهم الى عاداتهم القديمة. فاذا اردنا القضاء على القرحة نهائيا يجب علينا الحد من التدخين والقهوة والكحول والاستمرار في تجنب الارهاق الذي لا داعي له.

فمنذ عشرات السنين فرض الاطباء على المصابين بالقرحة الالتزام بنظام غذائي مزعج يقوم على الاطعمة الخفيفة كالارز والجبنة البيضاء والهلام (الجلاتين). وقد تغير هذا العرف نتيجة البحوث التي اجريت اذ ثبت ان المرضى الذين يأكلون ما يشاؤون لا يتعرضون لنكسات القرحة الهضمية اكثر من اولئك الذين يخضعون لنظام غذائي معتدل.

الحليب هو الافضل ـ وهناك انواع عدة من العقاقير المسكنة لنوبات القرحة، ولكن عليك ان تحذر ايها تختار. فالبحوث الحديثة ترجح ان المركبات التي تحتوي على الكلسيوم قد تسبب "رد فعل حمضيا"، اي ان تلك المركبات تعادل الحامض اول الامر لكنها لا تلبث ان تؤدي الى مزيد من الافرازات. وقد يصف لك طبيبك دواء لتهدئة المعدة عن طريق الحد من التوترات التي ينقلها العصب الحائر من المخ الى المعدة. الا ان الحليب يبقى، بين كل هذه الاساليب، المهدىء الاكثر فاعلية.

ومعظم القرح تلتئم اذا ما نحن نفذنا ارشادات الطبيب التي توجز بالآتي: تناول الادوية بانتظام، الراحة ومن ثم، وهذا الاهم، الاسترخاء.

ولا يزال هناك مرضى يمضون ليالي تاعسة ويعانون آلاما مبرحة، على رغم كل المحاولات. فبالنسبة الى تلك الاقلية فان الجراحة هي العلاج. وقد تقتصر العملية على اغلاق الثقب. او تشمل استئصالا جزئيا للمعدة. ويعتبر استئصال العصب الحائر من العمليات الجراحية الشائعة حيث تقطع عن المعدة الاشارات التي تولد افرازات حمضية، وهذه الاشارات تصدر من المخ في حالات القلق الذهني.

ويقول الدكتور مورتون آي غروسمان، مدير مركز دراسة القرحة وابحاثها في لوس انجيلوس انه تم اكتشاف اقراص جديدة لعلاج القرحة قد تلغي الحديث عن العقاقير او الجراحة. وتحتوي هذه الاقراص على مواد تحد من افراز الحامض المعدي وتعجل بالتالي في التئام القرح، ومن الواضح ان العقار فعّال وان كنا لا نزال غير متأكدين من اضراره".

وهنا توصيات ينصح بها الخبراء من شأنها الحد من احتمالات اصابتك بالقرحة. وهي تتضمن بعض الاساليب الصالحة للتغلب على الارهاق.

١ - ضع حداً لتناول القهوة والكحول وكذلك التدخين. فلا اسوأ من قهوة من دون حليب بالنسبة الى المعدة الخاوية، فكلما زاد الحليب خف تأثير القهوة.

٢ - اذا شربت الشاي تجنب الاسراف في تناول ما يحويه من "كافيين" بعدم غلي الشاي كثيرا او بنقع الكيس (اذا كنت تشتريه في اكياس صغيرة) لمدة ثلاثين ثانية ثم تخلص من المنقوع. استخدم الشاي نفسه او الكيس نفسه لتحضير فنجان ثان خال من الكافيين.

٣ - تناول اقراص حامض استيل ساليسايليك لعلاج الصداع لا للوقاية منه. ذلك ان جرعة كبيرة من هذه الاقراص قد تهيج المعدة.

٤ - لا تؤجل عمل اليوم الى الغد. فان تراكم الاعمال اليومية يعقد اداءها ويزيد التوتر حدة.

٥ - اكثر من ممارسة الرياضة التي تخفف وطأة الارهاق والتعب. العب كرة المضرب او اركب الدراجة.

٦ - وفر لنفسك فترة هدوء كل يوم لتصفية ذهنك والحد من انفعالاتك.

٧ - مارس العمل الذي يمتعك. يقول الدكتور هانز سلي مؤلف كتاب "ارهاق من دون كرب": "يجب علينا البحث عن مهنة تناسب ميولنا وتجمع بين العمل واللهو فتكون مسلية ومفيدة وبناءة". وهو يرى ان "العمل الشاق لا يؤذي اذا كان من اجل شيء تحبه. ولكن لا بد من التأكد من انك تريد هذا الشيء حقا وبذلك تكون قد راهنت على الحصان الرابح".

٨ - يجب ان تدرك ان من المستحيل الوصول الى الكمال في كل شيء. ويقول كاتب اعرفه: "كلما وجدت نفسي مندفعا لأداء مهمات عدة في آن واحد، تذكرت مثلا لسلون ويلسون، وهو مؤلف كتاب "الرجل ذو البزة الصوفية الرمادية" "لا بد للمرء الذي ينشد وقتا للقراءة والكتابة ان يدع العشب ينمو طويلا".

■ سو براودر

حكايات صغيرة من العالم

التنبه للخطر

تبين استطلاعات الرأي الاخيرة تدنياً مستمراً في استهلاك السجائر في الجامعات الامريكية. فخلال السنة الدراسية ١٩٧٧ - ١٩٧٨، بلغت نسبة المدخنين في صفوف طلبة الدراسات الجامعية الاولية ٧ في المئة فقط بالمقارنة مع نسبة الـ٤٥ في المئة لعام ١٩٦٩. وفي جامعة مينيسوتا لم تزد نسبة المدخنين من طلبة الدراسات الاولية على الـ٢٠ في المئة، فيما تدنت الى ٥ في المئة فقط في جامعة هارفارد.

م.د.

مظلة جديدة

صمم المخترع الفرنسي جيرار زيفينيه مظلة انقاذ للبنايات الشاهقة والسيارات ذات السلالم العالية وغيرها من الاماكن المرتفعة. والمظلة بسيطة ومأمونة بحيث يمكن ان يستخدمها الاطفال والمصابون وكبار السن.

انها انبوب مقاوم للاشتعال ذو شكل واسلوب عمل فريدين. ولهذا الجهاز المبتكر ثلاثة "اكمام" اصطناعية متداخلة. وقد تم تسويقه في فرنسا واسبانيا وبلجيكا وهولندا. وما على الناس عند الحاجة الا ان يدخلوا في الكم ليتزحلقوا نحو الارض. فالجهاز اضيق قليلا من الجسم البشري المتوسط، لكنه يتسع بدخول المرء فيه ويحتضن الجسم اذ يسلط عليه ضغطا مطاطيا يخفف من سرعة سقوطه.

ويمكن ان يثبت الجهاز خارج سطح بناية او سيارة ذات سلم ويطوى حتى تحين الحاجة اليه. وفي الداخل يشبك باسطوانة مضادة للحريق بحيث ان حجمه الاجمالي لا يحتل مكانا كبيرا، كما ان النسيج الاصطناعي الذي يتألف منه لا يسبب حروقا لدى احتكاك الجسم به. ويمكن ان يتزحلق من خلاله ثلاثون شخصا كل دقيقة، مما يعني ان بناية مزودة بـ٢٥ كماً يمكن ان تخلى من ٧٥٠٠ ساكن خلال عشر دقائق.

ب.ل.ب.

البرازيل الشابة

لعل البرازيل اكثر البلدان "حداثة" في العالم اليوم، اذ ان اكثر من نصف سكانها البالغ عددهم ١١٦ مليونا تقل اعمارهم عن العشرين سنة.

س.ج.هـ.

لورنس أوليفييه
سيّد المسرح والشاشة

يأبى هذا الممثل الفذّ ان ينحني امام زواحف المرض والهرم، ويهبّ في وجهها هبة ملك شكسبيري ليصارعها بضراوة ومهارة

جلس لورانس اوليفييه ذات مساء امام المرآة في غرفة تبديل ملابسه في أحد المسارح اللندنية وراح يبدّل سمات وجهه بالماكياج المعقّد الذي يتطلبه دور ريتشارد الثالث حين وصلت اليه الهدية غير المتوقعة. انها سيف من أشهر السيوف في انكلترا، نقشت عليه الكلمات الآتية: "تقدمة الى لورانس اوليفييه من صديقه جون غليغود اعترافاً بمواهبه في تمثيل دور ريتشارد الثالث على خشبة مسرح نيو تياتر عام ١٩٤٤".

وكاد اوليفييه يصعق من فرط دهشته. فأول من امتلك هذا السيف المتوارث هو الممثل ادموند كين الذي امتشقه في دور ريتشارد الثالث، ثم انتقلت ملكيته الى هنري ايرفنغ الذي برع في الدور نفسه. وبقي عظماء المسرح يتوارثونه الى ان بلغ يدي جون غليغود الذي تربّع ملكاً على عرش التمثيل طوال خمس عشرة سنة. وها هو يقدم سيفه اجلالا لتمثيل اوليفييه البارع في دور ريتشارد، متنازلا عن عرشه لملك المسرح

CONDENSED FROM NEW YORK TIMES MAGAZINE (MARCH 25 '79) (C) 1979 BY THE NEW YORK TIMES CO. NEW YORK, N.Y.

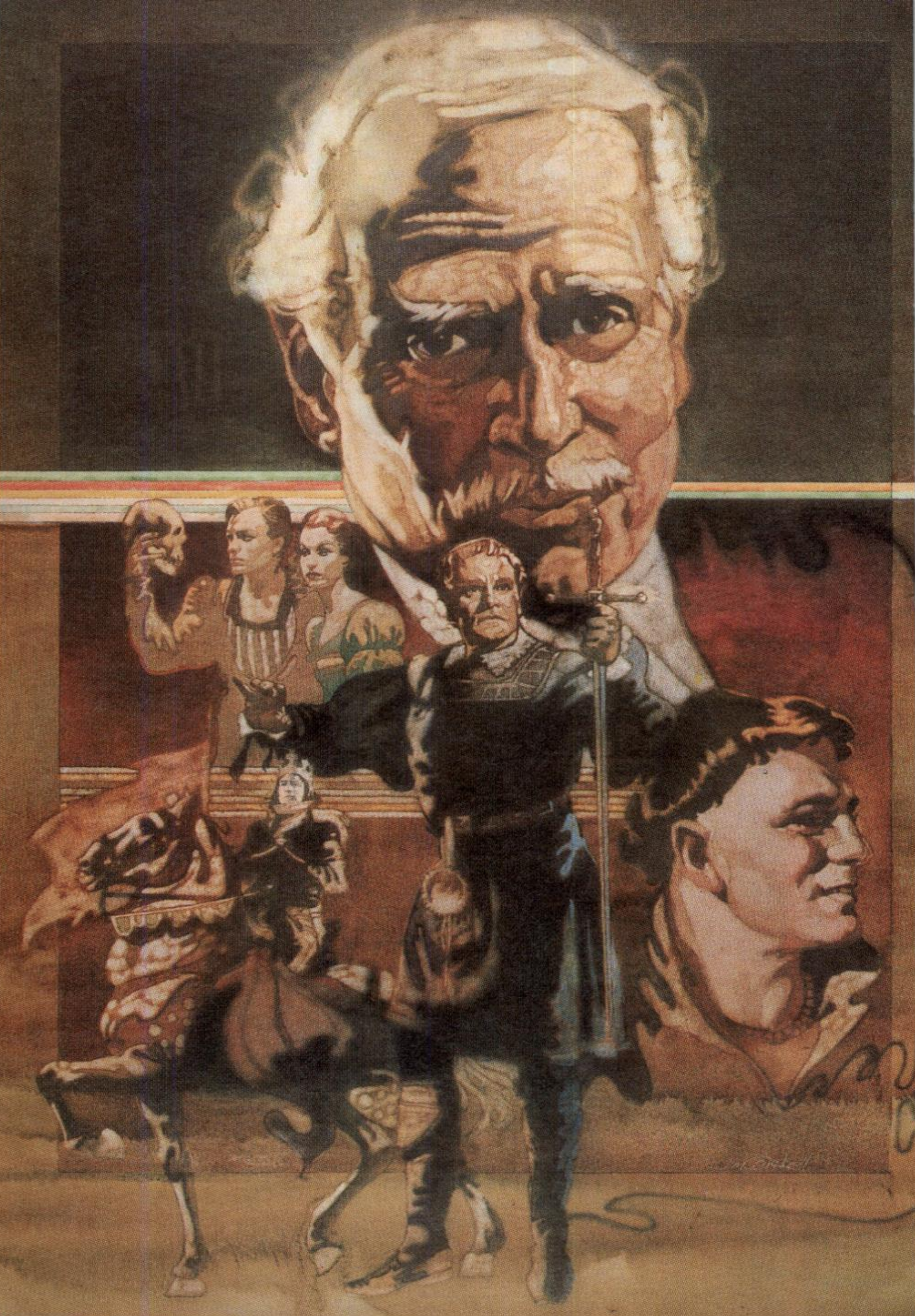

الجديد. وقد غدا السيف رمزا دائما لسلسلة من الاسماء الخالدة في عالم المسرح. ولكن من ذا الذي سيحظى بذلك السيف الشهير الذي لا يزال في حوزة اوليفييه؟ "لا أحد"، يقول اوليفييه، "انه ملكي".

والحق انه ليس هناك ممثل شكسبيري يحظى بمكانة اوليفييه وشهرته العالمية. ولم تشهد جماهير النظّارة بعد رجلا تغلغل الطموح في نفسه مثل اوليفييه في دور ماكبث، ولا خؤوناً يدعو الى الرثاء مثله في دور شيلوخ، ولا نبيلا ذا طباع بدائية مثله في دور عطيل. ولقد قدّم على الشاشة الفضية من اخراجه وتمثيله "هنري الخامس" و"هاملت" و"ريتشارد الثالث". ويذكره ملايين الناس رجلا نزّاعا الى التأمل والاكتئاب في دور هيثكليف بطل "مرتفعات وذيرينغ"، ومتغطرسا وسيما في دور السيد دارسي في رواية "الكبرياء والتحامل"، وزوجا للممثلة فيفيان لي في دورها الخالد "سكارليت اوهارا".

واوليفييه هو أول ممثل في تاريخ بريطانيا يصبح عضوا في مجلس اللوردات. لكنه يفضل لقبه الفروسي الادنى مرتبة، وهو "سير لورانس"، على "لورد اوليفييه". وقد نال في شهر ابريل (نيسان) ١٩٧٩، وهو في الثانية والسبعين من عمره وبعدما سلخ من حياته ٥٤ عاما في احتراف التمثيل، جائزة "اوسكار" فخرية تقديرا لانجازاته الفنية، اضافة الى الاوسكار التي نالها عام ١٩٤٦ على فيلم "هنري الخامس". وبعد ذلك بسنتين تسلم جائزة افضل ممثل وافضل فيلم سينمائي حين قدّم الى العالم فيلم "هاملت" من اخراجه وتمثيله. وقد رُشّح هذا العام في هوليوود مرّة أخرى كأفضل ممثل في العالم لدوره في فيلم "صبيان البرازيل".

واستطاع اوليفييه ان يواصل نموه وازدهاره كفنان على رغم صراعه العنيف مع السرطان والجلطة الدموية والالتهاب العضلي وانسداد الكلية واصابته مرارا بذات الرئة. وظل، كلما رمته الايام بعلّة، يهب في وجهها مكافحا بعزيمة ضارية وحماسة لا تلين.

واذ استبدّ بي حب الاستطلاع لمعرفة السر الذي مكّن اوليفييه من تدبير شؤون حياته الفنية على نحو ضمن بقاءه في أعالي قمة الفن زمنا طويلا، فقد حملت نفسي على السفر الى مدينة البندقية حيث يجري تصوير فيلم جديد للمخرج جورج روي هيل بعنوان "اقصوصة حب"، يضطلع فيه اوليفييه بدور البطولة.

وكان أول ما ابصرت لدى وصولي عدسات آلات التصوير مصوبة داخل بوابة كاتدرائية القديس بطرس باتجاه سلم في أعلاه باب صغير يخرج منه صبي وصبية ينزلان درجاته ويختفيان. واذا بي أرى اوليفييه يندفع وراءهما، حتى اذا بلغ رأس السلم وهمّ بالهبوط، صاح المخرج: "اقطع". ويتهاوى اوليفييه الى كرسيه ويجلس مراقبا الممثل البديل وهو يقفز فوق الدرجات متعقبا الصبي وفتاته. بيد ان قفزته لا ترضي اوليفييه الذي يستدعيه وينزوي به جانبا ويعلمه بتؤدة كيف يجب ان

تركض تلك الشخصية، موضحاً ما يعنيه بحركات بطيئة قائلا: "لا يكفي ان تركض، بل يجب ان يبدو لنا بوضوح انك تركض".

ويحضرني هنا ما فعله اوليفييه خلال تمثيله دور هاملت حين قفز مسافة ثلاثة امتار ونصف متر متعقبا ملك الدانمرك لقتله. اما في دور كوريولانوس فقد رمى بنفسه، اثناء مشهد احتضاره، الى الوراء فوق مجموعة متصلة من درجات السلم. وها هو الان لا يقوى على العدو الا بفكره، وهو في حاجة الى بديل.

وبادرني المخرج هيل: "لاري (وهو اسم يطلقه الناس على اللورد اوليفييه تحببا) لا يزال واهن القوى بعد مرضه الاخير. وهناك مشهد آخر يقتضي ركوب دراجة، ولكني لا اخاله قادرا على ركوبها. ولهذا صنعنا له دراجة خاصة تمكّنه من الركوب بأمان".

وبعد قليل اقترب اوليفييه وحيّاني بأدب جم، قائلا: "كيف حالك؟"

يا لشعره الذي لا يزال حالك السواد والذي ُصبغ بألوان المشيب من أجل هذا الدور! اما عيناه فهما مزيج غريب من الاخضر والرمادي. وهما لا تسايران نبرات صوته ترحيبا او دفئا، بل تحدّقان اليك من دون حدقتين، كعيني سمك القرش عنفا ووعيدا. واحسست كأن في أحشائه جيشانا عاطفيا عميقا قد يتفجر بالغضب او الحب او الشهوانية او الزهد، لكنه كان قابضا على زمامه بشدة.

مسرح الصناديق الخشبية ـ قال موس هارت، المؤلف والمخرج المسرحي في برودواي، انه يكاد لا يعرف ممثلا واحدا لم تكن طفولته تعسة. فهل يصدق هذا التعميم على طفولة لورانس اوليفييه؟

- نعم. ولئن لم أختبر الظلم والقسوة في بيتي، الا اني كنت أتوق الى الانعتاق منهما، لان الفقر الذي كابدناه كان فقرا مستورا. وهو، في نظري، أسوأ من وجوه عدة من الفقر الظاهر في الاحياء القذرة. وغدت فكرة الولوج الى المسرح بالنسبة اليّ حلما بعيد المنال يشبه الطمع بالجنّة.

وتبلور قرار احترافه الفنون المسرحية وهو في السادسة عشرة من عمره حين رحل اخوه الاكبر ريتشارد الى الهند ليعمل فيها مزارعا في حقول الشاي:

- شعرت وقت رحيله بتعاسة خانقة، خصوصا لان امي كانت قد توفيت قبل ثلاث سنوات. وعصر رحيله استحممت في الحوض نفسه الذي اغتسل فيه والدي توفيرا للماء. وسألت والدي في تلك اللحظة: "متى يمكنني اللحاق بأخي ريتشارد؟" فأجابني: "لا تكن أحمق. أنت ستصبح ممثلا".

وذهل اوليفييه اذ لم يخطر في باله ان اباه، الكاهن الانغليكاني، يمكن ان يتفهم ما يدور في خلد ولده، حتى وان برزت نزعاته المسرحية منذ عامه السابع حين حوّل بعض الصناديق الخشبية الى المسرح الاول الذي تطأه قدماه وقدم فيه روايات من تأليفه. وقال والده: "أظن ان حب التظاهر بكونك شخصا آخر هو الخلجة الاولى التي يبدأ فيها التمثيل".

وفي العاشرة من عمره لعب

اوليفييه دور بروتوس في مسرحية "يوليوس قيصر" التي قدمتها مدرسته. واسترعى في تلك السن المبكرة اهتمام الممثلة الشهيرة ألن تيري التي كتبت في يومياتها الخاصة العبارة الآتية: "ان الصبي الذي قام بدور بروتوس هو ممثل عظيم حتى في هذه السن".

وحين بلغ اوليفييه السابعة عشرة، فاز بمنحة دراسية لمدة عام واحد لدراسة التمثيل على يد الممثلة المعروفة السي فوغيرتي في المدرسة المركزية لفنون الخطابة والمسرح. وتتلمذ بعدئذ ثلاث سنوات على خشبة فرقة "ريبيرتوري تياتر" في بيرمنغهام بين ١٩٢٦ و١٩٢٨ حيث تعلم عددا من الادوار العظيمة.

أكثر فأكثر ـ عاد اوليفييه الى انكلترا بعد رحلة أولية قصيرة الى هوليوود عام ١٩٢٩. واشترك، خلال عام واحد، في ست تمثيليات مخفقة ثم اختاره المؤلف المسرحي نويل كوارد للتمثيل في مسرحيته "حيوات خاصة". واختاره في وقت لاحق الممثل والمخرج جون غيلغود للاشتراك معه في مسرحية "روميو وجولييت". والطريف انهما تبادلا تمثيل الدورين الرئيسيين في هذه المسرحية، حيث كان الواحد منهما يؤدي في احدى الليالي دور روميو بينما يؤدي الآخر دور ميركوتيو، ثم يعكسان دوريهما في الليلة التالية. وبين عشية وضحاها اصبح اوليفييه اسماً تلهج به الألسن.

وبعدما أنهى الخدمة العسكرية برتبة ملازم في سلاح الجو التابع للاسطول البحري، عاد اوليفييه الى المسرح عقب انقطاع دام سنتين، وانضم الى فرقة "اولد فيك" ولعب دور ريتشارد الثالث، الشخصية المتميزة بالقسوة والطموح، عام ١٩٤٤. على ان الهتافات التي تعالت في ختام العرض الاول لم تحرّك مشاعر اوليفييه كثيرا. لكنه احسّ، في العرض الذي قُدّم بعد ظهر اليوم التالي، بانفعال عظيم بين الحضور. وعلى هذا يعلق: "للمرة الاولى منذ ١٩ عاما أحسست بما يدور في خلد الجمهور". ويخفض اوليفييه صوته ليستحيل همسا:

"أحسست بالمتفرجين يتهامسون كلما اقترب موعد ظهوري على خشبة المسرح: سيجيء الآن".

لكن اوليفييه يعتبر هذه الادوار الشكسبيرية الرئيسية "وحوشا مفترسة". وقد أشار ذات مرة الى "افتراس" تلك الادوار للممثل عندما قام بدور عطيل: "انك تهبُ هذه الادوار كل ما لديك، وتكاد مع ذلك تسمع صوت المؤلف يصيح بك: "هل سخوت بكل ما عندك؟"

يبني اوليفييه شخصيات ادواره بانتقاء خصال واساليب وافكار وصور معينة من مشاهداته، ثم يغوص بها الى عمق مجهول في نفسه حتى يجد تلك الشخصية تمتلكه من داخل. لكنه حريص على الجمع بين النزعة الفكاهية الكوميدية والنزعة المأسوية بحيث ينتزع الضحكات انتزاعا وهو يمثل مُسوخاً بشرية مثل تيطس اندرونيكوس وريتشارد الثالث. ويقول هنا: "من الاهمية بمكان لممثل التراجيديا ان يجيد فن الكوميديا، وأنا أحب الكوميديا بمقدار ما أحب التراجيديا".

وفضلا عن ذلك سئل أوليفييه: "هل يمكن ان يصبح الدور الذي تلعبه هروبا من الحياة؟"، فأجاب: "نعم. ولكم اختبرت مواقف شعرت فيها بأني "منبوذ تعس للغاية"، على حد تعبير اوفيليا في "هاملت"، أي بأني انسحق في هوة من الشقاء المطلق لان حياتي غدت نقطة التقاء بين الاشمئزاز مما اختبره في اللحظة الراهنة والشعور بالذنب لما انا مزمع على فعله. ولهذا فان قدرتك على القول "اني خلال الساعات الثلاث القادمة سأصبح كوريالينوس - لا شيئا شبيها بي او بأي من مشكلاتي الخاصة" هي لعمري نعمة كبرى للممثل.

وفكرت لدى سماعي هذا الرد بالممثلة فيفيان لي التي تزوجها اوليفييه عام ١٩٤٠، وبنضالها المحموم من أجل ان تجاري عظمة زوجها على المسرح الى أن أُصيبت بمسّ انقباضي، اي بحالة اكتئاب نفسي خطر. وقد احبَّها اوليفييه أعظم حب في حياته. وظل هو بالنسبة اليها "لاري الحبيب، الجميل، المشعّ، اللامع" حتى ساعة وفاتها. ومع ذلك، فقد هجرها اوليفييه بعد زواج دام عشرين سنة وهي في السابعة والاربعين من العمر، مذهولا امام مرضها العقلي. وتوفيت فيفيان لي بعد مرور سبع سنوات على طلاقها. ويقول اوليفييه:

- قد تصل بك الحياة الى مرحلة اشبه ما تكون بالاختيار المرير وانت في قارب نجاة لا يتسع الا لشخص واحد. عندئذ تراك تنزع اليد المتشبثة بالقارب، والا هلك الاثنان معا.

ان اوليفييه لا يزال متزوجا من الممثلة المعروفة جوان بلاورايت التي انجبت له ثلاثة اطفال: ريتشارد (١٧ عاما)، تامسين (١٦ عاما)، جولي كيت (١٢ عاما). وله ابن آخر - تاركوين - من زوجته الاولى الممثلة جيل ايزموند.

- ينبري الناس الى انتقادي في الصحف حين اشترك في بعض الافلام، ويتساءلون: "لماذا يتردّى اوليفييه الى مثل هذا الابتذال؟" سأنبئك بالسبب: اني افعل ذلك كيما ادفع اقساط مدارس اطفالي وأصرف على اسرتي وأؤمن على مستقبلها. وليس في وسعي الان ان أكرّس حياتي للمسرح لاني فقدت تلك المزايا الجسدية التي يتطلبها الجهد المسرحي.

لقد بدأ صراع اوليفييه مع السرطان الخبيث (في غدة البروستات). لكنه يذكر أنه خاطب ذلك الداء بالحرف الواحد: "تبا لك. لن تفلح والله في حملي على أن أتبعك. أغرب عن وجهي".

وأصيب في وقت لاحق بجلطة دموية في ساقه اليمنى جعلت وزنها يفوق وزن ساقه السليمة بتسعة كيلوغرامات. وتبع الجلطة التهاب عضلي اعجزه حتى عن الوقوف: "حاولت ذات يوم ان أنهض بالقوة من فراشي فارتطمت عيني بطرف السرير. وخافت جوان زوجتي وظنت انني انتهيت كليا. وفعلا كدت انتهي".

وعندما أدخل اوليفييه المستشفى، توقع الجميع ان يمكث فيه فترة لا تقصر عن ستة أشهر او تسعة. لكنه

قهر المرض مرة أخرى وخرج في غضون ستة عشر اسبوعا. الا انه ابتلي بمرض آخر هو انسداد الكلية بالانسجة الليفية، مما اقتضى اجراء عملية جراحية. وهو يعلق بالآتي: "لم اتماثل للشفاء كليا بعد. ولا أزال مربوطا بأسلاك تحدث اصطكاكا في جسمي لدى الحركة. لكني اؤكد لك بيقين ان في امكاني ركوب الدراجة".

صيحة الحرب – لم اكتشف معنى ما قاله اوليفييه الا في وقت لاحق حين ابصرت سيارة ستروين فضية رمادية تتوقف على قمة الهضبة المطلة على فيرونا، واجتليت في صندوقها دراجة عادية. وفي تلك اللحظة خرج اوليفييه من السيارة وسأل سائقه اليوناني: "هل تراه يا اوريستيس؟"

ولا شك في ان الضمير عائد الى جورج روي هيل، مخرج الفيلم، لان اوليفييه اراد ان يتجنب لقاءه تلك اللحظة. وأردف اوليفييه: "أنا لا اريده ان يحوّم حولي مثل دجاجة مهمومة تذود عن صغيرها".

والواقع ان اوريستيس سمع هذا القول للمرة الاولى يوم أبصر اوليفييه الدراجة التي صنعت خصيصا له خشية وقوعه. وهي تبدو كأي دراجة أخرى، ولها دوّاستان، الا انها تسير بمحرك آلي خفي. وهو لم يشك مطلقا في مهارة صانعيها، الا انه كرهها كره العمى من النظرة الاولى.

وبعد هنيهة اخرج اوريستيس الدراجة العادية من صندوق السيارة ووقف يراقب اوليفييه وهو يثب فوق مقعدها، بينما امسك شابان بمقود الدراجة، كل واحد من جانب. ونظر اوليفييه نحو سائقه قائلا: "دع الخوف ولننطلق!"

وانطلق الشابان معه عن جانبيه وهو لا يزال يتأرجح ذات اليمين وذات اليسار، لكنه صاح بهما: "اتركاني!" ولم يتركاه ابدا، فأطلق صيحة مدوية: "بربكما، اتركاني!" وامتدّ المقطع الاخير من الكلمة الثانية امتدادا دام ثواني عدة، حتى غدا كالصيحة المدوية التي اطلقها هنري الخامس وهو يحرض جنده على القتال في معركة "اجنكورت".

واندفع اوليفييه الى منعطف الطريق وسترته تصطفق مع الريح ورجلاه تتزايدان قوة، الى ان اقترب من نافورة يصل الماء اليها عبر قناة رومانية قديمة. وفي اليوم التالي اعاد الكرّة حتى بلغ مجال عدسات التصوير. وتوقف هذه المرة امام المخرج هيل ودراجته الاصطناعية.

وتحولت عينا اوليفييه الى لون رمادي معتم وبارد، وهو يحدّد النظر الى دراجة هيل وكأنها عدوّه المهزوم في معركة خرج هو منها ظافرا. وقال للمخرج: "لا تقلق يا بني. سأعوضهم عن هذه الدمية السخيفة".

■ كورتيس بيل بيير

لا يكفي أن تكون على صواب، اذ يجب الا تكون على صواب في وقت مبكر جدا او متأخر جدا.

جيرارد باور

أحجية القطار

كثيرا ما يكون هواة الأحاجي من المشاكسين الذين يستهويهم الجدل فيسارعون الى الاعتراض على ابداء اي حل، ولا يتوانون عن الاحتجاج لدى الايحاء بأي مؤشر الى الحل٠ وعلى رغم ذلك، فأن عددا كبيراً منهم يعتبرون الأحجية الآتية، المعروفة "بأحجية سميث - جونز - روبنسون الكلاسيكية"، نموذجاً رائعاً في نوعه، ينطوي في صيغته المقتضبة والمسلية في آن، على تحد للذكاء جدير بالاهتمام٠ والمأثور عن هذه الأحجية انه عندما حاول حلها ٢٤٠ شخصا في مجموعة واحدة، لم يوفق الى الاجابة الصحيحة سوى ستة منهم٠ ومع ذلك فليس في الأحجية اي "لغز" عسير، وقد تمكن كثيرون من حلها خلال فترة تراوح بين خمس وعشر دقائق٠ وينبغي الاشارة الى ان كل حقيقة واردة في الأحجية لها اهميتها، ولا بد من اخذها في الحسبان٠ وقد اوردنا الحل في الصفحة ١٠٦

واليك الآن هذه لأحجية:

"يعمل كل من سميث وروبنسون وجونز على قطار واحد وقّاداً، وكابحا، وسائقا - ولكن بترتيب يختلف عن الترتيب الذي وردت فيه هذه الأسماء. ومن بين المسافرين في هذا القطار ثلاثة رجال اعمال يحملون الأسماء ذاتها: السيد سميث، والسيد روبنسون، والسيد جونز:

١ - السيد روبنسون يعيش في ديترويت.

٢ - كابح القطار يعيش في منتصف المسافة تماما بين شيكاغو وديترويت.

٣ - السيد جونز يكسب ٢٠٠٠٠ دولار في العالم.

٤ - اقرب جار لكابح القطار - وهو احد الركاب الثلاثة - يكسب ثلاثة اضعاف ما يكسبه كابح القطار.

٥ - سميث يغلب الوقّاد في لعبة "البلياردو"

٦ - المسافر الذي يحمل اسما مرادفا لاسم كابح القطار يعيش في شيكاغو.

فما اسم سائق القطار؟

الحل: انظر ص (١٠٦)

قبلة

بعد أن دلّت الوصيفة الحسناء في الفندق الزبون الى حجرته سألته "متى تود أن توقظ من النوم يا سيدي؟"

فأجاب المسافر: "في الثامنة صباحا، وبقبلة".

فأجابت الفتاة وهي تتجه نحو الرواق "حسنا جدا، سأنقل طلبك الى موظف الاستقبال".

الكلب الاصيل!

اضاع أخي وزوجته كلبا جميلا مدربا على صيد الطيور. واتصلا، لشدة انفعالهما، بحظيرة حجر الكلاب الضالة في المدينة وبمحطة الاذاعة وأخيرا بقسم الشرطة. وكان الضابط الذي تحدثا اليه بالهاتف متجاوبا معهما فابلغهما انهما ان لم يعثرا على الكلب خلال يومين فمن غير المحتمل أن يرياه بعد ذلك اذ أن بعض المتسكعين، كما يبدو، كانوا يلتقطون الكلاب الضالة وغير المرخص بتربيتها ويبيعونها للمختبرات التي تحتاج اليها لاغراض علمية.

فشكرت زوجة اخي الضابط وقالت انها ليست قلقة عليه من هذه الزاوية لان "كلبنا ليس ضالا. انه كلب أصيل ولدينا كل الاجازات اللازمة لتربيته". وهنا قال الضابط بلطف "أفهم ذلك يا سيدتي، ولكن هل يحمل كلبكم محفظة اوراقه؟".

م.ف.

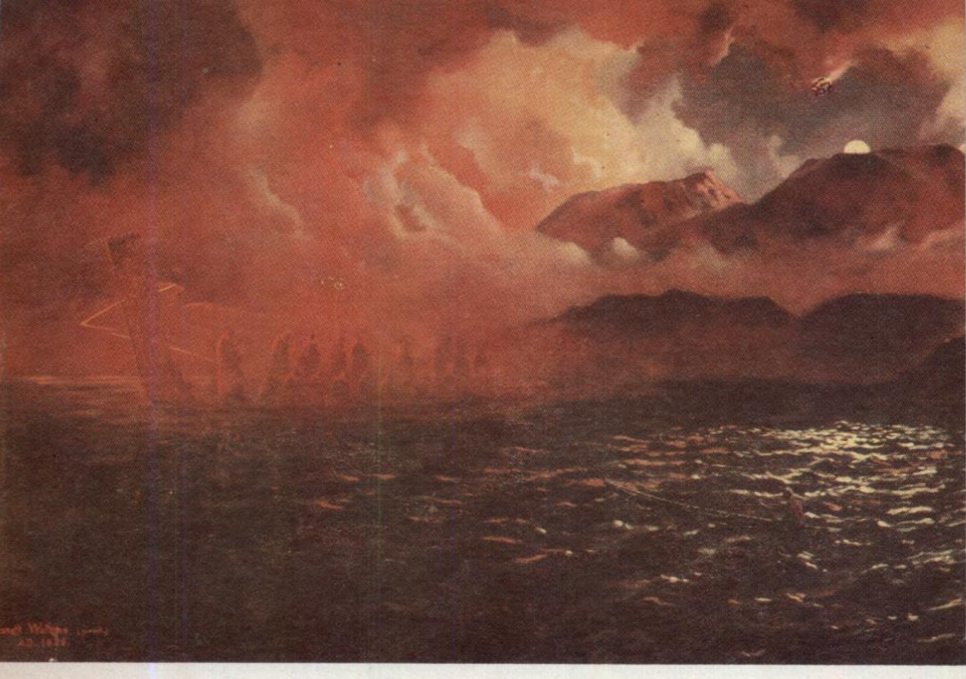

قصة الانفجار البركاني الرهيب الذي روّع نيوزيلنده

شبح الجبل المتفجّر

في الصباح الباكر من اليوم العاشر من شهر يونيو (حزيران) عام ١٨٨٦، انفجر من دون سابق انذار جبل تاراويرا البركاني الذي كان يبدو خامدا في الجزيرة الشمالية من نيوزيلنده. وفي خلال ست ساعات دفنت الوحول مستوطنة اوروبية وقريتين نيوزيلانديتين، فاندثرت المصطبتان القرنفلية والبيضاء اللون عند بحيرة روتوماهانا، اللتان كانتا تعتبران من روائع العالم السياحية.

وربما اخطأ القائلون بأن الانفجار وقع من دون سابق انذار، حيث ان مجموعة من السياح فوجئت في ٣١ مايو (أيار)، اي قبل حدوث الانفجار بأحد عشر يوما، بحادث غريب حافل بالنذير، وهي عائدة بالزورق عبر بحيرة تاراويرا عند سفح الجبل الى مصطبتي روتوماهانا.

وهاتان المصطبتان الفريدتان اللتان تربو مساحة الواحدة منهما على هكتارين، تكونتا عبر القرون من

البلورات السيليكية التي جرفتها المياه الساخنة النابعة في المنطقة. فلون احديهما ابيض صاف ولون الثانية قرنفلي، وهما تنحدران بلطف نحو بحيرة روتوماهانا وكأنهما تراكم اقدام جبارة تتوافد على غير انتظام الى ضفافها.

كان السيَّاح في حال استرخاء في زورقهم على البحيرة حين اطل فجأة على مسافة كيلومترين زورق حربي طويل خفيف يجذفه اثنا عشر محاربا ماووريا اشداء. وظل الجميع يراقبون طوال دقائق عدة هذا الزورق وهو ينسل عبر مياه البحيرة الرائعة. ولم يلبث ان اختفى في لمحة عين وهو على قرابة كيلومتر منهم. (وقد وضع شاهدا عيان اثنان، هما جوزيا مارتين والكاهن الكاثوليكي الاب كيليهر، رسوما للزورق ولركابه. وهناك الان صورة زيتية لهذا المشهد معلقة في معرض الفن في اوكلاند).

وتزايدت حيرة السياح حين عجزوا عن الحصول على أي معلومات عن سر هذا الزورق من الملاحين الماووريين الذين يجذفون زورقهم. كما ان صوفيا، الدليلة السياحية اللعينة التي ترافقهم في هذه الرحلة والتي تتكلم اللغة الانكليزية بطلاقة، كانت مراوغة غامضة في اجابتها في هذا الصدد. يضاف الى ذلك ان المجذّفين تملّكهم القلق في كلا الزورقين اللذين ينقلان السياح، وراحوا يتمتمون كلمة "آتوا" (وتعني الروح) ويرفعون رؤوسهم نحو السماء.

على ان الماووريين، ما ان وطئت اقدامهم شاطىء البحيرة حتى انطلقت السنتهم، فانتشر الخبر خلال بضع دقائق في مستوطنة تي - وايروا بانهم شاهدوا الزورق الشبح!

كان ظهور الزورق الشبح تعبيرا راسخا في اساطير قبيلة توهورانجي كنذير للموت، على رغم ان احدا من الاحياء في المنطقة لا يذكر انه رآه مرة واحدة. وفي وقت متأخر من ذلك النهار اضاف توهوتو، أكبر كهنة القبيلة سنا (عمره ١٠٤ سنوات كما هو شائع) نبوءة جديدةهي "ان تلك الظاهرة تنذر بتدمير المنطقة".

لكن احدا لم يتوقع ان يأتي الخطر من جبل تاراويرا، على مسافة ١٤ كيلومترا من تي - وايروا. كانت هناك، الى الجنوب الغربي من الجبل، منطقة تتسم ببعض النشاط الحراري، كنوافير الماء الساخن والشقوق التي يتصاعد منها البخار والفجوات الانبوبية والبرك الموحلة الفائرة. اما جبل تاراويرا، بفوهاته الثلاث القديمة العهد، فقد كان خامدا ساكنا كالموت.

وفي حدود الساعة الثانية عشرة والنصف من ليل التاسع من يونيو (حزيران)، اندلعت سلسلة من الزلازل اهتزت لها تي - وايروا، ثم تفاقمت خلال الساعة التالية. ولم يكن ذلك مستغرب الحدوث - مهما بلغت الزلازل من العنف - في منطقة حرارية مثل تي - وايروا.

غير انه لم تنقض ساعات ثلاث حتى انفجرت الفوهات التي تتوج جبل تاراويرا. وقد وصفها المشاهدون، في ما بعد، بأن السنة اللهب كانت تتعالى وتزمجر في الهواء بينما كانت الكرى النارية الحمراء تتكتل في القمم وتنقلب نحو

السفوح. وقد تسببت الانفجارات في اضطرابات جوية عنيفة تولدت منها عاصفة هوجاء اقتلعت غابة بكاملها في وادي وايروا، على مسافة ٢٠ كيلومترا من الجبل.

وسارع سكان تي - وايروا الى ارتداء ثيابهم والخروج الى العراء لمراقبة هذا المشهد الغريب.

بدا الجبل من بعيد وكأنه كتلة من لهب، حتى ان مياه بحيرة تاراويرا كانت في اتقاد توهجها تبدو كأنها نار مشتعلة، بينما كانت اصداء الانفجارات تخالط اصداء الزلازل في وقع رهيب متنافر النغمات.

وفي المراحل الاولى من الانفجار، قلما اكترث سكان تي - وايروا للخطر المحدق بهم، فكان معظم سكان القرى يظنون ان السيول اللاهبة ستتوقف، ولا شك، حيال بحيرة تاراويرا التي يبلغ اتساعها ثمانية كيلومترات. وقد ذهبت بهم الطمأنينة الى حد أن قال احدهم، تشارلز هازارد، استاذ المدرسة المحلي، لزوجته: "لن نرى مثل هذا المنظر ثانية".

وقد جاءت كلماته هذه بنبوءة مأسوية، اذ ان زوجته وابنتيه الكبيرتين كن مع انبثاق الصباح الافراد الثلاثة الوحيدين الذين بقوا على قيد الحياة في عائلة من سبعة اشخاص.

وعند الساعة الثالثة والنصف تراكمت الضغوط الهائلة في احشاء الجبل ولم تتسع فوهاته الثلاث المشتعلة، فتسببت في سلسلة من الانفجارات بلغ دويها بلدة كرايست تشيرش على مسافة ٦٧٠ كيلومترا، وأدت الى انفجار الطرف الجنوبي الغربي من الجبل بصورة منحرفة والى حدوث انشقاق مثلث الشكل في احدى الفوهات، من أعلى الى ادنى، وبالتالي الى انفتاح شق عرضه كيلومتر على بحيرة روتوماهانا. وخلال ثوان قليلة كانت البحيرة، اضافة الى المصطبتين القرنفلية والبيضاء، قد اختفت تاركة وراءها ثغرة بلغ قطرها كيلومترين ونصف كيلومتر وعمقها مئة متر.

واندفعت مياه البحيرة، الممتدة على مسافة ١١٥ هكتارا، في الفضاء الى جانب الاطنان التي لا تحصى من الوحول، ثم رست كلها في تي - وايروا. وأعقب الماء والوحل ملايين الامتار المكعبة من الحمم المنقذفة من الثغرة التي عرفت في ما بعد بشق تاراويرا.

وتلبدت سماء المنطقة بغمامة كثيفة سوداء تغافل عن أهميتها سكان تي - وايروا. ثم اخذت سيول الحمم والرماد والغبار تتساقط على الارض. فكان ذلك بداية الحلم الرهيب بالنسبة الى سكان البلدة الصغيرة.

وفي فندق ماك راي، احد فندقي القرية، لم يبعث الانفجار في البداية شعور القلق الكبير في نفوس نزلائه الاثني عشر، الى ان تراكمت الوحول والكرى النارية على السطح، فاتضح الخطر لجوزيف ماك راي، المسؤول عن الفندق، ولكن بعدما فات أوان النجاة. فقد غمرت الوحول الارض على ارتفاع يتعذر معه اجتيازها على الانسان، ولو على ظهر جواد.

وبعد نحو ساعة من الانفجار، انهار

سقف الفندق محدثا ضجة عنيفة، وحطم الطابق الاعلى. لكن سطح الطابق الارضي بقي قائما. وهنا اقترح ماك راي على النزلاء ان ينتقلوا الى غرفة الجلوس الحديثة البنيان، وان يحتشدوا فيها على رغم ظلمتها، وان يصلوا، وان يقدحوا بين الفينة والفينة عود ثقاب للتأكد من سلامة السقف.

وقبل مرور وقت طويل، بدأ هذا السقف يلتوي على نحو خطر مهدد وكانت مواجهة سيل الوحول والحجار المتساقطة في الخارج امرا يثير الرعب. غير انه كان من الواضح، في الوقت نفسه، ان البقاء في الفندق معناه الموت الاكيد. عند ذاك اندفع ماك راي والنزلاء الى الخارج، وانهارت شرفة الفندق وهم يخرجون.

ووسط هذه الظلمة الجهنمية، رأى الناجون نورا مضيئا على مسافة لا تزيد على الثلاثين مترا. وواصل ماك راي وثلاثة من النزلاء طريقهم بجهد مستميت بين الوحول الى ان بلغوا المنزل المتين البنيان الذي تقيم فيه المرشدة صوفيا. لكن خمسة من السياح ضلوا الطريق في الظلمة. فما كان من ماك راي الا ان لف رأسه بشاله وانطلق دونما تردد الى الخارج يبحث عن المفقودين. ووجد اثنين منهم قد التجأا الى أحد المنازل، واثنين آخرين لا يزالان يسيران على غير هدى في الظلام. اما الخامس فكان جاثما تحت احدى الاشجار.

ولا بد ان تلك الليلة قد حفلت بكثير من اعمال البطولة التي لم تلق من يسجلها. وانما هناك مأساة واحدة على الاقل جرى تدوينها بدقة ووضوح:

كان المدرّس هازارد وزوجته وابناؤهما الخمسة وابن شقيقه وخادمتهما ماري الماوورية ومهندسان عابران في مسح الاراضي، هما ج.س. بلايث هاري لونديوس، قد لجأوا الى جناح السكن في المدرسة، وهو مبنى صغير، جدرانه وسقفه من الحديد المموج. وهناك راحت الفتاتان كلارا واينا تعزفان على ارغن صغير في ضوء شمعة واحدة، وتتناوبان على التراتيل في محاولة لتبديد مخاوف الاطفال الآخرين. وعندما بدأت الجدران بالانحناء تحت ثقل الوحول المتراكمة على السطح وأخذ الباب يلتوي نحو الداخل لشدة الضغط النازل عليه، حطم لونديوس احد النوافذ لفتح المجال للزحف الى الخارج. لكن السطح انهار عند ذاك انهيارا كاملا.

وقتل هازارد وابن شقيقه شارلي الصغير على الفور. وفر من النافذة كل من كلارا وبلايث ولونديوس، بينما احتمت اينا وماري بطاولة صلبة متينة.

وحين انهار السقف كانت السيدة هازارد جالسة في منتصف الغرفة، ومن حولها ابناؤها الصغار الثلاثة، واعمارهم على التوالي عشر سنوات وست سنوات واربع سنوات. وبفضل خزانة جانبية مطمورة بخزائن اخرى عالية، تمكنت من دعم الحديد الهاوي وحالت دون سقوطه على المجموعة المذعورة. سوى ان السيدة هازارد كانت مسمرة في مكانها بدعامة سقطت عليها وحطمت احدى ساقيها، فاعجزتها عن نجدة ابنائها. وقد ظلت على هذا المنوال طوال سبع ساعات تشهد بوعيها الكامل موت اطفالها الثلاثة، الواحد تلو الآخر،

اختناقا بالوحول، وهي قاصرة عن الاتيان بأية حركة.

وقد روت الام الثكلى تفاصيل قصتها الاليمة ببساطة لم تخف حدة لوعتها على رغم مر السنين: "كانت مونا ابنة اربع سنوات وكنت اضمها حينذاك بين ذراعي، فصاحت تطلب ان اخفف ضغطي عليها محافظة على صمودها. لكن الوحل منعني من ذلك، فانسحقت الطفلة وهي بين ذراعي. وناداني ادولفوس (ذو الاعوام العشرة) قائلا: "سأموت الى جانبك يا ماما". ولم يتفوّه بعد ذلك بكلمة واحدة. ولم تلبث ان لحقت به فلورا الصغيرة ابنة الستة الاعوام".

وفي الصباح التالي تمكنت فرق الانقاذ من نجدة السيدة هازارد، وشفيت من اصابتها وعاشت حتى بلغت الثانية والثمانين من العمر.

واستمر الانفجار الجنوني حتى السادسة صباحا. ثم توقفت فجأة سيول الوحل بمثل ما كانت قد بدأت. وحينما خرج الناجون الاثنان والستون من منزل صوفيا ومن مباني تي - وايروا القليلة الاخرى التي صمدت طوال الليل امام العنف المتثاقل، ذهلت عيونهم لمدى الخراب المحيط بهم والذي اتسعت رقعته نحو ١٣٢ كيلومترا مربعا اصبحت دفينة تحت الوحول.

وفي بعض المناطق غاص رجال فرق الانقاذ حتى خصورهم في الوحول الرمادية الدكناء. وقد بلغت عشرة امتار سماكة الوحول التي دفنت تحتها قرية تي - اريكي الماوورية الواقعة على مسافة بضعة كيلومترات من الجبل المنفجر. كما امحت تماما قرية مورا وسكانها القبليون.

ونظرا الى تناثر سكان الريف، كانت الوفيات الناجمة عن انفجار تاراويرا قليلة نسبيا: ١٥٣ قتيلا. مع انه، اضافة الى سيل الوحول، كان الرماد يتساقط على مسافة ٢٠٠ كيلومتر من البركان، مغطياً مساحة ١٥،٨٥٠ كيلومترا مربعا، وقدر مجموعه بما يزيد على ١٥٠٠ مليون متر مكعب من الرماد.

ومع ان المصطبتين القرنفلية والبيضاء زالتا كليا من الوجود، فان السياح اخذوا يتقاطرون لمشاهدة الشقوق البخارية الهادرة وبرك الوحول الفائرة التي ظهرت في الفراغ الكبير حيث كانت بحيرة روتوماهانا. تلك كانت بحيرة ولم تعد.

على ان هذا النشاط همد فجأة بعد سبع سنوات من حدوث الانفجار، اذ راحت المياه الساخنة تتجمع الى ان اغرقت الارض تماما في فترة اسبوعين. وبرد الماء مع الوقت. وتقوم هناك الان بحيرة جديدة اسمها روتوماهانا، تعادل مساحتها عشرين مرة مساحة البحيرة القديمة، وتغطي موقع المصطبتين القرنفلية والبيضاء اللتين انطمرتا على عمق ١٥٠ مترا.

وقد استعاد الريف، الذي كان مشققا ومغطى بالوحول، نضارته وجماله. فنمت فيه الآجام والطحالب وشجيرات الصنوبر، واسدلت ستارها الحي على الخراب السابق الذي احدثه جبل تاراويرا. غير انه يصعب على المرء ان ينظر الى الجبل الساكن من غير ان يهزه الارتياع او أن يجتاز البحيرات الحالمة في ظلاله من دون ان يترقب بحذر ظهور الزورق الشبح الذي يهلع له القلب.

■ **ايفان دو لاشوميت**

الكلمات الأخيرة...

الكلمات الاخيرة التي يودع الناس بها الحياة قد تكون تلخيصا لحياة بأكملها، كما قد تكون وسيلة للاقتراب من تلك المنطقة الغامضة، المغلفة بالأسرار، التي تباعد بين هذا العالم والعالم الآخر. ففي تلك الكلمات نسمع غمغمة واعدة من الأمل ونشعر بقشعريرة من الرعب. وبعض تلك الكلمات حزين، اما بعضها الآخر فصاخب بما فيه من فكاهة. الا ان تلك الكلمات جميعا تشترك في صفة عامة واحدة، اذ يكون لها وزن القول الفصل، سواء اجرت على لسان ملك عظيم او شخص عادي، او سمعناها من فم انسان طاهر او آخر غارق في الخطايا.

"يا مخلصنا يسوع المسيح، تقبَّل روحي". هذا ما قاله الشهيد جون رودجرز وهو يحرق بتهمة الهرطقة عام ١٥٥٠.

وبعد نحو ٣٠٠ سنة، كان جون هولمز، عم الطبيب والمؤلف الامريكي اوليفر ويندل هولمز، راقدا في فراش الموت عندما مدت ممرضة يدها تحت اغطية الفراش لتتحسس قديمه. وبعدما فعلت، قالت تلك الممرضة همسا للأقارب الجالسين حول الفراش ان هولمز ما زال حيا، لانها لم تسمع ابدا "عن شخص مات وظلت قدماه دافئتين". وهنا فتح هولمز عينيه وقال آخر ما عنده: "لكن جون هولمز فعلها!"

وعندما حانت ساعة الروائي الفرنسي اناتول فرانس، كانت آخر كلمة خرجت من فمه: "يا أماه!" وهو عين ما فعله راقص الباليه الروسي الأشهر نيجينسكي، اذ نادى امه، في لحظته الاخيرة، بلفظة تدليل: "ماماشا!" الا ان الموسيقار غوستاف مالر همس بصوت خافت: "موزار!"، ثم مات.

وقد كان شكسبير، الذي قال القول الفصل في اكثر من موضوع، مدركا للرهبة التي يشعر بها الناس تجاه الكلمات الاخيرة. ففي مسرحية "ريتشارد الثاني"، يقول دوق لانكستر، وهو يموت، لدوق يورك:

"يقولون إن السنة المحتضرين
تفرض على الناس الانتباه لها
كما يفعل اعمق تآلف للألحان.

فحين تغدو الكلمات شحيحة،
يندر ان تقال بغير جدوى،
لأن اولئك الذين تصعد كلماتهم من قلب الألم
لا تتفوه شفاههم الا حقا".

ومع ذلك، فان الكلمات الاخيرة يجب ان تؤخذ بمقدار من الحذر، لأن الذين تنسب اليهم لا سبيل الى سؤالهم للتأكد من صحة التصريحات الختامية المنسوبة اليهم. كما ان الاحياء ربما ابدلوا ما قيل بكلام آخر حرصا منهم على سمعة الراحل من ان تلحقها شائبة اذا ما وقف الناس على الكلمات الاخيرة التي قالها حقا.

●●●

اما الكلمات الاخيرة التي يتاح التيقن من صحتها فعلا فهي تلك التي صدرت عن المحكوم عليهم بالاعدام وهم يواجهون لحظاتهم الاخيرة. وهناك وفرة مزعجة من تلك الكلمات توقفنا على مصدر ما يسمى "فكاهات المشنقة": السير توماس مور، مثلا، الذي حكم عليه الملك الانكليزي هنري الثامن بالاعدام لأنه عارض بشدة طلاق الملك من زوجته ليتزوج سواها، طلب من الجلاد، لحظة الاعدام، ان يمهله برهة ريثما يزيح لحيته جانبا، قائلا: "هذه اللحية لم تذنب في حق الملك". اما السير

وولتر رالي، الذي حكمت باعدامه الملكة اليزابيت الاولى، فقد تحسس حد البلطة التي سيضرب الجلاد بها عنقه، وعلق بالآتي: "هذا دواء حاد المذاق، لكن فيه شفاء أكيداً من كل العلل". وأما وليم بالمر، الذي اعدم لأنه قتل صديقا له بالسم، فقد تقدم الى الباب الأفقي الذي يفتح تحت قدمي المحكوم عليه لحظة شنقه، وقال: "هل انتم واثقون من أنه آمن؟" لكن الثوري الروسي ميخائيل بستوجيف ريومين كان أقل خفة عندما انقطع الحبل عند اول محاولة لشنقه، فقال: "لا شيء يفلح أبداً في ما يخصني. فحتى هنا أمنى بخيبة الأمل".

أما ملكة فرنسا ماري انطوانيت فكانت كلماتها الأخيرة اعتذارا للجلاد اذ داست على اصبع قدمه: "سيدي، ارجو المعذرة!"، فأضافت بذلك معنى جديدا الى مفهوم التعامل المهذب بين الناس. ولكن يبدو ان حياة القاتل نيل كريم انطفأت بأسرع مما يجب، لأنه صاح عندما انفتح باب المشنقة تحت قدميه: "اناجاك..." ولم يتم قوله، مما اثار تساؤلات لا جواب عنها حول

بقية القول: هل كان "··· السفاح!" يا ترى؟ اي هل كان نيل كريم هذا هو المجرم الشهير جاك السفاح ام لا؟

ويبدو أن الفلاسفة كانوا اكثر من عانى الصعوبة في تلك اللحظات الاخيرة· فالفيلسوف هيغل اشتكى قائلا: "انسان واحد فقط فهمني، وحتى هو لم يفهمني!" اما بيير غاسندي فقد عبر عن حيرة بالغة: "ولدت لا ادري لمَ، وعشت لا ادري لمَ، وها انا اموت من دون ان ادري لماذا ولا كيف"·

الا ان المصور بيرجينو مات بغير توبة، رافضا ان يقضي لحظاته الباقية مع كاهن· وكانت كلماته الاخيرة: "اني اشعر بفضول الى معرفة ما يمكن ان يحدث لامرىء يموت من دون ان يعترف ويحله الكاهن من خطاياه!" اما الشاعر الالماني هينريخ هايني فقد بدا له ان ذلك لا يهم كثيرا، فمات قائلا: "سيغفر لي الله··· فتلك مهنته"·

وما اكثر من تجنبوا الروحانيات، فظلوا محتمين منها بمهنهم حتى النهاية· عالم النحو دومينيك بوهور، مثلا، اختتم حياته بهذه الكلمات الممعنة في التدقيق اللغوي: "انا مشرف على - أو انا في سبيلي الى - ان اموت: فكلا الاثنين تعبير صالح للاستخدام"· اما المحرر المالي والناشر كلارنس ووكر بارون فكانت كلماته الاخيرة: "ما آخر الأخبار؟"·

وهناك الأطباء، وهم اناس يعلمون بحكم مهنتهم ما هو موشك على الحدوث· الطبيب الاسكوتلندي جورج كومب (١٧٨٨ - ١٨٥٨)، مثلا، قال: "مما ينتابني من احاسيس الآن، يمكنني القول باني احتضر - وانا مسرور لذلك"·

وكانت الكلمات الاخيرة للكاتب والناقد ج·ك· تشيسترتون تنم عن ان الرجل واجه لحظاته الاخيرة كمن يتخذ قرارا· "القضية الآن واضحة: انها خيار بين الضوء والظلمة· وعلى كل ان يختار الجانب الذي ينضم اليه"· وفي حال الشاعر الالماني غوته، كان الخيار لا لبس فيه· فقد مات الشاعر العظيم وهو يقول: "مزيدا من الضوء! مزيدا من الضوء!" لكن عالم النفس كارل يونغ همس لابنه: "اسرع· ساعدني على النهوض من الفراش· اريد ان انظر الى غروب الشمس"· وكانت كلمات الكاتب القصصي الامريكي او· هنري الى من حضروا لحظاته الاخيرة، بعدما طلب اليهم ان يقووا النور في الغرفة: "لا اريد ان اذهب الى بيتي في الظلام"· وعلى نقيض ذلك الكاتب، قال تيودور روزفلت: "ارجوكم ان تطفئوا النور!"·

●●●

وغير اولئك جميعا أناس ظلوا حتى اللحظة الاخيرة منشغلين بما كان عليهم من مسؤوليات· فالفيلسوف اليوناني سقراط كان ينازع على اثر تجرعه السم عندما رفع الملاءة التي كانت تغطي رأسه وقال لأحد تلاميذه: "كريتو! ما زلت مدينا بثمن ديك لآسكليبيوس· هلا تذكرت ان تسدد

ذلك الدين؟" لكن الجنرال وينفيلد سكوت رحل عن هذه الدنيا وهو منشغل بمسؤولية من نوع آخر. فهو طلب من خادمه ان يحسن العناية بحصانه. وهناك من حضرتهم المنية فكان شغلهم الشاغل ان يموتوا وقوفا، كالأسقف جون وولتون الذي جعل من حضروا موته يساعدونه على الوقوف، "لأن الاساقفة يجب ان يموتوا وهم قائمون على اقدامهم". وقد فعل، كما فعل قبله الامبراطور الروماني تيتوس فلافيوس فسباسيانوس ("لأن الاباطرة يجب الا يموتوا الا وهم وقوف") ولويس الثامن عشر ("ان الملك يجب ان يموت وهو واقف"). وعلى عكس هؤلاء جميعا كان جيمس ماديسون، الذي ختم حياته بقوله: "اني احسن الكلام دائما وأنا راقد".

وبدا الموت، بالنسبة الى بعضهم، خاتمة غير متوقعة لما كانوا منهمكين فيه. اللورد بالمرستون، رجل الدولة الانكليزي (١٧٨٤ - ١٨٦٥)، مثلا، قال لطبيبه ساخطا عندما صارحه هذا بخطورة حاله: "اموت، يا عزيزي الطبيب؟ هذا آخر شيء ازمع على فعله!" اما الممثل دوغلاس فيربانكس فقال: "لم احس في اي وقت بأني افضل حالا مما انا الآن". ومات بعد تلك الكلمات. وعندما اتهم غودوين، "ايرل" مقاطعة ويسيكس البريطانية، بقتل اخيه، اجاب انه بريء. ولكي يبرهن على براءته قال: "سأثبت لكم اني بريء اذ ابتلع هذه الكسرة من الخبز". غير ان الكسرة وقفت في حلقه، فاختنق ومات. وفي معركة ساسباخ عام ١٦٧٥، صاح الجنرال الفرنسي هنري فيكونت تورين: "ليس في نيتي ان اقتلَ اليوم!" وبعد ذلك بثوان، اصابته قذيفة مدفع بجراح مميتة.

●●●

وغالبا ما تكون الزوجات هن اللواتي يسمعن كلمات ازواجهن الاخيرة. الصحافي الامريكي و. و. ماكنتاير (١٨٨٤ - ١٩٣٨)، مثلا، طلب من زوجته هذا الطلب الاخير: "هل تسمحين بأن تستديري الى هذه الناحية؟ اني احب النظر الى وجهك!" اما الرئيس جيمس بولك فهمس قائلا: "احبك، يا سارة، احبك!" وتبدو كلمات نابوليون الاخيرة كما لو كانت اشادة بسطوة امرأة واحدة. فقد تتابعت هذه الكلمات من فمه: "فرنسا... الجيش... قائد الجيش... جوزفين".

غير ان للنساء مشاغل اخرى. فالكونتيسة فونتين - مارتل، التي كانت ممن قدموا الرعاية الى الفيلسوف الفرنسي الساخر فولتير، شغلتها لحظة وفاتها خواطر ارضية للغاية، اذ قالت: "حمدا لله. فأياً كان الوقت، هناك في مكان ما ملتقى للعاشقين!".

■ توماس بيديل

كل افريقيا في داخلنا

هذا تقدير رمزي للحيوانات البرية وللعظات التي تلقيها علينا جميعا

احببت الادغال والصحارى في افريقيا اكثر من حبي لاي جزء آخر في العالم. وهذا الحب، في ما بدا، قد عبر عنه تعبيرا رائعا طبيب القرن السابع عشر والمؤلف السير توماس براون الذي يقول: "اننا نحمل في داخلنا الاعاجيب التي ننشدها من خارجنا: ففينا تكمن كل افريقيا بما فيها من معجزات ومآثر".

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية التي دامت بالنسبة اليّ تسع سنوات، وجدت نفسي محمولا على العودة الى ذلك الجزء من افريقيا الذي يقع في محاذاة نهر ليمبوبو، قريبا من حدود جنوب افريقيا المتاخمة لموزامبيق.

وصلت في احدى الامسيات وضربت خيمتي، ومن ثم تركت خادميّ الافريقيين اللذين كانا يساعدانني في طهو وجبة العشاء ومشيت في اتجاه ثقب مائي قريب.

وفي اللحظة التي وقفت هناك خرج من الدغل في اتجاهي ظبي افريقي برّي هائل الحجم مهيب له قرنان لولبيان رائعان، وقد توقف فرآني ومن ثم القى برأسه الى الوراء ومد انفه الى الامام وتنشق الهواء الذي بيني وبينه، وشعرت من فوري - يا الهي - بانني قد عدت الى بيتي، كما لو ان الحرب في تلك اللحظة قد انزاحت عني اشبه بالقيد الذي كان يثقلني ثم سقط بكليته.

وبعد هذا اللقاء مع الظبي الافريقي بدا لي ان كل شيء بغيض ومدمر وسلبي قد اخذ ينحسر عني بالتدريج. وراقبت الحيوانات بجمالها ورقتها وباحترامها بعضها للبعض، تتحرك داخل الدغل، وشعرت بانني قد استعدت شيئا شبيها بذلك الى نفسي. وما وجدتني قد توحشت بفعل الطبيعة كما انني لم اجد الطبيعة حمراء قانية ظفراً وناباً، بل شعرت باننا نحن الذين اسقطنا عليها مساوئنا اللاانسانية.

الشعور بالغرابة - فمنذ البداية كانت حياة الحيوانات في افريقيا زاخرة في وفرتها وتنوعها حتى انه حيثما ذهب الانسان الاول لم يكن

CONDENSED FROM A TALK ON BBC 2 «THE WORLD ABOUT US» AND PRINTED IN «THE LISTENER» (FEBRUARY 13, 1975)

وحيد القرن العريض الشفتين الذي يقتصر وجوده الآن على حدائق الحيوان المكشوفة.

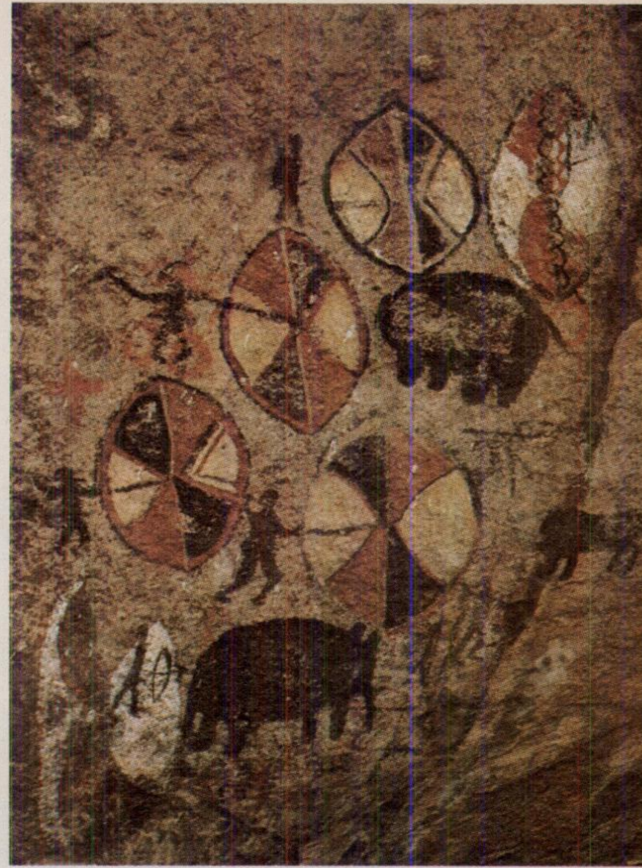

نقوش في كهوف سيرنجتي تعود الى مئتي سنة.

التنوع في طبيعته الخاصة واصبح اكثر ادراكا لحقيقة نفسه، واحرز بالتدريج درجة اعلى من الوعي.

واول دليل على هذه العملية هو ان الانسان البدائي قد رسم بالاصباغ اول ما رسم حيوانات مفعمة بالحياة اكثر من رسمه لنفسه. ورسم مشاركاته في الطبيعة على نحو بالغ الرقة والدقة والجمال حتى ان صخور افريقيا تحولت بذلك الى قاعات عظمى لعرض الفنون.

وكانت بواكير هذه المشاركة اولية وعملية ترتبط بكفاح الانسان من أجل البقاء. فقد كان الانسان، مثلا، يهتدي بالحيوانات لايجاد الماء في اوقات الجفاف. وعلى رغم ان مجاري الانهر الكبيرة كانت تبدو جافة، فان قدرة الحيوان على الشم دلت على وجود الماء في مكان ما في جوف الارض وقد اختزنته الطبيعة في منأى عن وطأة الشمس وحرارة القيظ.

واما تأثير العامل الطبيعي على عقل الانسان فاننا نتلمسه في القصص المستوحاة من شعور التعجب والدهشة. فما الذي اعطى الزرافة شكلها الفريد المتميز؟ وما هو الصدى الذي اثارته طبيعة الزرافة وحيدا متفردا في حال من الاحوال، وانما كان على قاب قوسين او ادنى من بعض الحيوانات ترقبه بعيونها الساهرة. وبالتالي، فقد تطور لديه شعور بالقرابة واللحمة والانتماء، واصبح هذا الانسان مثيلا لها قلما يرتكب القتل الا في سبيل غذائه. ومن خلال تنوع الحيوانات وطريقة تصرفها، عرف الانسان مقدار

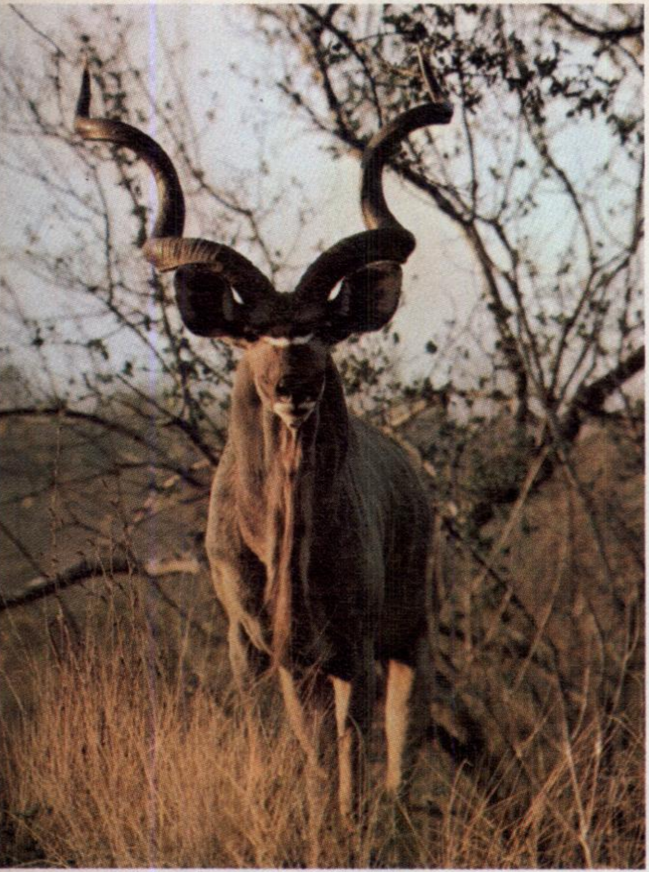

الظبي الافريقي الخجول، بقرنيه اللولبيين.

في روح الانسان البدائي؟ وقد قال قاطنو الادغال ان الروح الاعظم "نكسهو - نكسهو" هو الذي صمم الزرافة او ذاك المخلوق "القديم الاعلى من الاشجار"، كما يسمونه، على هذا الشكل وزوّدها بقلب من الفضول لكي ترقب كل شيء في الحياة. وفي البدء، حين لم تكن الشمس تعرف طريقها عبر السموات، قذف "نكسهو - نكسهو" باعظم زرافاته على حافة الليل لكي تترقب خطوات الشمس. وهناك انتصبت الزرافة في نوبة الحراسة ساكنة وسط مجرة الكواكب المسماة الصليب الجنوبي، حيث من خلالها تحول الفضول وحب الاستطلاع فاصبحا هما القاعدة السماوية لمدار الشمس.

وقد استثارت الطيور اعجاب الانسان بما رآه منها من فن في بناء الاعشاش وروعة في تناغم الالحان ومرونة الانطلاق في الطيران، فاشعلت لديه حاسة الدهشة الخلاقة. وما لبث الطائر ان اصبح رمز وحي الانسان وقوة الابداع الكامنة في اعماقه. وهذا ما حدا، مثلا، بالزعيم الافريقي الى تركيز ريش الطير على العصابة التي يلفها حول رأسه باعتبار ذلك دلالة في اعين شعبه على امتلائه بالافكار الملهمة. وكلما تعالى الالهام ازداد حجم الطائر المختار.

الثور والارض ـ ولقد اندمج الانسان في الطبيعة الى حد اصبح معه يرى المطر وكأنه ثور هائل يتكوّن من انفاسه ضباب الصباح وهو هابط من السماء ليضاجع الارض بكونها امرأة

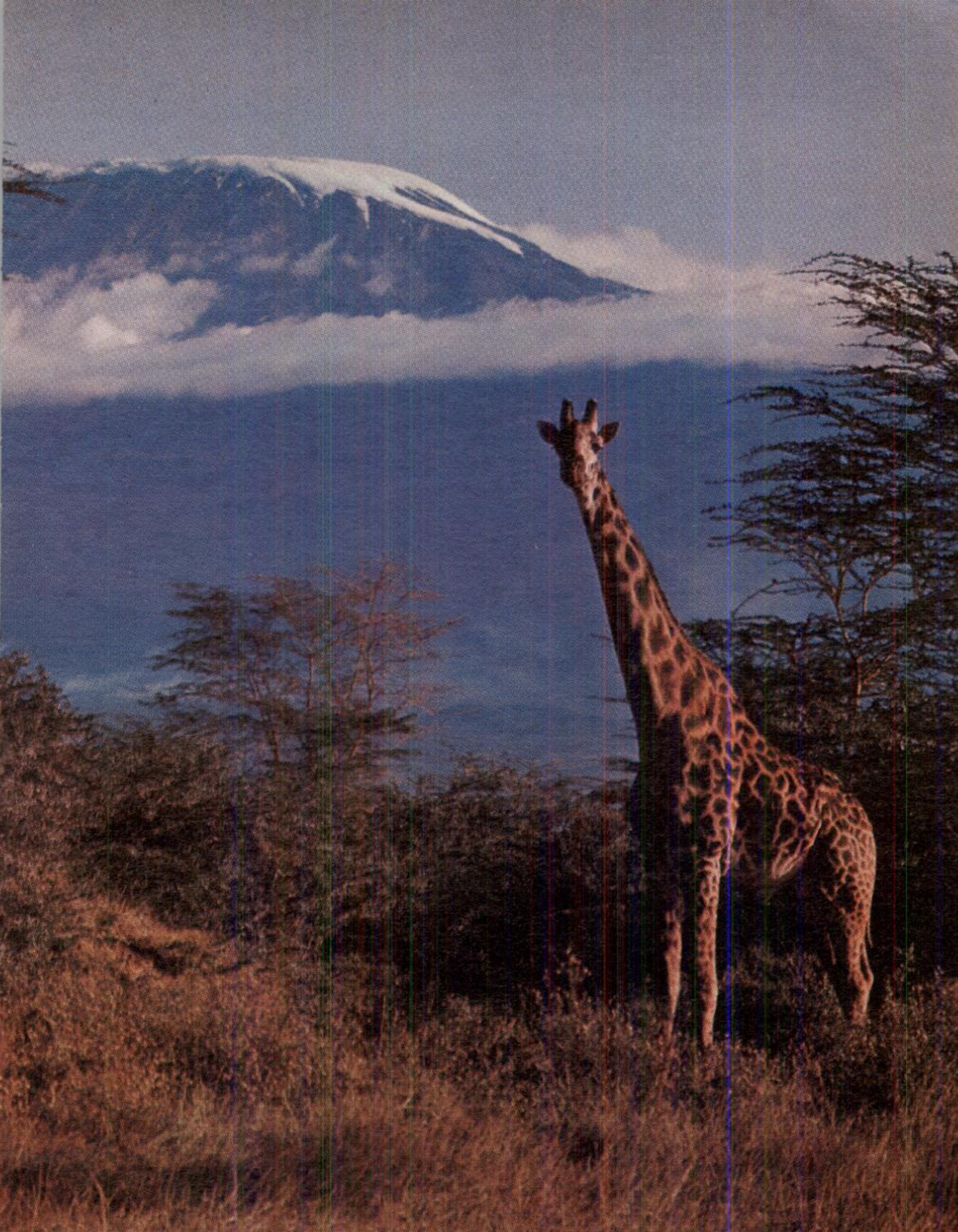

زرافة في سهل عند سفح جبل كيليمنجارو (تنزانيا).

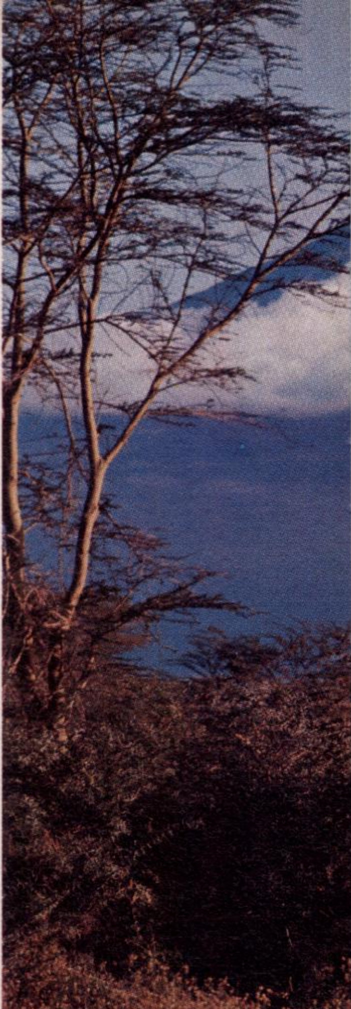

طائر الحباك برأسه الاسود ٠٠٠

٠٠٠ ونسيبه ذو الرأس الاحمر ٠

من السلالة الاولى. وقد تسببت العلاقات بين تلك المرأة البدئية الارضية وذلك الثور البدئي الذي كان المطر، في ايجاد الحياة النباتية وتزويد الكائنات الحية جميعا بالغذاء.

وقد كانت مصادفة الانسان للمطر والعواصف باعثاً له على تحقيق درجة جديدة من التواضع. لكن هذا السلام والتناسق وهذه العلاقة العريقة بين الانسان والحيوان والطبيعة، قد اقتُطعت اوصالها فجأة وفي صورة وحشية قاسية لدى ظهور الانسان الاوروبي. ومن سخرية الاقادر ان يتم ذلك بمساعدة حيوانات اخرى مثل الحصان والكلب. لقد حدث ذلك اولا في جنوب افريقيا منذ ما يقرب من ٣٠٠ عام. وقرابة منتصف القرن التاسع عشر تغلغلت ظاهرة انسانية جديدة الى قلب افريقيا الجنوبية وهي ظاهرة الانسان القاتل في سبيل المكاسب او لمجرّد متعة القتل.

وقد عجز الانسان في ما بعد، على رغم مشاهد الجمال والدهشة، عن كبح شهوته الجامحة للقتل. وقد دلل ذلك كله على مدى ما فقده الانسان الاوروبي من الاتصال ليس مع الطبيعة في العالم من حوله فحسب بل ومع طبيعة نفسه الخاصة فكان ذلك نذير تطور بتري مؤذ في روحه ادى الى تدمير النفس الجماعي الذي اضطلعت به الحرب التي ساهمت فيها انا شخصيا. وبدهي ان يكون الانسان الحديث قد فقد الآن كليا تقريباً شعور الاحترام والاعجاب بسائر الكائنات، صغيرها وكبيرها، التي بقيت حية من سكان افريقيا الاصليين.

ولقد كان من حسن الحظ، ان جاء بين الغزاة الاوروبيين رجال هالهم الرعب والخطر في ما كان يحدث آنذاك: انواع كاملة من الحيوانات قد تلاشت او باتت عرضة لخطر الانقراض. فبدأت معركة الحفاظ على ما بقي من هذا الفيض في وطني جنوب افريقيا. بدأت المحاولة اولا بحماية لوحيد القرن الابيض الذي عاش في ما مضى في كل مكان من اغلبية افريقيا الجنوبية، وفي ايام طفولتي كانوا يظنون ان قرابة عشرة من هذا الحيوان النادر باقية متخفية في هضبات ارض الزولو، وقد افضت المعركة الى نتيجة بات معها الوحيد القرن الابيض اليوم رمز القصة الناجحة في مجال حفظ الحيوان.

وهناك مغزى له دلالاته العظمى بالنسبة اليّ، وذلك ان يكون الوحيد القرن الابيض هو الذي ايقظ ضمير الانسان واحيى احترامه الضائع للحيوان المتحدر من عصر الدينوصور والحيوانات المنقرضة. وتبين من خلال تصرفه المبهم، ان هذا الحيوان كان المنبوذ الاعظم من بين الحيوانات المنبوذة في زمننا.

ولقد كان افتقارنا الى تفهمه لا يقل عن تخوفه منا. وكل منا يعرف حتى هذا اليوم ان اي خطوة نحوه قد تبعث على سوء الفهم.

غير انه من دواعي الغبطة ان تضرب ارض افريقيا نفسها مثلا يحتذى لتفادي ذاك الطراز من النبذ المتمثل في الوحيد القرن الابيض.

■ **لورينز فان دربوست**

لورينز فان دربوست حامل وسام الامبراطورية البريطانية. كاتب، روائي ورحالة عالمي.

هذه الموسيقى التي لها فعل التنويم المغناطيسي اسفرت عن اكبر انقلاب في الاذواق منذ بدء الموسيقى الشعبية

حمّى الديسْكو

اهتزاز والتفاف وترنح - ذاك هو الديسكو الذي وجد ليبقى. وسواء اسميناه "ذا الخطوتين" او "الزنجي الآلي" او "المهووس الفذ"، فان الكثيرين منا يستسيغون الاستماع الى قارعي الطبول الذين يحثون على "الرقص والمزيد من الرقص".

لقد بدأ الديسكو لثلاث سنوات خلت وكأنه "صرعة" جديدة سرعان ما سيمحي بريقها، خصوصا لانها اعتمدت خفض اللحن والصفة الغنائية الى ادنى حدّ ممكن، وابراز الايقاع

CONDENSED FROM NEWSWEEK (APRIL 2 '79) (C) 1979 BBY NEWSWEEK INC NEW YORK N.Y

بضربات قوية ذات رتابة مثل انتظام ساعة الايقاع ولجاجة مثل نقر الطبول المحرضة على الحرب.

وبخفة ساحر غزت هذه الموسيقى قلوب اناس من مختلف الطبقات والاعمار، فأخذت بألبابهم وحركت اقدامهم، متخطية تخوم عشاقها الاولين من الزنوج والاسبان وغيرهم من المستهترين او المؤرقين. ثم جاء جون ترافولتا بفيلمه السينمائي الناجح "حمى ليلة السبت"، فأضفى على الديسكو طابع الاحترام وأكسبه مكانة مرموقة على رغم ضعة بداياته، مؤكدا ببساطة على ان هذه الظاهرة ما هي في الحقيقة الا صناعة يقدر رأسمالها بمليارات الدولارات.

انقلاب في الاذواق — واتسع نطاق الديسكو حتى شمل النوادي على اختلافها وقاعات الرقص والحفلات العامة الموسيقية، وحتى النزهات النهرية وحلبات التزلج على الجليد. واقتحم البيوت عن طريق الراديو والتلفزيون اللذين يبثان موسيقى ذات ايقاع هادر تكاد لا تنقطع اطلاقا.

ثم انتهك الديسكو الحدود الاقليمية، فتسرب الى الصين حيث احيا المدعوون الصينيون الى احتفال السفارة البريطانية في بكين رقصة سموها "هزّة بكين". ولعل خير من يوجز لنا الوضع بوضوح ريك ستيفنز، نائب رئيس شركة "بوليدور ريكوردس" الذي يقول: "اننا نجتاز الآن اكبر انقلاب في الاذواق منذ بدء الموسيقى الشعبية".

برز الديسكو، على غرار "الروك" سابقا، كردّ فعل متمرّد على موسيقى "البوب" التي فقدت مع الأيام سحرها وقوتها. وبدأ الناس، على حدّ قول نيل بوغارت، مدير شركة اسطوانات "كازابلانكا"، يشعرون بالحاجة الى موسيقى ذات مزاج جديد لانهم سئموا الانصات الى عازفي القيثارة الالكترونية وارادوا ان يصيروا هم انفسهم نجوما. ويضيف جون باريكهال من "هيئة الاتصالات المشتركة"، وهي مؤسسة تعنى بدراسة الاتجاهات الثقافية ومركزها تورنتو في كندا، قوله: "وجدنا الناس يتوقون الى المزيد من الحماسة بالاشتراك الفعلي، والديسكو يهيىء لهم ذلك بيسر".

اصالة وتجديد — ان الديسكو تجربة جسدية، لا عقلية، توفر ايقاعا قويا من غير سوداوية او استرسال وراء الاحلام والتفكير. ولئن بدت "صرعة" مستحدثة، الا انها في الواقع وليدة عناصر قديمة مألوفة. فقد اقتبست عن الموسيقى اللاتينية آلاتها النحاسية وخفقة ايقاعها الحسي، وعن موسيقى الستينات ما يعرف باسم "موسيقى الرعب"، على غرار ما الّف جيمس براون وسلاي ستون من الحان تعتمد وتريات القيثارة الجهورية العميقة. واخذت عن الموسيقى الافريقية - الكوبية ما يسودها احيانا من "تعويذات سحرية"، ولا سيما في التراتيم الدينية البدائية، وعن "الروك اند رول" صيحات آلة السكسوفون وايقاعها الكئيب.

لكن الديسكو، فضلا عن هذه التأثرات، رمى الى ابراز حركة ايقاعية رئيسية تتردد فيها ١٢٥ خفقة او ضربة في الدقيقة الواحدة.

ولا يخفى ان مثل هذا الايقاع السريع قادر على استيعاب اي اسلوب غنائي مهما كان نوعه.

وهكذا نجد انه، وان تعددت اساليب المنتجين الموسيقيين، فالسبيل الى تسجيل الديسكو واحد لا يتبدل. واعظم ما فيه هو تسجيل الطبول ذات الطبقة العميقة الجهورية وما يرافقها من نقر جهوري ايضا على اوتار القيثارة، ثم تجميع ما يقرب من ٤٨ تسجيلا من اصوات اصطناعية وطبيعية على مختلف الآلات، الى ان تضاف في النهاية الاصوات البشرية كطبقة اخيرة. اما دور العازفين - سواء اكانوا عازفي الكمان في فرقة نيويورك "الفيلارمونية" او المصفقين بالأكف المحترفين - فلا يعدو كونه دورا شكليا لا ابداع فيه، لأن كل ما في الامر هو متابعة النوتات الموسيقية ومجاراة ايقاع الطبول المنساب الى آذان العازفين بواسطة سماعات الاذنين. ولهذا، فهم في الغالب لا يدرون شيئا عن النتاج الاخير لاعمالهم. وقد تقتصر مثل هذه المعرفة على المنتج الموسيقي وحده. ومن العازفين المتعاقدين مع المنتج من لا يعرف حتى اسم الشركة او اسم الاسطوانة التي تتضمن اعماله.

الصوت المميز للديسكو - واخيرا يحين دور الخطوة النهائية التي يتمخض عنها الصوت المميز للديسكو حيث الجمع والموازنة بين مختلف التسجيلات المنفردة. ولما كانت جميع التسجيلات تستخدم آلات وترية ونقرية مماثلة، فان مهمة المنتج الموسيقي هي اختيار صوت متميز رئيسي تتعلق به الاصوات الباقية ويكون له فعل التيار الكهربائي في اجساد الراقصين.

وكثيرا ما يسفر هذا الجمع بين الصوت الرئيسي في التسجيل والاصوات الباقية عن تكوين فسيفساء موسيقية نسجت الوانها من دغدغات الطبول الصغيرة وقرع الطبول الكبيرة واصطكاك الصنوج وضربات الدفوف، وحتى فن الصفير. لكن المحك هو سحرها ونجاحها على حلبة الرقص. وغالبا ما يعتمد النجاح على مواهب المذيع الذي يقدم الاسطوانات. ويقول رئيس احدى الشركات الموسيقية الكبيرة: "لا تمكن المبالغة في اعطاء الاهمية لمقدمي الاسطوانات خصوصا في النوادي، وان كانوا هم الذين يرصدون حقا اذواق الناس". واذ يرى هؤلاء ارتعاش الراقصين وتمايلهم بعنف مع وقع النغمات، يدركون انهم حققوا نجاحا هائلا. اما اذا لم يستجب الراقصون، ففي ذلك اخفاق وخيبة مؤلمان. وقد يعبر الراقصون عن رأيهم بصيحات السخرية والاستهجان. وعندها تطلق على تلك الاسطوانة صفة "الجامدة"، كما يقول كوري ويد، المنتج الذي يعمل لحساب شركة "تي. كي. ريكوردس".

ان المشتركين في الديسكو، بمن فيهم المنتج ومهندس الصوت والراقص، نجوم يلتمع ضوؤها في اي احتفال. ولكن ماذا عن العازفين المغنين؟ اليس بينهم من هو نجم لامع؟ كلا، اللهم اذا استثنينا نجمة واحدة من لحم ودم هي دونا سومر. ولكن حتى هذه النجمة يتعذر ظهورها

في اي احتفال، لانها تحتاج الى ٢٥ معزوفة اوركسترالتقديم موسيقاها.

ولئن انعدمت الشخصيات البارزة في الديسكو، الا ان هذه الموسيقى انتجت اساليب فنية متميزة تتردد اصداؤها من صداح ليندا كليفورد وافلين كينغ المثير الى فجور صيحات اليسيا بردجز على نمط "الروك" في الحانات، ومن الابتهالات الدينية الزنجية المتميزة بالشهقات والشكوى الى الحزن الحريري في صوت شيريل لين فالى اصوات مجموعات مثل "فيلاج بيبول" التي تحاكي ايضا المفهوم الاوروبي للشخصيات الامريكية، الى محاكاتها عددا من الشخصيات المستهترة المعروفة. وقد استطاعت هذه المجموعة، بفضل ما قدمته على شاشة التلفزيون من عروض مفعمة بالحركة والايقاع القوي والاصوات التي تشبه صرخات لاعبي الكاراتيه، ان تبيع عشرة ملايين نسخة من اسطواناتها عبر العالم.

ان الدافع الذي يحفز الانسان على الرقص هو الذي يمهد طريق الثورات في الموسيقى الشعبية. وكما ان رقصة الجيتر باغ" المحمومة هي التي بعثت موسيقى "السوينغ" خلال الاربعينات، هكذا وجد الهز والترنح في العقد الحالي منطلقاومتنفساله في موسيقى الديسكو، وراحت كبريات شركات التسجيل تضخ ملايين الدولارات لتأسيس اقسام جديدة خاصة بالديسكو. وقد يكون نات فريدلاند من شركة "فانتازي ريكوردس" محقا في توقعه "ان يظل الديسكو العامل الرئيسي في اسواق الموسيقى وقتا طويلا".

■ ملخص عن مجلة "نيوزويك"

منافسة

بعدما وجد صاحب دكان صغير في نابولي محله محاطا بمخزنين ضخمين، اسم الاول "اضخم معرض في نابولي" والثاني "اضخم مخزن في ايطاليا"، لم يجد بداً من كتابة اللوحة الآتية امام دكانه: "المدخل الرئيسي".

ا.ب.

انتقام

كلما عاد توم الى بيته في المساء، وجد زوجته في انتظاره وقد وضعت خفَّيه امام الموقد وأعدّت له صحنا كبيرا من الحساء الساخن.

وذات يوم ذهب الى عمله في الصباح بعد مشاجرة بسيطة مع زوجته. وحين عاد مساء لم يجد حساء ولا خفاً. فقال لها من دون ان يبدو عليه الامتعاض: "حسنا، سأصنع حسائي بنفسي اذا شئتِ، ولكن اين خفّي؟"

فأجابت الزوجة ببرودة: "في الثلاجة".

ج.ل.ج.

صانع المانيا الحديثة

اختصر بسمارك موقفه بجملة واحدة شهيرة: "إن قضايا العصر الكبرى لن تتقرر بالقاء الخطب وبالاكثريات النيابية، وانما بالدم والحديد"

كان، خلال جزء كبير من سيرته، يحتل بسهولة رأس اي قائمة توضع للسياسيين المكروهين وحين علم وزير خارجية امبراطورية النمسا والمجر ان احدى مكائد هذا الرجل اخفقت، ضرب طاولة مكتبه ثلاث مرات بقبضة يده. كما ان ولية عهد بروسيا كتبت الى والدتها الملكة فيكتوريا في انكلترا: "انه لا يمضي يوم لا يعمل فيه هذا الرجل الخبيث بنشاط من اجل الحرب، محرفا كل شيء لخدمة غرضه الخاص".

ان المستهدف من هذا العداء الشرس كان اوتو فون بسمارك، الذي حكم بروسيا، ثم الامبراطورية الالمانية، نحو ثلاثين عاما. لقد كان، بوجهه الضخم ذي الشاربين الكبيرين، وبقامته المديدة التي تزيد

على متر وثمانين سنتيمترا، وبعينيه الزرقاوين الشاحبتين تحت حاجبيه الاشعثين، ينظر ببرودةالى منتقديه. في حين كان صوته الرقيق العالي يوجه الاحتقار الشديد لاولئك الذين يعترضون طريقه. ولا يزال بسمارك يعرف حتى الآن بذلك البروسي المتجهم بخوذته المرززة. كما ان موقفه لا يزال يختصر بجملة واحدة شهيرة هي: "ان قضايا العصر الكبيرة لن تتقرر بالقاء الخطب وبالاكثريات النيابية، وانما بالدم والحديد".

وليست هذه الصورة خاطئة بمقدار ما هي غير كاملة. لقد كان بسمارك شديد التعقيد، لا بل شديد التناقض. فقد بنى الجيش الاكثر كفاية في اوروبا، ولكنه، الى جانب ذلك، بقي عميق الشك بالعقلية العسكرية. صحيح انه دفع النمسويين، والفرنسيين بعدهم، الى حسم عسكري، لكنه لم يفعل ذلك الا حين ادرك ان كلتا الدولتين ترغبان في ابقاء المانيا مجزأة وضعيفة. وكان ينظر الى بروسيا كوطنه الأم، ومع ذلك فانه حقق الوحدة الالمانية بالجمع بين الولايات الالمانية التسع والثلاثين المتباينة، المتحاسدة، في امة واحدة.

رجل التناقضات - في الحقل الداخلي، كان بسمارك السياسي الواقعي الاول. فهو على استعداد للتعاون مع اي معارض قد يساعده موقتا على تحقيق برامجه. لقد كان هذا السياسي المحافظ غير متعصب لمبدأ او نظرية، بحيث انه كان، وهو في ذروة قوته، يعد اشتراكيين بارزين بين اصدقائه، ويقتبس افكارهم، ويستخدم الكثيرين منهم للعمل في صحيفة يمولها بنفسه. وقد حاول في احدى المناسبات ان يقنع كارل ماركس بالانضمام الى العاملين فيها). ثم انه كان رائدا في وضع سلسلة من التشريعات الاجتماعية الاولى تاريخياً في اوروبا.

ومن السخرية ان هذا الرجل، المعروف بالمستشار الحديدي، كان ايضا كتلة مرتعشة من العواطف.

والمعروف انه كان ينفجر باكيا عندما يخلو بنفسه في مكتبه بعد مشاجرة او خلاف مع ملك بروسيا. وكان شكسبير وبايرون احب كاتبين اليه، كما انه كان يقرأ الشعر خلال رحلات صيد البط.

وكان يأكل ويشرب بمقادير هائلة. وربما اكل ١٥٠ محارة في جلسة واحدة. وصرح ذات مرة انه ينوي ان يشرب ٥٠٠٠ زجاجة شمبانيا في حياته.

وكثيرا ما كان يقضي امسياته وهو يدخن السيجار الاسود، ويجرع مزيجا قويا معروفا بالشراب الناعم الأسود - او المخمل الاسود - وهو خليط من الشمبانيا والجعة السمراء القوية، اخترعه لنفسه.

وكان سيد الكلام كما كان سيد اللعبة السياسية. ان اسلوبه النثري المترف والواضح لا يزال محط اعجاب حتى الوقت الحاضر. وذات مرة بقي يملي خمس ساعات من دون توقف وهو يذرع مكتبه جيئة وذهاباً، حتى قالت سكرتيرته في وقت لاحق: "لقد ذهلني انشاؤه الخالي من الخطأ".

النذل الأول - ولد بسمارك عام ١٨١٥ لعائلة من اليونكر، او الاقطاعيين

الريفيين، في براندنبورغ في بروسيا. وفي شبابه كتب الى صديق له انه يتوقع "ان يصبح إما النذل الأكبر وإما الرجل الأول في بروسيا". ولبعض الوقت، بدا مؤكدا انه اختار ان يكون "النذل الأكبر".

وفي جامعة غوتنغن كان غريب الاطوار، متمردا على النظام. فقد كان، بشعره الأشقر الضارب الى الحمرة والمتدلي حتى كتفيه، يمشي ببطء وتشامخ، بقبعته الضخمة وحذائه ذي الكعب الحديدي، حاملا عصا من حديد، يتبعه عدد من كلاب الصيد. وكان مزهواً بنفسه ومحبا للقتال، فانضم الى فرقة طلاب للمبارزة وكسب ٢٤ معركة من اصل ٢٥.

وبعد اخفاقه في احدى الوظائف، عاد فقضى نحو عشرة اعوام يدير شؤون عقارات عائلية متعددة في بوميرانيا وبراندنبورغ، صارفاً ايامه مع "الكلاب والجياد والمرافقين الريفيين"، ومع الكتب ايضا. وقد قال بعد ذلك: "ان معلوماتي العامة نابعة من حقيقة اني، في ذلك الوقت الذي لم يكن لدي شيء افعله، وجدت في حوزتي مكتبة تضم جميع المعارف العملية والنظرية، فالتهمتها التهاما". وفي العام ١٨٤٧، تزوج بسمارك من فتاة نحيلة ذات شعر فاحم اسمها جوهانا فون بوتكامر، واستقرا في منزل العائلة في شونهاوزن.

سيجار التحدي ـ وفي اقل من سنة، بدأ النظام المحافظ الذي ساد اوروبا منذ سقوط نابوليون بالتصدع، وصار الحلم بتحقيق وحدة المانيا هو النداء الذي يجمع الديموقراطيين الليبراليين الالمان. وكان بسمارك يكره القسم الاكبر من وجهات نظرهم السياسية. وفي محاولة منه للتصدي لنفوذهم، خاض معركة انتخابية للبرلمان، وامن لنفسه مقعدا في "اللاندتاغ" او المجلس الادنى.

وفي العام ١٨٥١، حظي بسمارك بمركزه الرئيسي الأول، اي المبعوث البروسي الى فرانكفورت، مقر الاتحاد الالماني. وكان هذا التجمع للولايات الالمانية غطاء للسيطرة النمسوية. لذلك اخذ بسمارك، منذ البداية، يستغل كل مناسبة للتأكيد على مساواة بروسيا بالنمسا. وفي اجتماعات "الدايت" - اي المجلس التشريعي كان السفير النمسوي، بصفته رئيسا، يتمتع بامتياز التدخين. وما ان اشعل السفير الرئيس سيجارا حتى فعل بسمارك مثله. ولما وجه احد النواب الليبراليين في "لاندتاغ" برلين ملاحظات مهينة حول اشعال بسمارك السيجار، تحداه بسمارك بمباهاة مألوفة منه، وطلبه للمبارزة. وأطلق كل منهما طلقة واحدة، ولكنه اخطأ الهدف.

وكديبلوماسي، ارسل بسمارك الى بطرسبرغ عام ١٨٥٩، لثلاث سنوات، ثم الى باريس. غير انه ظل بعيدا عن مواقع القوة، الى ان سنحت فرصته اخيرا عام ١٨٦٢. ففي تلك السنة دخل ملك بروسيا الجديد، غليوم الاول، في صراع مرير مع "اللاندتاغ" حول اقتراح له لاصلاح الخدمة العسكرية. ولمعرفته بمقدرة بسمارك كسياسي بارع صلب، عينه غليوم

ذوق واناقة ... رادو بدون منازع

الذوق مرادف للجمال ...
والجمال مفهوم مطلق ... انه أكثر من انسجام بين اللون
والشكل. الجمال في مفهومه الحقيقي يعني الكمال في البساطة والوضوح في التصميم والمظهر.
لكن ماذا يعني الجمال اذا لم يكن دائمًا ؟
هذا هو السبب الذي دفع رادو للعمل بنشاط وجد كبيرين لتحقيق كمال 'دياستار' في
مقاومة الخدوش . فاطارها المصنوع من المعدن الصلد وغطاؤها المصنوع من الياقوت الأزرق كلاهما
مقاوم للخدوش يحفظان لها مظهرًا جديدًا اليوم ... غدًا ... وكل يوم .
لاغرابة إذًا أن تكون 'رادو دياستار' ساعة يفتخر بحملها الجميع في كل مكان. إختبر ذلك بنفسك
وجرّب 'رادو دياستار' الدقيقة المقاومة للخدوش .

RADO رادو

آفاق جديدة في صناعة الساعات .

رئيسا للوزارة. وقام بسمارك بمناورات سياسية بارعة، وحوّل اهتمامه تدريجاً نحو اقصاء النمسا عن الاتحاد الالماني.

سلسلة الجبابرة - وراح بسمارك يبعث الى الملك بتقارير منتظمة عن تحركات النمسا المثيرة. وفي الوقت ذاته نشط في اوساط الرأي العام بنشر مقالات في الصحف البرلينية يهاجم فيها النمسا. وفي يونيو (حزيران) ١٨٦٦، بلغ استياء النمسا حده الاقصى، الى ان تحدّت بروسيا تحديا مباشرا.

وفي مدى سبعة اسابيع سقطت النمسا مغلوبة على امرها. وقد وصف احد المراقبين بسمارك في ميدان معركة "سادوفا" الرهيبة - وهي احدى اكبر المعارك العسكرية في تاريخ اوروبا، حيث اشتبك ٤٥٠ الف جندي في صراع عنيف - بقوله: "كان راكباً جواداً ضخماً كستنائي اللون، مرتديا معطفا رماديا، وعيناه الواسعتان تلمعان تحت خوذته الفولاذية، مما ذكرني بقصص الطفولة عن الجبابرة القادمين من الشمال المتجمد".

واستخدم بسمارك وزنه السياسي لتوحيد جميع الولايات الواقعة على شمال نهر الماين في اتحاد شمال المانيا. كما مُنح الصلاحيات التنفيذية بصفته مستشار الاتحاد.

ومن الطبيعي ان يسبب ظهور دولة المانية قوية موحدة تحولا في توازن القوى في اوروبا. وكان واضحا ان الامبراطور الفرنسي نابوليون الثالث لن يتساهل في ذلك الى مدى بعيد. على ان الحرب، اذا كانت ستقع من هذه الجهة، فان بسمارك كان يريد ان تظهر فرنسا على انها المعتدية. وسنحت الفرصة لذلك عام ١٨٧٠، بعد مرور سنتين على خلو عرش اسبانيا، اذ اقدم بسمارك سرا على ترشيح احد افراد عائلة هوهنزوليرن، وهو نسيب بعيد للملك غليوم. وكان تخوف الفرنسيين من وجود ملكين من عائلة هوهنزوليرن على جانبين من حدودهم امرا مفهوما، ولذلك عمد السفير الفرنسي الى الالحاح على غليوم خلال اجازته في بلدة ايمس بان يرفض ترشيح نسيبه. ووافق الملك على ذلك، لكنه رفض متابعة النقاش حين اصر الموفد الفرنسي على غليوم بان يعلن ضرورة عدم تجديد هذا الترشيح.

صانع الامبراطورية - كان التقرير الذي تلقاه بسمارك من مندوبه في ايمس عن المقابلة غير ضار نسبيا. لكنه، بتنبهه لوقع الكلام وبغريزته السياسية، اختصر الرسالة الى نصف حجمها في الاصل، بحيث جعل الطلب الفرنسي الاخير ورفض غليوم له يبدوان كأنهما اختلاف صريح. عند ذلك نشر "بلاغ ايمس" الشهير في اوروبا كلها، فاختار نابوليون الحرب على مضض.

وخسر الفرنسيون الحرب منذ بدايتها. فقد كانت تعبئة قواتهم في حالة فوضى، وكانت مدافعهم مغلوبة باستمرار، كما كانت قيادتهم غير جديرة. واستطاعوا ان يجندوا نحو ٢٥٠ الف جندي للوقوف في وجه نصف مليون الماني. لكن الحملة انتهت في ستة اسابيع، واستسلم نابوليون الى بسمارك شخصيا في سيدان.

وحدث ما كان بسمارك يتوقعه. فقد جذبت الحرب الى جانبه ولايات المانيا الجنوبية التي كانت قد بقيت خارج الاتحاد. وفي ١٨ يناير (كانون الثاني) عام ١٨٧١، اندفع حشد من الامراء بشعورهم المذهبة المعقوصة، ومن النبلاء والضباط، الى قاعة المرايا الرخامية في قصر فرساي الفرنسي. وهناك صورة معاصرة تظهر غليوم، ببزته البروسية الزرقاء الداكنة، قبالة بسمارك ببزته العسكرية البيضاء، وهو يقرأ، بصفته مستشارا، بيانا يعلن فيه قيام الامبراطورية الالمانية. لقد صار غليوم امبراطورا، لكن العالم كان يعرف ان صانع الامبراطورية هو بسمارك.

وازاء تصميمه على ان تكون الدولة آمنة وعصرية، عمد بسمارك، بعد ضم الالزاس واللورين اللتين اقتطعهما من فرنسا، الى انشاء شبكة من المحالفات ربطت جميع العواصم الاوروبية ببرلين. اما في حقل الشؤون الداخلية، فقد انقلب هذا المحافظ العظيم الى اكثر المجددين جرأة. فهو حرّر المدارس من سيطرة الكنيسة ووضعها تحت رقابة الدولة.

وفي العام ١٨٧٦، ادخل الى جميع انحاء المانيا التسجيل المدني للولادات والوفيات وعقود الزواج والزواج المدني الالزامي والطلاق. وبلغ برنامجه الاصلاحي ذروته في ثلاثة تشريعات مميزة هي: قانون الضمان الصحي والاعانات المرضية (١٨٨٣)، قانون ضمانة العمال في الاحداث الطارئة (١٨٨٤)، قانون التقاعد في سن الشيخوخة والعجز (١٨٨٨)، مما جعل المانيا، كما قال المؤرخ البريطاني أ.ج. تايلور، "نموذجا لكل بلد متحضر".

وكان بسمارك، عندما يتعب من القيام بمسؤولياته، ينسحب الى احد عقاراته الشاسعة ليتجول في الغابات، ووراءه كلب او اثنان. وذات يوم ابصر حطابا يقطع شجرة ذاوية، فرفع قبعته السوداء العريضة الحرف، كاشفا عن رأسه الاصلع، وقال له: "انا ايضا سقط شعري، لكني لست على استعداد لان اقطع". وفي النهاية كان الشاب المندفع، غليوم الثاني، هو الذي قضى عليه. ففي العام ١٨٩٠ تخلى عن المستشار المسن وصرفه الى منزله، ومعه ١٣ الف زجاجة نبيذ من اقبية المستشارية.

ان تكوين الاوضاع السياسية الحالية في اوروبا - مع وجود امة المانية قوية - يعود الى بسمارك اكثر من اي شخص اخر. لكنه - وهو باني هذه الامبراطورية القوية - لم يخلف رجلا قادرا على توجيه هذه القوة الرهيبة. ومع اقتراب نهاية القرن وانزلاق اوروبا نحو الحرب العالمية الاولى، كان بسمارك يدرك هذه الامور بوضوح تام، فأخذ يكتب مقالات صحافية عنيفة حول سياسة خلفائه المتهورة.

وفي المساء الحار من الثلاثين من يوليو (تموز) ١٨٩٨، تجمعت عائلة بسمارك في غرفته وهو ينازع. وفجأة جلس الرجل المسن، وجرع كوبا من المرطبات، ثم نطق، وهو الذي يأبى الخذلان حتى النهاية، كلمته الاخيرة: "الى الأمام".

■ فرنسيس ليري

جراحة الدماغ:

استئصال ورم من مخ شاب

قضى الكاتب لورنس شينبرغ بضعة اشهر مع رئيس جراحة الاعصاب ومعاونيه في احد المستشفيات التعليمية في الولايات المتحدة، فنقل الى القراء الرواية التالية لاحدى العمليات الجراحية الدقيقة والحاسمة التي اجريت لشاب في اثناء اقامته هناك. وقد روعي فيها تغيير اسماء الاشخاص والأماكن.

ربما كان الورم الذي شكا منه تشارلي هوايت موجودا لديه منذ ولادته، ولكن قدومه الى جراحة المخ والاعصاب لم يبدأ الا بعد بلوغه السن الحادية والثلاثين باسبوعين، عندما وقف امام مكتبه تأهبا للانصراف لتناول غدائه، فاذا به يهوي الى الأرض وقد اصابته نوبة شبيهة بالصرع من دون ان يكون قد سبقها اي مرض او انذار. وظل تشارلي طوال خمسين ثانية يشعر وكأن قلبه قد توقف، كما ظلت ساقه اليسرى طوال ثلاث دقائق تهتز هزة رقيقة وكأنها تستجيب لايقاع موسيقي.

وبعد النوبة بستة ايام، في عصر يوم بارد من شهر مارس (آذار)، جاء تشارلي هوايت الى مستشفى اوسلر التذكاري ليقابل جراح المخ والأعصاب جيمس بروكمان، المعروف باسم "الرئيس" في قسم جراحة الاعصاب.

وكانت اجريت لتشارلي فحوص اشعة بالدماغ الالكتروني لانسجة مخه وفحوص اشعة اخرى بيانية (انجيوغرامات) للدورة الدموية في مخه، وثبت منها جميعا وجود ورم يسمى "مينينجيوما" فوق منطقة التحكم بالحركة على الجانب الايسر

CONDENSED FROM «BRAIN SURGEON» COPYRIGHT (C) 1979 BY LAWRENCE SHAINBERG
PUBLISHED BY J.B. LIPPINCOTT CO. NEW YORK N.Y.

من المخ. ولئن ندر ان تكون اورام المخ التي من هذا النوع خبيثة، الا ان الجانب القاتل فيها هو انها لا تجد مكانا للنمو، ومن ثم فانها عندما تبلغ حجما معينا فقد تتسبب في الأصابة بالشلل او البكم او فقد الذاكرة، او الموت خلال فترة قصيرة.

جلس الرئيس واثنان من الجراحين المقيمين اضافة الى مساعد جراح على احد جانبي طاولة الاجتماعات، بينما جلس على الجانب الآخر تشارلي وشقيقته وامهما. وكانت فحوص الأشعة البيانية (الانجيوغرامات) مركبة على ستار مضيء (شاشة)، حيث رأى فيها تشارلي اشكالا متداخلة من الأسود والأبيض تتلوى حول كتلة وسطى تشبه جذور شجرة السنديان وتمتد من اسفل جذعها.

واخذ الدكتور بروكمان "يقرأ" صورة الأشعة بالسهولة نفسها التي يقرأ بها معظم الناس الصحف اليومية. ومد يده فرسم دائرة بقلمه، وقال: "ان الورم يقع فوق منطقة التحكم بالحركة، وهذا هو سبب ارتجافات الساق". ثم اتى بحركة تكاد تبدو هزيلة على رغم ما فيها من عطف باد، ولمس رأسه بقلمه ورسم دائرة خلف قمة الجمجمة مباشرة موضحا: "وانا ارى ان مكان الورم يقع بالتحديد في موضع ما هنا".

فقال تشارلي: "يا للعنة! هذا هو الموضع الذي احسست فيه بالورم".

كان تشارلي شابا قصير القامة، قوي البنية، ممتلىء الجسم ذا عينين لا تكفان عن الحركة، وكان اكثر هدوءا من شقيقته وامه. وسأل: "وما هي درجة الخطر؟ وماذا يحدث اذا لم تجر العملية؟".

فرد الطبيب: "سيقتلك هذا الورم عاجلا ام آجلا".

وعلى رغم ان السؤال التالي كان اقل جدية وخطورة، الا انه كان اكثر حرجا، قال تشارلي: "وما هو نوع البضع الذي ستجريه؟".

فرفع الدكتور بروكمان يده الى رأسه راسماً خطاً مقوساً كحدوة الحصان، يبدأ خلف الأذن اليسرى وينتهي امامها مارا بالخط الأوسط للجمجمة عند ذروة ارتفاعها وقال: "اننا نبضع هنا، ونجري بضعاً اخر هناك، ثم نفتح ما يشبه الباب خلال الجمجمة. انها عملية بسيطة".

وكان بروكمان يصف عملية "بضع الجمجمة" (كرانيوتومي)، بانها من اقل العمليات خطورة في جراحة المخ والأعصاب، الا انها اكثر العمليات اثارة للصدمة، لانها تتناول اقصى حدود انتهاك الذات.

وبدأت ام تشارلي تنتحب، فامسك الدكتور بروكمان بيدها وقال: "هوّني عليك! هوّني عليك! فالأمر ليس على هذه الدرجة من السوء. فكروا في المسألة قليلا ثم ابلغوني قراركم".

فقال تشارلي: "ولماذا نفكر في المسألة؟ ان القرار يخصني وقد عزمت على اجراء العملية، لأنني لا اريد ان ينمو ذلك الورم داخل رأسي. متى يمكنك اجراء العملية؟".

فرد الطبيب: "ما رأيك في يوم الخميس المقبل؟".

ووقف الرئيس وتشارلي وتصافحا.

كانت مهنة بروكمان تقليداً عائليا يتناقله الأب عن الجد. فقد كان ابوه وجده من قبله جراحين واستاذين للجراحة ورئيسين لاقسامها في المستشفيات. وكانت العمليات هي

مسرحه ومحراب صلاته وقمة الانجاز الذي يبعث النشاط في حياته. وبروكمان رجل في الثالثة والستين، قصير القامة لا يتجاوز طوله ١٦٠ سنتيمترا. وكان يرى انه عندما يدخل غرفة العمليات يغيب فيها الوقت وتزول عوامل تشتيت الانتباه وحتى الجوع. وهو يقول في ذلك "ليس هناك اي مجال حافل بالتحديات مثل جراحة المخ او يفرض اكبر قدر من المسؤولية والقلق ويلزم الجراح باتخاذ العديد المتتابع من قرارات الحياة او الموت".

التحضير للجراحة - كانت ممرضة تشارلي هوايت الليلية قد انصرفت لتوها عندما قدم الدكتور بروكمان الى غرفة المريض اثناء جولته المسائية.

وسأله الجرّاح: "هل انت خائف؟"

فاجاب تشارلي: "نعم، قليلا".

قال الجراح: "انت خائف من الموت. لا تخف، فنحن نعرف ما نعمله".

فرد تشارلي ضاحكا: "حسنا".

وضغط الدكتور بروكمان على يده وقال: "ما دمت تضحك يا بني فسيتم كل شيء على ما يرام".

وحاول تشارلي ان يراقب مباراة الكرة في جهاز التلفزيون، ولكن المحاولة لم تكن مجدية، فقد اخذ الرعب يتصاعد بين جوانحه، وتبدت لخياله صور بشعة: فها هي جمجمته مشقوقة وقد غاصت فيها يدا الدكتور بروكمان الى المعصمين. وفي التاسعة مساء اعطي جرعة من عقار "الفاليوم" (يازيبام) المهدىء، وفي التاسعة والنصف جاء الجراح المقيم بني ريتشموند ليحلق له رأسه.

وكان "الفاليوم" عونا لتشارلي، فاستغرق في نوم عميق حتى ايقظته الاستعدادات التمهيدية للجراحة في الصباح التالي. وكان هناك الكثير الذي يجب عمله لتحضيره للعملية. فقد غرست قطارة في احد شرايين معصمه الايمن واعطي جرعات من "الستيرويدات" لخفض الضغط داخل جمجمته، كما اعطي، عن طريق الفم، عقاري "الفينيتوين" و"الفينوبابيتال" اتقاء للنوبات، وعقار "النيمبوتال" درءاً لوقوعه فريسة الرعب. وبعد ذلك جاء الممرض الملحق بغرفة العمليات ودفع بسريره المدولب الى الردهة.

كانت الساعة تشير الى السابعة والنصف صباحا، وقد تمت الاستعدادات اللازمة في غرفة العمليات، فجاءت الممرضتان المساعدتان ميلي ييتس واستر وولف في السابعة لوضع الآلات في اماكنها وترتيب ادوات الجراحة التي بلغ عددها ١٥٠، ولفها في مناشف زرقاء ووضعها على اللوحة المستطيلة قرب طاولة العمليات. بدا كل شيء مهيأ ولم يبق الا الانتباه والدقة لضيق المسافة بين الحياة والموت.

ودُفع سرير تشارلي حتى توقف محاذيا لطاولة العمليات، ثم سألته الممرضة المساعدة ميلي ما اذا كان يستطيع الانتقال الى الطاولة بنفسه، فقال: "ولم لا؟" وبعد ان فعل ذلك قال، وكأنهم قد اسدوا اليه معروفا، "اشكركم شكرا جزيلا".

وتولت الممرضتان والجراح المقيم جوزيه ريفيرا نزع رداء تشارلي، ثم غطوا جسده بملاءة وربطوا اشرطة من الجلد عبر صدره وفخذيه. وكان وجه

تشارلي ابيض شاحبا وفمه متقلصا في ابتسامة ملتوية. واخذت تتتابع على ملامحه علائم الخوف ثم التلاشي ثم اللامبالاة. وتسارعت اصداء الايقاع في الغرفة بعد ان وصل الجراح المقيم بني ريتشموند والممرضة ليزا كينج، فأصبح حول تشارلي خمسة اشخاص يصلون جسده بالآلات ويحركون ساقيه ويميلون طاولة العمليات ويركبون وصلات الجهاز الكهربائي لرسم القلب على صدره ويلفون مقياس ضغط الدم حول ذراعه.

وكان من المتعذر، في تلك اللحظة، اخفاء الغاية من هذه الترتيبات، كما كان من المتعذر ايضا على الاطباء - مع وجود المريض في حال الوعي - ان يجهروا بما ينوون ان يقدموا عليه، فكانت النتيجة ثرثرة غافلة بين الفريق الطبي، ولكنها توقفت فجأة بوصول تيري شرايبر، اختصاصي التخدير الذي انتشر معه في غرفة العمليات احساس بالخطر، وكأن الأمور اخذت تنساق في مسار لن يقوى احد على التحكم به.

وسأل تيري تشارلي: "كيف حالك يا صديقي؟".

اجاب تشارلي: "بخير، كما اعتقد".

وفتح شرايبر صندوق عدّة الحقن في الوريد، وحدد بسرعة الوريد الذي يستهدفه في معصم تشارلي، وقال له: "انك ستنعم بأعذب نعاس عرفته في حياتك. تصبح على خير يا صديقي". وقبل ان يفرغ نصف الحقنة، مال رأس تشارلي ناحية اليمين، واستغرق في سبات عميق.

ولم يكد تشارلي يغيب عن وعيه حتى تزايدت فجأة سرعة الحركة في الغرفة كأن قمرا اصطناعيا قد اندفع الى مداره. فلم يعد هناك اقتضاء للمحافظة على المظاهر، ولا حاجة الى اخفاء عنف العملية على المريض. وامسك الجراح بني بقلم وَسْم ارجواني، وحدد محوره بان وضع خنصره على انف تشارلي وابهامه على قمة جمجمته، ثم رسم خطا حرا على طول منتصف الجمجمة، وخطا آخر متقاطعا مع الأول يصل ما بين الأذنين.

واعطى شرايبر تشارلي "اوكسيد النيتروس" من خلال قناع التنفس، ثم اعقبه اخيرا بغاز "الهالوثان" - وهو عنصر التخدير الرئيسي. وتولت كارلا فريدريكس - مساعدة شاريبر - ادخال خافض لسان طويل من البلاستيك مزود بضوء في طرفه، ثم صوبت ابرة طولها عشرون سنتيمترا في عمق حلق تشارلي واعطته جرعة من "الليدوكايين" لتخدير اوتاره الصوتية ووقايته من التقلصات نتيجة التخدير العام، ثم سحبت الحقنة وشبكت كتلة واقية من العض على لسانه، وادارت الخط الرئيسي للحقن في الوريد لكي يتسنى لـ"البانكورونيوم" - وهو عنصر شل الحركة الذي يعطى مع "الهالوثان" - ان يوقف الحركة في كل عضلة من جسم تشارلي ما عدا القلب، وذلك لوقاية الشاب من احتمال تحرك عضلاته لا اراديا اثناء الجراحة ومن ثم زحزحة الورم. وحيث ان تشارلي قد اصبح الآن عاجزا عن التنفس من تلقائه، فقد ادارت كارلا جهاز التنفس الاصطناعي.

وادخل جوزيه انبوبة مزيتة في مجرى بول تشارلي، وثبت غطاءين من البلاستيك فوق عينيه، ثم ادخل ابرة تليها انبوبة في الشريان الفخذي الايمن (لمتابعة ضغط الدم) وركب في يده اليسرى انبوبة لتزويده من خلالها بالدم عند الحاجة.

المريض اللطيف! ـ بلغت الساعة السابعة والدقيقة الخمسين وراجع جوزيه وبني رسوم الاشعة البيانية، ثم وضعا رأس تشارلي على وسادة مطاطية سوداء مثقوبة في وسطها، واسترشدا بالخطين اللذين رسمهما بني على رأس تشارلي، فرسما بدورهما السدلة (مساحة الانسجة) التي تتناولها الجراحة على جمجمته: خمس دوائر ضئيلة تترابط في شكل خماسي الاضلاع.

وكان ذلك آخر ما يمكن عمله قبل التطهير التمهيدي للجراحة، فانسحب الاثنان الى غرفة التطهير لاجراء التنظيفات التفصيلية اللازمة لكل من سيلمس المريض. وحين عادا رافعين ايديهما التي يقطر منها سائل التطهير، عاونتهما ميلي في ارتداء معطفي الجراحة وقناعيهما والقفازات المحكمة على الجلد، ولم يعد باديا منهما في النهاية سوى عيونهما. وشبكت ميلي المصباح الرأسي على جبهة بني وضبطته وهو يقف مواجها لرأس تشارلي، بحيث اصبح ضوؤه مسلطا على السدلة المرسومة على جمجمة المريض.

وتناول بيني حقنة من عدة الادوات وحقن فروة رأس تشارلي في ستة مواضع بمحلول ملحي لخفض مفعول الأوعية الدموية قبل البضع.

وفي هذه اللحظة بدأ العنين المتقطع الصادر عن مرسمة الذبذبات وهي تسجل تقلبات النبض وضغط الدم فتظهر نتائجها تباعا في شريط يمر على الشاشة فوق قدمي تشارلي. وكان على كارلا ان تراقب المقاييس المركزة على جهاز التخدير كل ٣٠ ثانية للتحقق من العلامات الحيوية وان تصغي الى تنفس تشارلي ودقات قلبه من خلال الاداة التي تقحمها في اذنها وتمتد اسلاكها تحت ملاءة السرير وتتصل بالمسماع الطبي.

وكانت طبيعة عملها تضطرها الى البقاء قريبة من وجه تشارلي، مما يتيح لها، اكثر من سائر الموجودين في الغرفة مراقبة ملامح شخصيته. وقالت مخاطبة ميلي: "انه لطيف، اليس كذلك؟".

وفي الساعة ٨،٤٠، اجرى بني البضع الأول: ضربة سريعة بالمبضع على طول الخط الامامي من السدلة. وبعد ١٥ دقيقة تقريبا انتزعت فروة الرأس بعد فصلها عن العضلات التحتية وكانت هناك ثلاث طبقات من الانسجة. فروة الرأس والعضلات والغشاء المسمى "الخوذة"، - يجب فصلها وانتزاعها جميعا قبل الوصول الى عظم الجمجمة حيث يبدأ "الحفر". وكان سمك فروة رأس تشارلي ١٢ ملليمترا وسمك عظام جمجمته ثمانية ملليمترات تقريبا. وقد احتاج الامر في النهاية الى ٥٥ دقيقة كاملة لاتمام فتح السدلة.

وبدأ النزف شديدا على طول مساحة البضع. وبعد شفط الدم النازف ومسحه بالأسفنج ركبت مشابك بيضاء من البلاستيك لاقفال الأوعية

الدموية. وبعد بضع خط السدلة قطع النسيج الموجود تحتها بكسين حادة جدا، ثم سلخت السدلة برفق الى الخلف كما تسلخ قشرة البرتقالة، واحيطت بمادة شبكية النسيج.

وقال بني: "نادوا الرئيس" وقولوا له ان امامه ثلاثين دقيقة".

عندما انكشفت العظام، فتحت ستة ثقوب كبيرة على طول الخط الذي حددت به السدلة، واستخدم في فتحها "مثقب الجمجمة" (الكرانيوتوم)، وهو اسطوانة من الصلب غير القابل للصدأ تشبه البندقية الفضائية ويصدر عن دورانها صوت يشبه عويل حيوان صغير. والميزة الكبرى التي يتسم بها مثقب الجمجمة هي انه يدار بواسطة الهواء مما يمكنه من الاستجابة السلبية او العكسية لاي ضغط يعترضه. فكلما زادت صلابة الانسجة التي يخترقها كلما زادت قوة دورانه. ولذا فقد كانت لقمة المثقب تدور بأقصى سرعتها وهي تخترق العظام، ثم توقفت عن الدوران عندما التقت النسيج اللين تحت تلك العظام.

وكان لا بد لبني من الارتكاز بثقله كله على مثقب الجمجمة لكي تخترق لقمته جمجمة تشارلي، فوقف مائلا الى الامام حتى اصبح جسمه يحيد عن الوضع العمودي بزاوية يقدر انفراجها بـ٢٠ درجة تقريبا. ولا حاجة الى القول انه ركز اهتمامه على تجنب المساس بالمخ على الأطلاق، ولذلك فانه بعدما انتهى بني من فتح الثقوب راح ينشر الخط الواصل بينها. وكانت حركة المنشار العالي التردد بالغة السرعة، لا تكاد تراها العين، وكانت تتطاير فيها خيوط من تراب العظام، بينما كانت حرارة الاحتكاك ترتفع بسرعة الى درجة استلزمت رشه بسائل التبريد من دون انقطاع. وبعد عملية النشر، ادخل بني بين الثقوب اداة مرنة تسمى "واقي الجافية" واخذ يحركها جيئة وذهابا مرات عدة ليفصل عظم الجمجمة عن المخ الموجود تحته، ثم لف رأسه في شكل دائري وكأنه يلين عضلات رقبته، ورفع بصره الى ميلي الواقفة قرب عدة العمليات وقال: "الازاميل من فضلك!".

وناولته ميلي اداتين من الصلب غير القابل للصدأ لكل منهما نصل غير حاد عرضه ٢٥ ملليمترا، فالقتهما على كفه بين الابهام والسبابة، فأدارهما بني تحت حواف السدلة في رأس تشارلي، ثم رفعه برفق حتى تأكد من انفصاله عن غشاء الجافية فانتزعه. وتبدى مخ تشارلي للعيان للمرة الأولى من خلال اطار فتحة السدلة، وقد كساه غشاء الجافية الحريري وكأنه جنين في جرابه.

كان بروكمان قد وصل الى حجرة الملابس في اللحظة ذاتها تقريبا التي طلب فيها بني الازاميل. ثم دخل غرفة العمليات وفي يده، كعادته اسفنجة تطهير استمر يفرك بها يديه والرغوة تتساقط منها على الأرض، بينما راح هو يفحص السدلة التي فتحها بني في رأس تشارلي.

وقال: "عمل يبدو جيدا. ان مهارتك تزداد باستمرار".

وتأمل بروكمان رسوم الاشعة البيانية بينما كانت ميلي تلبسه قفازيه، ثم تقدم اخيرا وجس غشاء

الجافية باصبعه، ولم يلبث ان فتحه بسرعة. ولما كان الغشاء مشدودا فقد انقذف الى جوانب الفتحة، واندفع المخ فبرز كالقبضة الصغيرة. وكانت الساعة قد بلغت ٩،٣٤ صباحا.

وبعد ان اجرى "الرئيس" فتحة صغيرة بالمبضع، بدأ بقطع شريحة من غشاء الجافية المحاذي للسدلة، ثم انتزع هذه القطعة من الغشاء فلفها مساعدوه في قطعة من الشاس المعقم الرطب ووضعوها جانبا. وظهرت اخيرا قشرة الدماغ بكل تلافيفها وبلونها الرمادي الفاتح والوردي على السطح، والذي يدكن حتى يقارب السواد عند الثنيات. وكانت الساعة عندئذ ٩،٤٥ صباحا.

وكان الورم يكمن في قاع الجزء الذي ظهر من الدماغ، وقد انتشرت فيه الأوعية الدموية تتخلله كما تتخلل بقية اجزاء المخ من حوله، غير انه ظهر متميزا عنها بلونه الأكثر دكنة ومظهره الاكثر نعومة وملامسة، فاتضح انه جسم غريب. وقال الرئيس حين انجلى المنظر: "حسنا، لا ارى ما يحول دون استئصاله بكامله".

ويتركز الاهتمام الأول، عادة، في جراحة الورم السحائي على مصادر الامداد بالدم. ذلك ان الورم السحائي يحفل بالاوعية الدموية، ومن ثم فان تناوله مباشرة قد يؤدي الى نزف خطير، اما اذا بدأت العملية بربط الاوعية الرئيسية التي تزوده بالدم فتصبح السيطرة عليه ممكنة... ولذلك فقد بدأ بروكمان يتلمس جوار الورم بحثا عن الأوعية الدموية التي تغذيه.

وحين بلغت الساعة العاشرة كان الدكتور بروكمان قد انتهى من ربط جميع الأوعية الدموية التي تغذي الورم، وعزله عن بقية انسجة المخ من حوله بفواصل قطنية. فهدأ غضبه واتخذ الحديث حول طاولة العمليات طابع الود، بل اوشك ان يكون حميما. واصبح للاصوات في غرفة العمليات ايقاع مغناطيسي موسيقي: ازيز المَيْسم والعنين المتقطع الصادر من مرسمة الذبذبات وتنهد جهاز التنفس الاصطناعي وتبادل الحديث واصداء الشفط وصلصلة الادوات الجراحية وكأنها سكاكين وشوك على مائدة العشاء. وكأن الامر كله اضحى شبه ايقاع متكرر مستديم على وتيرة واحدة.

استئصال الورم – وفي الساعة العاشرة والربع بدأ استئصال الورم، وباشر الدكتور بروكمان استخدام المبضع واعقبه بملعقة نحاسية، ففتح كبسولة الورم ثم اخذ يستخرجه في شرائح صغيرة دامية يضعها في وعاء العينات الزجاجي الى جانب عدة العمليات. وفي الساعة ١٠،٤٠ كان نصف الورم قد استقر في وعاء العينات بعد ان ضاع الباقي في انبوبة الشفط. وراح "الرئيس" يملأ التجويف الخالي برغوة جلاتينية خاصة تساعد على التجلط. وبعد بضع دقائق قال: "حسنا، فنلخرج الآن من هنا".

وتوجه الدكتور بروكمان الى الحمام ليغتسل، ثم ارتدى ملابسه وصعد الى الطابق التاسع من المبنى حيث تنتظره اسرة هوايت.

وفي الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم كان تشارلي يتحدث الى امه. وبعد يومين خرج من وحدة "العناية

الفائقة" وعاد الى غرفته العادية في جناح المستشفى. ولم تكن حاله تستدعي اي علاج بالاشعاع او العقاقير، لأن الورم - كما تنبأ الدكتور بروكمان - كان غير خطير. ولكن تشارلي سيواصل تعاطي دواء "الديلانتين" لفترة غير محدودة، للحؤول دون اصابته بنوبات، كما يجب عليه ان يعتبر نفسه عرضة للاصابة بورم المخ طوال حياته.

وقد التأم جلد تشارلي في غضون اسبوع، اما انسجته العضلية والعظمية فتطلب التآمها سبعين يوما، وامحت كل آثار الجراحة من مخه خلال عام واحد حسبما توقعه الدكتور بروكمان. ولم يشر احد على الاطلاق الى اي آثار محتملة لهذه الجراحة على قواه العقلية، باعتبار ان العملية، كما لوحظ وقفت عند حدود المخ.

■ **لورنس شينبرغ**

وزن العمر

لاحظ القصاب ان سيدة عجوزا لا تراقب الميزان على نقيض معظم بنات جنسها، فعلق ضاحكا "يبدو انك لا تهتمين للغش في الوزن".

فأجابت الزبونة: "ستؤذي نفسك اكثر مما تؤذيني. إذ لن أخسر سوى بضعة غرامات من اللحم أما انت فستتحول الى لص".

م.هـ.

حل احجية القطار ص (٧٤)

إن كابح القطار، الذي يعيش على منتصف المسافة بين شيكاغو وديترويت، يعيش ايضا في جوار السيد ...، الذي يكسب ثلاثة اضعاف ما يكسبه كابح القطار. والسيد ... لا يمكن ان يكون هو السيد روبنسون، لأن السيد روبنسون يعيش في ديترويت، ولا يمكن ان يكون هو السيد جونز، لأن السيد جونز يكسب ٢٠٠٠٠ دولار في العام، وهو رقم لا يقبل القسمة على ثلاثة. وعلى ذلك فان جار كابح القطار لا بد وأن يكون هو السيد سميث.

والمسافر الذي يحمل اسما مرادفاً لأسم كابح القطار يعيش في شيكاغو، ولذا فانه لا يمكن ان يكون هو السيد روبنسون لأن السيد روبنسون يعيش في ديترويت، ولا يمكن ان يكون هو السيد سميث، لأن السيد سميث هو جار لكابح القطار الذي يعيش في منتصف المسافة بين شيكاغو وديترويت. وعلى ذلك فلا بد ان يكون هو السيد جونز.

وبناء عليه، يكون اسم كابح القطار هو جونز أيضا.

وسميث يغلب الوقاد في لعبة البلياردو، وعلى ذلك فلا بد أن يكون الوقاد هو روبنسون.

اذا: فأن سائق القطار هو سميث.

قسيمة اشتراك

اشترك في المجلة التي يقرأها أكثر من ١٠٠ مليون في ١٥ لغة

إملأ هذه القسيمة وارسلها مرفقة بالقيمة المطلوبة الى "المختار" فتصلك المجلة فوراً. (الرجاء كتابة الأسم والعنوان بالعربية والاجنبية).

NAME .... الأسم
ADDRESS .... العنوان
....
....
PROFESSION .... المهنة
SIGNATURE .... التوقيع

أود الاشتراك في "المختار" لمدة سنة كاملة
أرفق قسيمة إشتراكي بشيك مصرفي بأسم:

AL MUKHTAR min Reader's Digest

قيمة الاشتراك السنوي بما فيه بدلات الارسال الجوي:

☐ أوروبا وشمالي افريقيا	٢٢ دولاراً أمريكياً
☐ البلدان العربية	٢٥ دولاراً أمريكياً
☐ الولايات المتحدة - كندا وامريكا الجنوبية	٢٧ دولاراً أمريكياً
☐ أوستراليا والبلدان الأخرى	٣٠ دولاراً أمريكياً

عنوان "المختار":

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE

١٢٥ مليوناً
العبها واربح معها

الضمـــان

ان دفع هذه المبالغ مضمون
في الدورة الواحدة (نصف عام)

١ × ١،٥ مليون	= ١٥٠٠٠٠٠ مارك
٥ × ١ مليون	= ٥٠٠٠٠٠٠ مارك
٨ × ١/٢مليون	= ٤٠٠٠٠٠٠ مارك
١٢ × ١/٤ مليون	= ٣٠٠٠٠٠٠ مارك
٦ × ١٠٠٠٠٠مارك	= ٦٠٠٠٠٠ مارك
١٤ × ٨٠٠٠٠م	= ١١٢٠٠٠٠ مارك
١٨ × ٥٠٠٠٠م	= ٩٠٠٠٠٠ مارك
٢٢ × ٤٠٠٠٠م	= ٨٨٠٠٠٠ مارك
٢٦ × ٣٠٠٠٠م	= ٧٨٠٠٠٠ مارك
٣٠ × ٢٠٠٠٠م	= ٦٠٠٠٠٠ مارك
٣٠٣ × ١٠٠٠٠م	= ٣٠٣٠٠٠٠ مارك
٤٤٠ × ٥٠٠٠م	= ٢٢٠٠٠٠٠ مارك
١٦٨٠ × ٢٠٠٠م	= ٣٣٦٠٠٠٠ مارك
١٣١٢٠ × ١٠٠٠	= ١٣١٢٠٠٠٠ مارك
١٨٤٨٠٠ × حتى ٨٠٠م	= ٨٥٠٤٠٠٠٠ مارك
٢٠٠٤٨٥ جائزةمجموعها	١٢٥١٣٠٠٠٠ مارك

أكبر يانصيب في أوروبا
يتيح لك مرة اخرى
فرصة شائقة للربح،
يتوافر لك فيها امكان لم يسبق له مثيل
يجعلك من اصحاب الملايين
بين ليلة وضحاها

- فقط ٤٠٠،٠٠٠ ورقـة تعرض للبيع
- في مقابل ٤٠٠،٤٨٦ جائزة مضمونة في كل دورة!
- ويبلغ مجموع الأرباح: ١٢٥،٦٣ مليون مارك الماني.
- سبع جوائز كبرى كل منها بمليون مارك.

منذ ٣٢ سنة ويانصيب "سودوتش كلاسنلوتري" يصنع رابحين سعداء. وما زالت أعدادهم تتزايد عاماً بعد عام، نظراً الى الفرص الممتازة التي يتيحها لاصحاب الحظوظ، كونه لا ينفق شيئاً من دخله على التبرعات الخيرية، وكون الرابحين يتسلمون جوائزهم خالية من الضرائب.
ومن المعروف ان المارك هو من أقوى العملات في العالم، وفي ذلك حفز للكثيرين على شراء ورقة من هذا اليانصيب الذي تشرف الحكومة عليه. وفي استطاعة أي فرد ان يشترك فيه. والأمر سهل وبسيط. يجري اعلام الرابحين شخصيا وبكتمان بمعرفة الحكومة وفي اشرافها. اذا شئت ان تصبح رابحاً محظوظاً فلا تتأخر، بل اكتب اليوم للحصول مجاناً على كراسة اليانصيب وصورة الطلب الخاص بقسيمة الاشتراك:

GREGOR FRANKFURT
STATE ACCREDITED LOTTERY OFFICE

WORLD WIDE SERVICE
State Accredited Lottery Office
GREGOR
Rüsterstraße 24, P.O.Box 119020
D-6000 Frankfurt/Main (W.-Germany)

Please mail order form and Free brochure with all details for the next cycle of the SÜDDEUTSCHE KLASSENLOTTERIE

Mr./Mrs./Miss

Street address (or P.O.Box-No.)

City (Postal code No.)

Country

Please print or type all entries.

الطعام خلال الرحلات الجوية هو من العناصر التي تخفف من حدة الملل وتقصر الطريق... أين ينتج هذا الطعام؟ وكيف؟ وما هي نوعيته؟

المطعم الطائر

بعد نحو ٤٥ دقيقة من اقلاعنا من مطار رواسي - شارل ديغول - في باريس، اعلن احد مضيفي الطائرة النفاثة الضخمة من طراز "بوينغ - ٧٤٧" ان العشاء سيقدم حالا. وتمتم الرجل البدين الجالس الى جواري: "لقد حان الوقت، فأنا اتضور جوعا".

وفي القسم الذي نجلس فيه كان المضيفون بدأوا فعلا ينشطون في بيع المشروبات. وكانت قائمة الطعام المطبوعة تشير الى ان وجبه اليوم ستضم فطيرة محشوة وشواء من لحم العجل. وامامنا في قسم الدرجة الاولى، كان الشراب يقدم على نفقة الشركة، ومعه المقبلات. وفي ذلك اليوم كان هؤلاء الركاب المدللون - الذين يدفع كل منهم ٦٣ في المئة زيادة عما ندفع نحن في الدرجة السياحية، مقابل الخدمة الاضافية - يبدأون طعامهم بفطيرة ارانب شهية وسمك القاروس المتبل ويلي ذلك طبق رئيسي من شرائح لحم البقر الغضة او لحم العجل.

وانهى جاري وجبته واسترسل في النوم. وحين استيقظ بعد اربع ساعات كان عدد من الركاب الثلاثمئة والاربعين يتهيأ للهبوط في مطار جون ف. كينيدي في نيويورك. الا ان قلة منهم ظلت لديها الشهية لاحتساء قدح من القهوة وتناول شطيرة. ومعظم اولئك الذين كانوا يتعثرون هابطين من الطائرة لم يشغل بالهم كثيرا موكب الطعام الذي لم يتوقف طوال الرحلة.

لقد نمت في حقيقة الامر صناعة تزويد الطائرات بالطعام نموا كبيرا منذ بداياتها المتواضعة في اواخر العشرينات. ففي عام ١٩٧٨ قدمت الشركات الجوية المئة والثماني، وهي الشركات الرئيسية المسؤولة عن ٧٠ في المئة من الحركة الجوية نحو ٣٧٠ مليون وجبة. واعد المتعهد الامريكي ماريوت وحده - وهو اليوم اكبر شركة مستقلة في العالم لتزويد الطائرات بالطعام - ١٤٠ مليون وجبة في مطابخه الاثنين والستين الموزعة بين المطارات في جميع انحاء العالم. واصبحت صناعة تزويد الطائرات بالطعام والشراب - التي تتولاها كلها تقريبا الف شركة مستقلة تخدم الخطوط الجوية - صناعة كبرى تدر دخلا اجماليا يزيد على ملياري دولار سنويا.

ومنذ فترة غير بعيدة، قضيت ستة اسابيع اطوف على مؤسسات التموين في المطارات الكبرى في الولايات المتحدة واوروبا. وعدت وقد اذهلتني طرق اعداد الطعام البارعة التي تستخدمها هذه المؤسسات. وكان من بين الاشياء الفريدة التي رأيتها في جولتي ما يأتي:

مواقد دوارة ينفخ فيها الشواء حتى درجة الاحمرار المطلوبة عندما يكمل دورة كاملة، وبندقية صلصة تتحكم فيها عين كهربائية وتقذف الكمية المحددة من الصلصة في كل طبق لحوم يمر تحتها فوق حزام ناقل، ودوائر تلفزيونية مغلقة تنقل الى رؤساء الطهاة آخر المعلومات عن تأخير الطائرات، وعدد الركاب وطلبات الوجبات الخاصة و"ابراج مراقبة" تستخدم فيها الاتصالات اللاسلكية لارسال ثلاجات نقالة تقف على اهبة الاستعداد محملة بمختلف انواع الوجبات الى مخازن الطائرات.

ولكن حتى مع كل هذه المجموعة الواسعة من آلات عصر الفضاء، فان اعداد وجبة تمثل تناسقا رقيقا بين الطعم واللون والتقديم يقتضي ايادي ماهرة وخيالا واسعا. وقد زرنا حقل عمل اورلو سفيندسين، المدير المساعد لتموين شركة الخطوط الجوية الاسكندينافية في مطار كوبنهاغن، فقال: "ان معظم الآتين الى اسكنديافيا يتطلعون الى مائدة الشطائر السويدية. ولهذا ربما كنا ننتج هنا من الشطائر اكثر مما ينتجه اي مكان اخر في العالم". واشار الى سبع نساء يرتدين معاطف بيضاء ويتولين تقطيع شرائح من سمك السلمون المدخن حتى تتناسب مع قطع الخبز. وبناء على اقتراحه، تذوقت قطعة طرحت جانبا لانها تبدو باهتة اللون. وعندئذ قال: "ان لها طيب مذاق القطع الوردية نفسه، لكنها تبدو غير طازجة. ومثل هذه العناية بالتفاصيل هي التي تمكننا من صنع شطيرة مكشوفة رائعة".

وفي موقع العمل التالي اذهلتني اغرب بيضة مسلوقة رأيتها في حياتي: كانت تبلغ ٣٠ سنتيمترا طولا، وتتخذ شكل خرطوم لري الحدائق، ولها طرفان مسطحان مفتوحان. وقال سفيندسين: "انها اختراع اسكندينافي يكفل حصول كل فرد على نصيب عادل من المح والبياض في الشرائح المستخدمة لاعداد انواع السلطة. والشطائر". وعلى رغم انه ظل محتفظا بسر العملية الدقيقة الا انها تتم بفصل

البياض عن المح واعدادهما منفصلين نصف اعداد، ثم اعادتهما معا قبيل الغلية الاخيرة والنتيجة "بيضة" تامة يبدو مذاقها وكأنها خرجت للتو من قشرتها.

تنوع مذهل – من الذي يقرر نوع الطعام خلال الرحلة الجوية؟ قال لي مارسيل جونكا من شركة "سيرفير": "ان شركات الطيران تشرف اشرافا كليا على تخطيط قوائم الطعام"، فلدى شركة "اير فرانس" مثلا، اكثر من الف وجبة عادية سريعة منوعة، منها نحو ثمانين يمكن ان تستخدم في اي وقت. وتشرح الوصفات محتويات كل طبق بتفصيل دقيق. وكانت وجبة العشاء التي رأيتها تتألف من "١٢٠ غراما من ضلع الحمل، و٨٠ غراما من الفاصوليا الخضراء، و٣٠ غراما من الكافيار"، الى جانب "٢٥ غراما من الكرفس في السلطة".

واحد الاسباب التي تدعو شركات الطيران الى مراعاة مثل هذه الدقة في تحديد الوجبات ازالة كل مصدر للشكوى. وقد صرح لي مسؤول في احدى الشركات الجوية بالآتي: "ربما ادهشك ان تعرف عدد الركاب الذين يستدعون المضيفة في حال ظنهم انهم حصلوا على قطعة لحم مختلفة عما توقعوا".

ومن الاسباب الاخرى تأكيد شخصية الشركة. فقد ذكر لي هيمجو كلاين، احد العاملين في خدمات الطيران في شركة "لوفتهانزا" ان "غالبية شركات الطيران تعمل بمعدات متشابهة وبأسعار موحدة، ووفق طرق وجداول تقرها اتفاقات حكومية. وهكذا، فان الطعام والخدمة هما الطريقة الوحيدة التي تستطيع الشركة الناقلة ان تبرز بها صورتها الفردية".

ولارضاء الاذواق القومية المختلفة، تعد معظم مطابخ التموين كثيرا من الوجبات المنوعة. ففي مطابخ خدمة شركة "لوفتهانزا"، تستطيع ان ترى رؤساء الطهاة يعدون الحمام المشوي لشركة "فاريغ" البرازيلية، والكركند الساخن، لشركة طيران جنوب افريقيا، ومقبلات "ماكانوتشي" لشركة الطيران اليابانية. ويتولى اعداد الوجبات طهاة من ابناء هذه البلدان يعملون في مطابخ منفصلة.

ويبدأ اليوم في "سيرفير" قبل الفجر، حين تشرع الشاحنات المحملة بالطعام الطازج في الوصول الى المطار من سوق الجملة في باريس. وتستخدم مطابخ مطار شارل ديغول وحدها كل شهر ٥٥ الف كيلوغرام من اللحوم والدواجن، واكثر من عشرة آلاف دزينة بيض، و١٥ الف ليتر من اللبن، واكثر من ٥٠ الف كيلوغرام من الخضر الطازجة، و٥٠ الف كيلوغرام من الاسماك والاصداف، و٢٢٥ كيلوغراما من الكافيار. وما ان يأتي الفجر حتى يكون نحو ١٩٠ من رؤساء الطهاة ومساعديهم منهمكين في اعداد ما بين عشرة آلاف و١٥ الف وجبة تحتاجها رحلات ذاك اليوم ما بين خطوط منتظمة وطائرات مستأجرة.

مآكل عربية – اما طائرات البلدان العربية، مثل السعودية والكويت وايران ومصر والاردن ولبنان والجزائر والعراق، فتقدم عادة الطعام المعروف دوليا، باستثناء لحم الخنزير.

لكن هذه الطائرات تقدم احيانا

مأكولات محلية في رحلاتها الى بلدان الشرق الاوسط. فمتعهدو الطعام لدى الخطوط الجوية الكويتية يعدون الرز ذا الحبوب الطويلة مع لحم الغنم او البقر او الدجاج. وطيران الخليج يقدم احيانا الخروف المشوي الى كبار المسافرين. ويقدم طيران مصر عموما الطعام الغربي لكنه يرضي الذوق الشرقي احيانا بمآكل مثل الباذنجان واللحم المشوي. ومن اشهر الاطباق المحلية لدى الخطوط السعودية لحم الضأن المشوي مع الرز، والمعروف باسم "الكبسة". ومن بين المآكل المحلية القليلة لدى الخطوط المغربية حلوى "قرون الغزال".

وتجمع شركة طيران الشرق الاوسط - الخطوط الجوية اللبنانية بين الطعام الغربي والشرقي. ومن بين اطباقها الشرقية اكلة تدعى "المغربية" وتتألف من الدجاج واللحم والبصل والحمص ونوع من السميد. كما انها تقدم الفاكهة اللبنانية الشهية الطازجة. وفي عيد الاضحى المبارك، تقدم الى ركابها من بيروت خروفا محشوا بالرز وحلوى "المعمول".

اما شركات الطيران الغربية فتقدم عموما، في رحلاتها الى الشرق الاوسط طعاما اوروبيا دوليا خاليا من لحم الخنزير. وتجدر الاشارة الى ان بعض الشركات، مثل الخطوط الجوية البريطانية، تقدم بعض المآكل العربية، في رحلاتها الى الشرق الاوسط، ولكن في الدرجة الاولى فقط. كما انها تقدم احيانا، عند الطلب، مآكل من نوع الكبة والتبولة (الاكلتين اللبنانيتين التقليديتين) وورق العنب المحشو، والقهوة العربية.

ويرسل بعض متعهدي الطعام لدى شركات الطيران الغربية طباخين الى الشرق الاوسط لتدريبهم على المآكل المحلية في عواصم مثل عمان وطهران.

وقد كنت دائما اتصور ان طعام الطائرات يعد في مطابخ متعددة الاغراض في حجم حظائر الطائرات. لكن المطبخ الاول الذي رأيته كان في حجم مطبخ منزلنا تقريبا. وتبين لي ان معظم المتعهدين يستخدمون عددا كبيرا من الاماكن الصغيرة نسبيا. فهناك مطابخ الدرجة الاولى ومطابخ الدرجة السياحية، واماكن تجميع الوجبات الساخنة او الوجبات الباردة، ومطابخ الفطائر والحلوى. ويقول جان كريستوف هوفيه من العاملين في مصلحة خدمة الطائرات في مطار شارل ديغول "السبب الرئيسي في تقسيم الامكنة بهذه الطريقة هو تفادي التلوث بين مختلف انواع الاطعمة. فالسلطات، مثلا، قد تحوي اثرا ضئيلا جدا من الجراثيم يمكن ان يتضاعف على نحو خطر في مكان معد للطعام الساخن، كما ان حشوات الفطائر الرقيقة قد تصيبها الحموضة هناك.

وتوضع الاطباق الساخنة، بعد تبريدها الى درجة ٣ - ٤ درجات مئوية، في خزائن خاصة (بعضها في الواقع افران متنقلة)، تسلم الى الطائرات المنتظرة، ويعاد تسخينها في مطبخ الطائرة قبل تقديمها. كما قد يتم تجميد الوجبات الى ٨٠ درجة مئوية تحت الصفر لاستخدامها لاحقا. وفضلا عن ذلك، يحتفظ كبار المتعهدين بمقدار صغير من الوجبات "الخاصة" المجمدة، من بينها: اللحم،

المعد بالطريقة الشرعية ووجبات النباتيين، والوجبات القليلة الملح والوجبات ذات السعرات الحرارية المنخفضة، وطعام الاطفال.

ومسألة النظافة موضع حرص دائم لدى المتعهدين. وكثيرا ما يتلفون الطعام اذا لم يكن عند المستوى اللازم. وتتوافر لدى جميع المطابخ التي زرتها كل تسهيلات المختبرات البيوكيميائية. ومنذ امد قصير كانت نتيجة احد هذه الاختبارات في خدمات "لوفتهانزا" ايجابية، ولم يتردد المدير في الامر باعداد ٣٥٠ وجبة مماثلة. وحين اوضح التحليل التفصيلي بعد ذلك ان الطعام كله كان مأمونا تماما، قال: "انا لا آسف على ما صرفناه من مال على التحليل. فالافضل ان نخسر بعض المال من ان نخاطر باصابة واحد من الركاب.

وعلى رغم هذه الاحتياطات كلها، تقع احيانا بعض حوادث التسمم. وربما كان اسوأ مثل عليها ذلك الحادث الذي وقع في ٢٠ فبراير (شباط) ١٩٧٦، حين انتشرت اصابة بداء "السلمونية" (نسبة الى سمك السلمون) بين ١٠٠٣ من ركاب الطائرات المستأجرة بين لاس بالماس وهلنسكي ولاس بالماس وهانوفر. وكان المتعهد، الذي اغلقت الحكومة الاسبانية مؤسسته بعد ذلك، قد استخدم غطاء من المايونيز ترك مكشوفا فترة اطول مما ينبغي من دون تبريد كاف. واسفر حادث التسمم ذاك عن وفاة ستة مسافرين.

غير ان احدا من طاقم الطائرة لم يصب في الحادث، اذ على شركات الطيران التي تقوم برحلات دولية ان تقدم الى موظفيها وجبات مختلفة عن وجبات الركاب. ويتناول الطيار ومساعده وجبتين مختلفتين بل ان طعام كل منهما يعد في مطبخ مستقل وعلى يد طاه مختلف، وغاية هذه الاجراءات ان تحول دون اصابة الاثنين معا بالتسمم الغذائي.

والمتعهدون بالغو الحساسية لما تخرجه مطابخهم. فمنذ بضع سنوات خطفت طائرة من طراز "بوينغ - ٧٢٧" من نيويورك الى مطار شارل ديغول في باريس. ومضت ساعات والسلطات تلح في الافراج عن الرهائن التسع والخمسين. وحين وصلت رسالة تطلب الطعام، بدأت "سيرفير" تعد الشطائر وتختار افضل قطع اللحم وتقطع الخبز وتحضر القهوة وترتب الصواني.

لم هذا العناء كله من أجل طائرة مختطفة؟

هز الطاهي الفرنسي كتفيه قائلا: "ان لنا سمعتنا التي نحرص عليها، ولا ارى داعيا للمساس بها بسبب عمل ارهابي".

■ ستانلي انغلبارت

***

علاج التضخم

اقترح جيمس اودال، نائب ولاية اريزونا في الكونغرس الامريكي، ان يناط علاج التضخم بدائرة البريد. وفسر اقتراحه كما يأتي: "انها لن تقضي عليه، ولكن ستجعله ابطأ".

(مجلة "تايم")

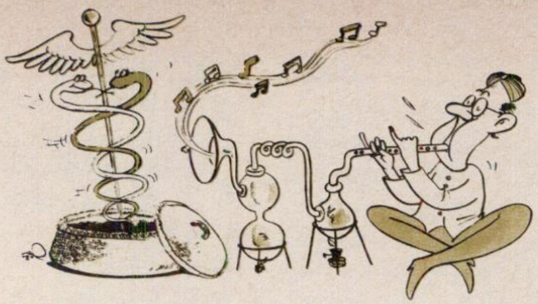

اصداء من عالم الطب

اختبار السمع لدى الوليد

يطبق في مستشفى مونت ديابلو في مدينة كونكورد (ولاية كاليفورنيا) برنامج اختبار للسمع فريد في نوعه لتحديد المشاكل السمعية التي يعانيها الاطفال الحديثو الولادة . فقد شاركت مؤسسة خدمات تابعة لشركة هاتف بيل ، المؤسسة الهاتفية الرائدة في امريكا ، مع الدكتور فيليب بيلتزمان الذي كان باحثا مشاركا في المركز الطبي لجامعة كاليفورنيا في احداث برنامج يطلق عليه الآن اسم مؤسسة تخمين قدرة السمع لدى الاطفال " .

يستخدم هذا البرنامج وحدة اختبار قيمتها ٣٠٠٠ دولار ، ويفوق حجمها قليلا حجم الآلة الكاتبة . فيلصق قطب كهربائي بغشاء جمجمة الطفل وتوضع على رأسه سماعات تنقل الاصوات . وعند ذاك يلتقط القطب الكهربائي موجات الدماغ المستجيبة لهذه الاصوات وينقلها الى حاسب الكتروني . ويحدد تحليل موجات الاستجابات الصادرة عن الدماغ ما اذا كانت هناك مشاكل سمعية .

وفي حال وجود عوامل ، مردها الى فترة الحمل او الى الوراثة ، تشير الى خطر صمم الوليد ، فيحسن ان يجري اختبار السمع في اليوم الاول للولادة . وهنا يسعف الطفل باجهزة تساعده على السمع في فترة مبكرة لا تتجاوز الاشهر الثلاثة الاولى . وهكذا ، فقد يمنح الطفل الاصم فرصة افضل لحياة طبيعية .

"يونايتدبرس"

حذار الكحول

اعلن تقرير جديد لمنظمة الصحة الدولية ان ادمان الكحول يأتي في طليعة المشاكل الصحية الرئيسية في العالم . ففي انكلترا وويلز زاد عدد المدمنين في المستشفيات نحو ٢٠ ضعفاً عما كان عليه قبل ٢٥ سنة . وفي هوندوراس في امريكا الوسطى ، تطال مشاكل الادمان قرابة ٦٥ في المئة من سكان الريف . وفي الولايات المتحدة بلغت الكلفة الناجمة عن الافراط في تناول المشروبات نحو ٤٣ مليار دولار سنويا ، بما في ذلك العلاج الطبي والنفسي والاجتماعي . اما في يوغوسلافيا ، فان نصف المرضى الذكور الذين دخلوا مصحات للعلاج النفسي عام ١٩٧٢ كانوا يشكون ادمان الكحول في الدرجة الأولى .

ويؤكد التقرير على ان التصاعد السريع للادمان في العالم يعود ، الى حد كبير ، "الى درجة اباحة الشراب وتوافره" ، في الدول الصناعية والدول النامية على

السواء، وليس الى "صفات فطرية لدى الافراد". ويضيف التقرير ان الافراط في الشراب يشكل "عقبة في وجه التطور الاقتصادي - الاجتماعي" يمكن، اذا تركت من غير قيود، ان "تستنزف الموارد المخصصة للصحة" في بعض الدول.

(مجلة "ميديكال تريبيون")

الجنس والذاكرة

يشير تقرير نشره الدكتور ريتشارد مايو من معهد الامراض العصبية في نيويورك في مجلة "نيوانغلاند" الطبية الى ان الجماع قد ينطوي على اخطار بالنسبة الى الذاكرة، اذ يورد بضع حالات لمرضى عانوا "فقدانا عميقا او تشوشاً للذاكرة" بعد مجامعة زوجاتهم. وتصيب هذه الاعراض عادة متوسطي الاعمار والشيوخ، كما ان معظم الذين يصابون بذلك عانوا سابقا ارتفاعا في ضغط الدم. ويدوم فقدان الذاكرة المفاجىء - المسمى فقدان الذاكرة العابر والشامل - بضع ساعات، ثم يعود المريض الى حاله الطبيعية.

ويقول الدكتور مايو: "ان معظم المرضى لا يواجهون هذا الحادث الا مرة واحدة لحسن الحظ. وعلى رغم انه من المناسب استشارة الطبيب، الا ان هذه الحالة ليست خطرة من وجهة النظر الطبية. كما انها لا تشكل سببا كافيا للامتناع عن ممارسة الجنس".

ي.ب.أ.

حبوب منع الحمل

في دراسة حديثة نشرت في مجلة "نيو انغلاند" الطبية، ظهر ان اخطار الاصابة بسرطان الرحم بين النساء اللواتي يتعاطين عقار الاستروجين تتدنى على نحو ملحوظ خلال سن اليأس، بعد ان يتوقفن عن تناول العقار.

واستند باحثو كلية الطب في جامعة بوسطن في التوصل الى استنتاجهم هذا الى تحليل السجلات الصحية لقرابة ١٨ الف امرأة تراوح اعمارهن بين ٥٠ و٦٤ سنة. فالنساء اللواتي استخدمن الاستروجين تعرضن للاصابة بسرطان جدار الرحم الداخلي (سرطان بطانة الرحم) بنسبة تراوح بين واحد وثلاثة في المئة كل سنة. ويصل احتمال الخطر الى اقصاه في حال تناول العقار مدة تزيد على السنوات الخمس. اما احتمال الاصابة لدى من لا يستخدمنه فيبلغ عشر الواحد في المئة.

وبين التحليل ان احتمال اصابة النساء المتوسطات العمر المتعاطيات للاستروجين بسرطان بطانة الرحم يقارب ٤٠ ضعف احتمال اصابة غير المتعاطيات له. لكن الخطر ينخفض بعد ستة اشهر من الانقطاع عن هذا العقار بحيث يتقارب احتمال الاصابة بالسرطان لدى المتعاطيات وغير المتعاطيات على السواء.

ويقول المشرف على هذه الدراسة، الدكتور هيرشل جك: "انه لمن المطمئن ان تكون الاخطار التي تتعرض لها متعاطيات الاستروجين لفترة طويلة قابلة للزوال بهذه السرعة".

"اسوشيتدبرس"

الطحال المصغر!

لا شك في ان قلة المعلومات عن الطحال، ذلك العضو الصغير الموجود في الجانب الايسر من القفص الصدري، امر يبعث على الاستغراب، نظرا الى الوظيفة المهمة التي يؤديها في تنقية الدم من الجراثيم الغريبة. غير ان ما يثير حيرة الاطباء منذ زمن طويل هو ان هذه الانواع من العدوى التي تعتبر شائعة نسبيا لدى الاطفال الذين استؤصل طحالهم في معالجة السرطان او امراض الدم، قلّما تصيب الصغار الذين انفجر طحالهم ثم استؤصل.

ويستنتج الاطباء ان ما حدث هو ان بعض خلايا من الطحال المنفجر قد تناثرت قبل استئصاله او اثناء هذا الاستئصال وانغرست في جدران التجويف البطني ثم نمت في شكل عناقيد من الخلايا وراحت تؤدي مهمة "طحال مصغر". وكان الاعتقاد السائد ان هذه الظاهرة بالغة الندرة. وقد اطلق فريق جامعة ييل على هذه الظاهرة اسما غير تقني هو: الطحال المولود من جديد!

"التايم"

المفتاح المثالي لأعمالك في الكويت والخليج

بنك الكويت الوطني أول وأكبر بنك في الكويت منذ ٢٥ سنة .

بنك الكويت الوطني البنك الذي نما مع الكويت لتلبية التطور الإقتصادي والانمائي .

بنك الكويت الوطني يقوم بجميع الخدمات الاقتصادية والتجارية والاستثمارات المصرفية .

بنك الكويت الوطني شبكة من المراسلين في جميع انحاء العالم . قبل اقدامك على اي عمل في الكويت او في الخليج استعمل المفتاح الذهبي واستشر جهازنا المصرفي العالمي .

القسم المصرفي الاستثماري والتجاري
تلفون ٤٢٢٠١١ ، تلكس ٢٠٤٣/٢٤٥١/٢٧٠٤ كويت ،
قسم السوق المالي ، تلفون ٤٤١٠٠٨/٩ ،
تلكس ٣٢٢٧/٣٣٢٧ كويت .

بنك الكويت الوطني ش م ك

ص ب ٩٥ ، تلكس : ناشيونال ٢٠٤٣ كويت ، تلفون ٤٢٢٠١١ (الفرع الرئيسي)
دينار كويتي = ٣٫٦٨ دولار في ٣١ ديسمبر ١٩٧٨
الموجودات تفوق ٣٫٨ بليون دولار

Graphics-McCann

مأساة واقعية

اقوى من الدبّ

هاجمهما الدب الهائج في أعماق البراري، فاضطر الزوجان الشابان الى اتخاذ موقف شجاع وحاسم

فتحت جويس طومسون عينيها، فدهمها الصمت المخيِّم على ليل آلاسكا البارد، بينما خبت النار في المخيم، وبدا لها ان هناك شبحا غريبا في الجوار، فرقدت وتسمَّرت في مكانها. وما ان ألفت عيناها اختراق الظلام حتى استبدّ الخوف بأحشائها، فعلى مسافة أقل من متر واحد من وجهها رأت في ضوء القمر الشاحب ظل رأس ضخم لدب بني هائل يلوح برأسه الضخم من خلال ستار الخيمة البلاستيكي الشفَّاف.

وفي تلك اللحظة تفتحت عينا آل طومسون فجأة. وعلى رغم أنه لم ير الدب على الفور، الا انه أحس غريزيا بالخطر، وأدار عينيه في محجريهما من دون أن يحرك رأسه. وكانت

بندقيته الى جانبه، فمد يده خلسة وفي هدوء حتى استقرت على معدنها البارد، وقال لجويس في همس يكاد لا يسمع: "لا تتحركي". فجمدت جويس في مكانها بينما استقرت عيناها على رأس الدب.

كانت جويس وآل على مسافة ٢٥ كيلومترا من أقرب طريق، بعدما أوغلا في مرعى الأيائل الوطني في شبه جزيرة كيناي في ألاسكا، حيث الارض وعرة الى حدّ تكاد سيارات الجيب المتينة تعجز عن عبورها. وكان آل طومسون، بحكم وظيفته حارسا للصيد، قضى الشطر الاكبر من شبابه في التنقل داخل الغابات والتجوّل بين الآجام بحثا عن الطيور والاسماك وعن المخالفين الذين يخرقون قوانين المحافظة على الاحياء البرية. وكان طومسون مشهورا بصرامته في فرض احترام تلك القوانين مما يرتعب له أكثر المغامرين جرأة.

وكانت جويس، مثلها مثل زوجها، خبيرة في الصيد وحياة البراري. وهما قاما برحلتهما هذه في شهر سبتمبر (ايلول) لكي يصيدا الأيائل بالسهام من قوس زنته ٣٠ كيلوغراما. وقد تزوّدا - بالاضافة الى القوس والسهام - بمسدس ضخم من عيار ٤٤ وبندقية كبيرة من عيار ٣٠ - ٠٦ وعلى الرغم من قلة احتمال حاجتهما الى استعمال هذين السلاحين الناريين، فأن الزوجين رأيا من الحكمة أن يتزودا بهما احتياطا للمفاجآت.

ولم تلبث ان حدثت بالفعل مفاجأة غير متوقعة، لم يحل دونها التزامهما الدقيق بجميع قواعد الحكمة والحرص والاحتياط في اختيار موقع المخيَّم، بما في ذلك التخلص من جميع النفايات والتأكد من عدم وجود أي لحم طازج في جوار المخيَّم مباشرة.

ضمة الدب - بقيت جويس وجها لوجه قبالة الدب مباشرة وقد أوشك أنفاهما أن يتلامسا. وأخيرا همَّ الوحش الهائل بالتحرك والابتعاد، فبلغ الفرج لدى جويس حداً أوهن عزيمتها. غير أن الدب عاد فاستدار فجأة وقد تفجر بالهياج، وانقضَّ في سرعة خاطفة مذهلة يهاجم الخيمة، فبسط قامته الى أعلى ثم ألقى بجسده الهائل الى أسفل بين جويس وآل. وتركز انتباه الدب على جويس التي بدأت تناضل وتقاوم بكل ما تملك من قوة. وكانت لا تزال غائرة في كيس نومها، فراحت تصرخ وتلطم بيديها مقدمي الدب الضخمين كجذعي الشجرة، يمطرانها بالضربات من الرأس الى أخمص القدم. وتصاعدت زمجرات الوحش الهائج فطغت على صرخات جويس وهي تكافح دفاعاً عن نفسها.

واجتهد آل لمغافلة الدب واتخاذ وضع يتيح له استخدام بندقيته، ولكنَّها طارت من يده، ثم عاد الدب الذي يزن قرابة ٣٢٠ كيلوغراما فوقف بكامل قامته التي تتجاوز المترين بكثير، وانقض على الخيمة يمزق قماشها بمخالبه الهائلة ويلقي بثقل جسده فوق جويس التي راحت تصرخ في عصبية شديدة بينما يُعمِل الدب مخالبه وأنيابه في جسدها من خلال كيس النوم السميك، ويثخنه ضرباً ورضاً.

ورأى آل رأس الدب الضخم وأنيابه المكشرة تنهال على جويس. وكان آل

متين البنية قوي العضلات، فأمسك برقبة الدب وانقضّ على رأسه بضربة شديدة من قبضته، محاولا أن يزيح الرأس الضخم عن جويس. فتحول اليه الدب وتناول ذراعه اليسرى بفكيه الهائلين ثم أطبقهما بشدة، وهو يهز رأسه بعنف، فانقذف آل الى أحد أركان الخيمة، واندفع الدب وراءه ينهش جنبه بمخالبه الثقيلة حتى انكشف اللحم عن قفصه الصدري.

وظل آل يناضل بينما الدب يمزق ظهره بمخالبه، ثم حمله الدب واحتضنه وقد بلغ قمة الهياج، وأخذ يكمت رأس آل بأسنانه حتى انغرست بشدة تحت فروة الرأس، وانطلق به الى خارج المخيم. وسار الوحش في البداية على قائمتيه الخلفيتين وهو يضم الى صدره جسد آل الذي يزن ٨٠ كيلوغراما، ثم مشى على ثلاث قوائم وهو يضم آل بإحدى قائمتيه الاماميتين ويغرس أسنانه في رأسه.

وعلى مسافة ثمانية أمتار تقريبا من المخيَّم، توقف الدب وبدأ يهز جسد الرجل وكأنه منفضة غبار، فانسلخ جانب من فروة رأسه عن جمجمته، ثم ألقى به الوحش على رابية صغيرة يكسوها العشب. وكان آل لا يزال متمالكا وعيه، فأدرك أن فرصته الوحيدة في النجاة هي أن يصطنع الموت، فانقلب على بطنه ودفن رأسه الدامي في العشب، وانتصب الدب فوقه على الفور يشمه بأنفاس ثقيلة وهو يحاول أن يقلبه، ولكن آل تشبث بالعشب بيده السليمة، فأخذ الدب يلكزه ويصفعه بمخالبه وقد خفّ هياجه بعض الشيء. وأخيرا، عندما بدا للوحش أن جميع دلائل الحياة قد امَّحت عن الجسد المسجى أمامه، استدار وتباعد في بطء.

أسئلة حاسمة – تمدد آل طومسون الى جانب زوجته منذ دقائق قليلة، بعد ان خيَّم السكون على البرية الموحشة، وانتشر الصمت، بينما راحت الحياة تنزّ من جروحه الكثيرة. فالدم الساخن يتدفق من رأسه ويملأ عينيه وقد سحقت ذراعه اليسرى وبدت اوتارها عارية بيضاء في ضوء القمر، وكانت ضلوعه ناتئة من خلال العضلات والانسجة الممزقة في جنبه الأيمن. غير ان هناك هدفا وحيدا برز من خضم موجات الألم الطاغي: اذا شاء آل أن يحيا، فلا بدّ له أن يصنع شيئا ما.. أن يتصرف. ورفع الرجل نفسه على ركبتيه ثم نهض. وكانت ساقاه سليمتين، فعاد مترنحا الى المخيَّم وهو يتساءل عما اذا كانت زوجته جويس حية أو ميتة.

كانت جويس راقدة في حال ذهول وسط حطام ما كان مخيَّما منذ دقائق. ولم تكن تشكو من أي اصابات بالغة، فقد ترك الدب رضوضا في جسدها وخدشا واحدا من مخلبه في جانب رأسها، وبعد برهة حلَّت نفسها من كيس النوم وثنيات الخيمة المهدمة، والتقطت المسدس وزحفت الى العراء أمام المخيَّم، فرأت في ضوء القمر شبحا واقفا ممزق الجسم ترشح منه الدماء. واندفعت جويس الى زوجها آل فتهاوى بين ذراعيها وهو يقول: "لقد انقضّ عليّ بضربات قاصمة، ولكنها لن تهدني، فسأنجو منها".

واستخرجت جويس كيسي النوم من وسط الحطام فتمدَّد آل فوقهما، واستخدمت أكياسا من القماش كي

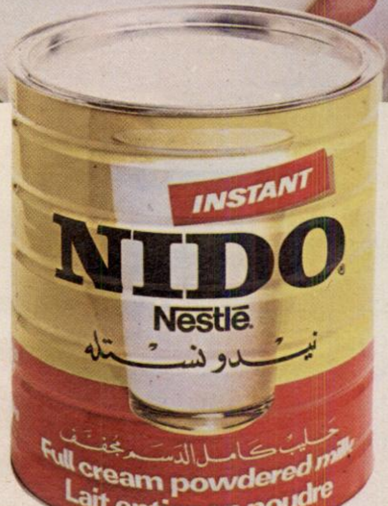

نيدو السريع الذوبان
ليتنعم أولادكم بالعافية والصحة

لدى تناولهم، كل صباح، كوبا من حليب
نيدو النقي والصافي يبدأ أولادكم نهارا
مليئا بالحيوية والنشاط.

نيدو السريع الذوبان يؤمن لأولادكم خلال
مراحل نموهم، معظم العناصر الغذائية
التي تحتاج اليها اجسامهم.

نيدو السريع الذوبان ... لذة طعم الحليب
الطازج يشربه أولادكم بشهية ويتمتعون
بالعافية.

نيدو السريع الذوبان
لصحة كافة أفراد العائلة

NESTLÉ تضمنه نستله

تضمد بها أسوأ جروحه، وربطتها بالحبال، ثم أوقدت نارا لتدفئهما في العراء حيث هبطت درجة الحرارة الى ما تحت الصفر، وأعدت بعض الشاي الساخن سقته آل، كما أعطته كل ما بقي لديهما من "الاسبيرين لمعاونته على احتمال الألم المرهق. وقد حرصت طوال ذلك الوقت على الاحتفاظ بالبندقية الى جانبها، علماً منها ومن آل أن الحيوان الهائج قد يعود.

واستقرت حال آل وتوقفت عن التدهور أثناء تمدده الى جوار النار. وكان يعرف ما كان ينتظره. فهل يمكنه أن يسير مسافة ٢٥ كيلومترا حتى يبلغ الطريق العام؟ أو هل يحسن به أن يبقى في المخيَّم بينما تذهب جويس وحدها لتستدعي طائرة نجدة عمودية (هليكوبتر)؟ واذا بقي آل في المخيَّم وعاد الدب، فهل سيستطيع الرجل الدفاع عن نفسه؟ واذا تركت له جويس البندقية، فماذا عساه يحدث لها اذا تصدى لها الدب؟ خصوصا ان المسدس عيار ٤٤ لا يمكن الاعتماد عليه في مواجهة مثل ذلك الوحش.

وكانت أمام آل وجويس ثلاث ساعات للتفكير في هذه الامور، لأنهما لا يستطيعان القيام بأي شيء قبل طلوع النهار.

الرصيد المستنفد ـ لم يكن من غير المألوف لآل طومسون أن يقضي يوما كاملا في التجول بأحذية الثلج يتعقب صائدي الأيائل من دون تصريح قانوني، أو أن يسير مسافة ٣٠ كيلومترا لمراقبة المخالفين المتطاولين على سمك السلمون. اما الان، فانه يدرك خطورة اصاباته، ويحس بالضعف يدب الى جسده. فهو فقد مقدارا كبيرا من دمه، وانهارت عضلات رقبته بسبب جروحه فأصبح رأسه المضمَّد مائلا يستقر على كتفه الايسر، غير أن ساقيه كانتا سليمتين. وبعد التفكير، اطلع جويس على ما قرّ عليه اعتزامه: انه سيمشي معها حتى يبلغا الطريق.

وبعد بزوغ النهار بقليل، خربش الكلمات المقتضبة التالية على ظهر احدى الخرائط: "هاجمنا الدب. انني جريح. نحتاج الى هليكوبتر. نحن على الطريق. غادرنا المكان الساعة السابعة صباحا، نطلب الاسعاف". ووقع اسمه عليها ثم ترك الخريطة فوق حطام المخيم.

وانطلق آل وجويس في سبيلهما. وكان آل يسير بثبات من دون معونة.

وكان بين الفوائد القليلة المتاحة لهما أن المخيَّم كان قائما على مرتفع، ومن ثم كانت الارض في اتجاه الطريق تنحدر بمقدار ٣٠٠ متر تقريبا على مدى الخمسة والعشرين كيلومترا التي ينبغي قطعها. وعلى رغم ذلك فقد ساور القلق آل عندما بدأ يشعر بضعف ساقيه. فاذا عجزت ساقاه، لن يبقى أمامه مفر من الانتظار وحيدا، في ظل الخطر الرهيب الماثل في عودة الدب، حتى تستحصل جويس على المعونة وتعود اليه. وشدت هذه الافكار من عزمه فواصل سيره ورأسه لا يزال مائلا الى كتفه والمسدس في قبضته، وهو يشق طريقه عبر أرض يندر أن خطا فوقها انسان.

أما جويس التي حملت البندقية فكانت أحشاؤها تنعقد هلعا كلما تناهى الى سمعها صوت غريب في الغابة، فهي تعرف أنه في حال عودة

الدب ستتحمل هي وحدها مسؤولية المقاومة. وظلت تمد آل بقطع من الحلوى وبمزيج من عصير البرتقال والسكر. وواصلا سيرهما وهما لا يكادان يتبادلان الحديث، ضنا بما تبقى لديهما من طاقة وجهد.

وبعد ان قطعا المسافة ولم يبق امامهما في النهاية سوى كيلومترين اثنين تقريبا، تغلَّب الألم على آل فتهاوى الى الارض وهو متعلق بجذع شجرة. ولكن شيئا انبثق من أعماقه وتملكه، وكان ذلك هو الشعور نفسه الذي أحس به عندما تركه الدب وهو يحسبه ميتا. وفجأة تغلبت لديه العزيمة على الألم، فاستجمع شتات نفسه وواصل سيره متعثرا.

وعندما بلغ الطريق المفروش بالحصباء، بعد مسيرة ست ساعات ونصف ساعة، تناهت اليه اصداء سيارة تقترب، وأشار اليها بالوقوف قبل أن تلحق به جويس، وأوفد السائق كي يطلب سيارة اسعاف. لقد قضى آل طومسون حياته في الممارسات الشاقة حتى تمكَّن من اختزان قوة الاحتمال والثبات التي شدّت أزره طوال تلك الساعات العشر. أما الان فقد نفد رصيده، وانهار على الارض وقد تلاشت قواه الجبارة.

طعم الدببة ـ فحص الدكتور جوزف سانجستر حال آل في المراحل الاولى من الصدمة، ووجد انها تسوء بسرعة. واستبد القلق بالطبيب خصوصا إزاء الجرح الكبير الفاغر الذي حدث عندما انتزع الدب بأسنانه نصف فروة رأس الرجل تقريبا. ويقول الدكتور سانجستر: "كان هناك احتمال ضئيل أن نتمكن من قطبة فروة الرأس، ولذلك فقد ارتأيت أن نبذل جهدا لنحاول العثور على الجلدة المسلوخة". فحتى اذا لم تنجح عملية الترقيع، فان جلدة الرأس الاصلية هي أفضل نسيج لتغطية الجرح موقتا.

وسارعت سلطات ولاية ألاسكا بإرسال طائرة هليكوبتر لنقل جويس والبحث معها عن جلدة الرأس الضائعة، وبعد عشرين دقيقة وعلى رغم وجود تسعة رجال باسلحتهم الكاملة في حراستها، أحست جويس برعدة الفزع الباردة تجتاحها حين عادت الى موقع المخيَّم، فقد دلَّت الشواهد على ان الدب قد عاد بالفعل اليه وترك فيه آثار أنيابه العميقة وفي ما يحويه من علب معدنية. واقتنعت جويس بأن قرارها السير مع زوجها كان هو القرار الصائب، أيا يكن مصير زوجها الان.

وفتش الجنود المنطقة بدقة حتى عثروا على فروة رأس آل، وسارعت الهليكوبتر تحملها - مع جويس - الى مستشفى سولدوتنا.

وقضى ثلاثة أطباء ساعات طويلة وهم يقطبون بدقة الجروح المتعددة في جنب آل وظهره وذراعه ورأسه. واحتاج الامر الى ثلاثة ليترات من الدم. وتبين من الفحص أن مخالب الدب العاجية كادت ان تمزق رئتي آل غير انهما بقيتا على مسافة سنتيمتر واحد من الرئتين، فضلا عن مشكلات التلوث الخطيرة التي تصاحب اي جروح تنتج عن هجمة حيوان متوحش. الا أن أكثر الاصابات إيلاما من الناحية النفسية، كانت تلك التي خلفتها العضات العميقة التي استهدف بها الدب ذراع آل اليسرى، فقد تبين من فحوص الأشعة أن أحد

أنياب الدب قد أحدث في عظمة الذراع ثغرة مثلثة وأصاب أعصابها الرئيسية بتلف جزئي. أما قطعة فروة الرأس فقد أعادها الدكتور سانجستر الى موضعها، ولكن نسيجها ضمر ومات بعد حين فاضطر الطبيب الى ابداله بنسيج آخر من جسم آل.

وكان توقع عودة آل الى عمله كمراقب للصيد مستبعدا الى حد كبير، فقد رأى الدكتور سانجستر ان آل لن يتمكن أبدا من استخدام ذراعه اليسرى الا بنسبة لا تتجاوز ٢٠ في المئة. ولكن آل لم يستسلم لذلك، فبمجرد أن سمحت له حاله، اقتنى كرة صغيرة من المطاط وظل طوال ساعات يقظته يفركها بيده اليسرى. وانقضت ستة أشهر أليمة قبل أن يتمكن من اعادة استخدام يده تلك.

ولا تزال يده اليسرى ضعيفة الاحساس، لكنه استعاد قدرته على استخدام ذراعه بنسبة ٩٠ في المئة تقريبا، وبات في امكانه أن يؤدي بها ما شاء من مهمات، باستثناء الاعمال التي تتطلب دقة في تحريك الاصابع.

ومنذ حادث الدب اقتنى الزوجان بيتا على ربوة عالية في احدى ضفتي نهر كيناي، على مسافة ٣٠ كيلومترا من موقع الحادث. وهما لا يزالان يخرجان في رحلات صيد ويخيّمان في العراء من حين الى حين.

ويواصل آل حتى اليوم فرك كرته المطاطية بيده اليسرى، حرصا منه على الاحتفاظ بالقوة التي استرجعها. ولم يكن هناك مفر من أن تؤدي جروحه وخط الشعر المتعرج في جبهته الى جعله يشتهر بعد حين باسم "طعم الدببة"، من دون ان ينال ذلك بمقدار ذرة واحدة من شهرته كأكثر مراقبي الصيد حزما وثباتا ومقدرة في شبه جزيرة كيناي بأكملها.

■ هنري هيرت

رجل الطوارىء

كان رجل يملأ نموذجا لطلب عمل في مصنع، وحار في ما يكتبه امام عبارة: "الشخص الذي يجب اخطاره اذا وقع حادث".

واخيرا كتب: "اي شخص تجدونه امامكم".

("العالم الضاحك")

الصيد في باريس

فسر مدير شرطة باريس أخيرا اجازته حرية الصيد في المدينة خلال موسم الصيد بشرط ان تكون الطريدة على الطاولة وألا يستخدم لاصابتها غير سكين وشوكة! والسبب هو الحفاظ على حق سكان المدن بأن يحلموا. وكتب المدير في الجريدة الرسمية ما يأتي:

"من المعروف أن لذة الصيد تتميز كليا عن لذة اصابة الطريدة. وليس في نية مديرية الشرطة ان تحرم ابناء باريس الصيد - هذا الحلم الضروري للحضارة المدينية".

وبدا له ان تحريم ممارسة الصيد في موسمه بحجة عدم وجود طرائد في باريس "شبيه بالتخلي عن الاحتفال بعيد الميلاد بحجة عدم وجود ما يكفي من الثلج في الشوارع لكي يذهب الناس الى قداس نصف الليل بالزحافات".

(صحيفة "انترناشونال هيرالد تريبيون"، باريس)

كتاب الشهر

السفينة التي اصطادت نفسها

ملخّص عن كتاب

بقلم كولن سيمبسون

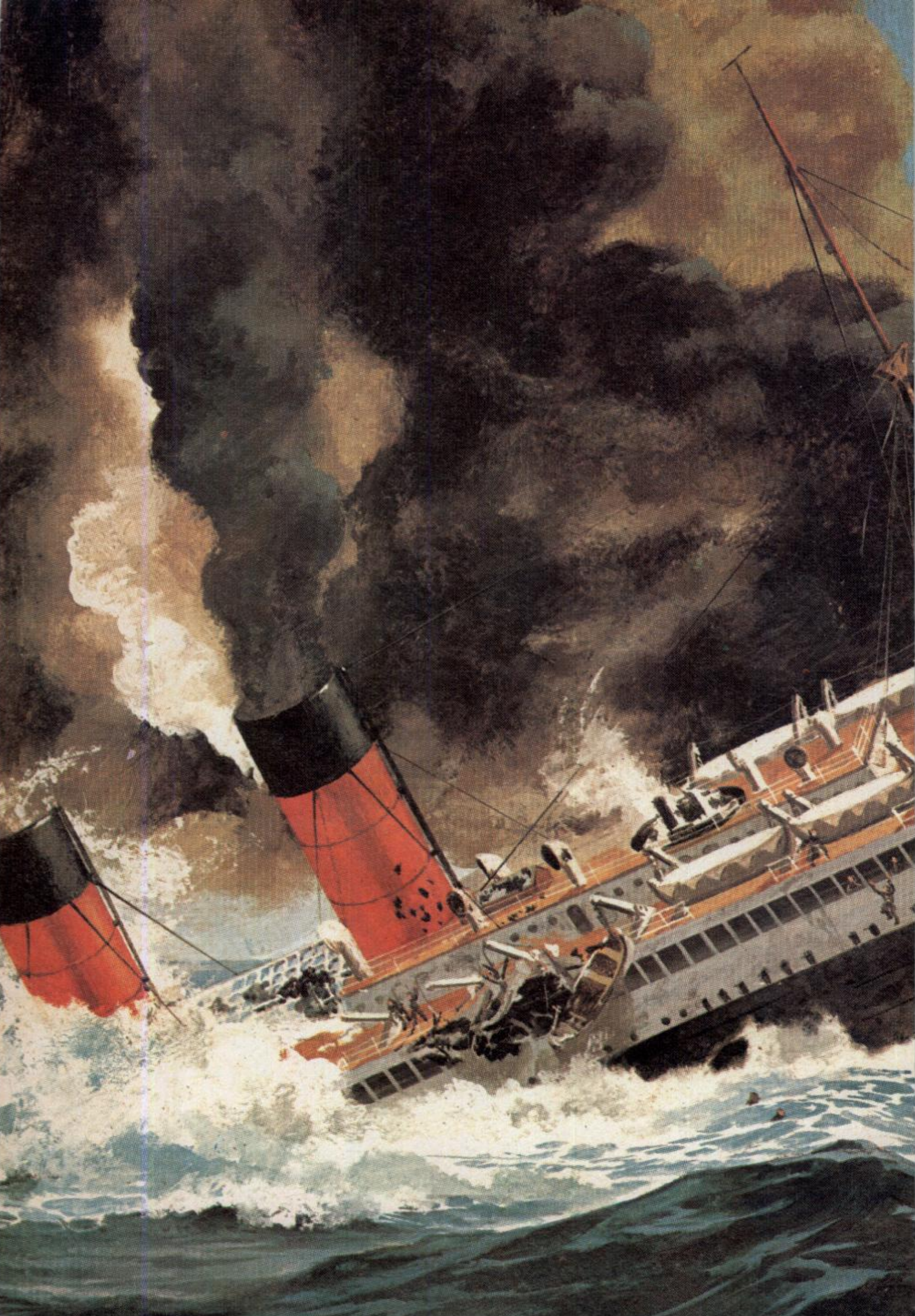

السفينة التي اصطادت نفسها

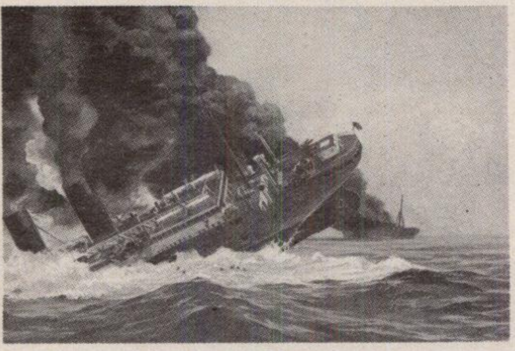

بقلم كولن سيمبسون

وقع الحادث في الحرب العالمية الاولى، بعيد اندلاع الاعمال العدوانية، عندما صدرت الاوامر الى ربان كل من باخرتي الركاب العملاقتين المجهزتين بكل اسباب الترف، قاطعة المحيط البريطانية "كارمانيا" والباخرة الالمانية "كاب ترافلغار"، بتحويل باخرته الى سفينة تجارية مسلحة. وكان من المحتمل لاي باخرة منهما ان تغدو لقمة سائغة للعدو العازم على الفتك بها، فكان لا بد لها من التنكر اخفاء لهويتها. شاءت المصادفة ان يختار احدهما لسفينته المظهر نفسه الذي اختاره الآخر. وكان الاغرب من ذلك ان التقى الربان في جنوب الاطلسي. وكانت حصيلة اللقاء الاصطدام ونشوب معركة بينهما من اغرب المعارك البحرية في التاريخ.

CONDENSED FROM «THE SHIP THAT HUNTED ITSELF» COPYRIGHT (C) 1977 BY C. AND J. SIMPSON LTD

في منتصف ليلة ٤ اغسطس (آب) ١٩١٤، تمنى جيمس كلايتون بار، ربان السفينة كارمانيا التابعة لخطوط كونارد البحرية، ليلة سعيدة لركاب سفينته وصعد الى منصة القيادة. كانت ليلة صيف جميلة يبللها النسيم العليل وتبدو فيها مياه الاطلسي على امتداد البصر دافئة جذابة.

وكانت كارمانيا قد اقلعت من نيويورك قبل ثلاثة ايام وعلى متنها ٨٠٠ راكب. وكان بار يتوقع ان يلقي مرساته في ليفربول صباح ٧ اغسطس (آب) ثم يمضي اجازة اسبوعين في احضان عائلته في اسكوتلندا، على ان يتم له ذلك في غضون اسبوع واحد اذا ساعده الحظ.

والقى بار نظرة خاطفة على الرجال في منصة القيادة، ثم اتجه الى جانب السفينة المحجوب عن الريح ليشعل سيجارا. ولاحظ وهو يمسك علبة الكبريت انوار الطراد البريطاني بريستول على بعد ١،٨٥٢ كيلومتر تقريبا يسير في خط مواز لسفينته. فانحنى بار قليلا وكوّب راحتيه لاشعال سيجاره، وما ان اعتدل حتى توارى الطراد بريستول عن الانظار.

وظن بار ان بصره خانه في الظلمة لبضع ثوان بسبب وهج عود الكبريت في وجهه وهو يشعل السيجار. وأطال التحديق عبر المياه القاتمة، لكنه لم ير شيئا. وقد علمته السنون التي قضاها في قيادة السفن ان يتحذر من الطوارئ، فاطلق لصوته العنان واصدر امره "بخفض السرعة الى النصف". وفي تلك اللحظة اطل القمر عبر الغمام وانعكست اشعته على الموج المتكسر في مقدم الطراد بريستول وهو يشق عباب اليم مندفعا باتجاه كارمانيا.

وقفز بار الى حلبة صفارة الانذار واطلق اشارة "الخطر" المألوفة في الملاحلة الدولية، فاسرع الطراد بريستول الى الاستدارة بشكل حاد، معتمدا على قوة محركاته ودفته، بحيث كاد جانبه يلامس جانب كارمانيا. واخذ الطراد اذ ذاك يبث الرسالة الضوئية الآتية: "كارمانيا، لقد اعلنت الحرب. عتموا السفينة وامتنعوا عن الاذاعة".

وامر بار باتخاذ هذه الاجراءات الاحتياطية، ونزل الى حجرته ففتح صندوقه الحديد وسحب منه سجل السفينة ومفكرته اليومية وظرفا مختوما يحمل هذه العبارة: "لا يفتح الا في حال الحرب". وكما توقع، فقد توجب عليه تسليم كارمانيا الى الاميرالية البريطانية فور وصوله الى الميناء. واتصل بار بمنصة السفينة وامر بمضاعفة المراقبة، وارسل فريقا من البحارة الذين غالبهم النعاس للتثبت من قوارب النجاة تحسبا للطوارئ. ثم كتب في مفكرته ان الحرب قد اعلنت، واضاف العبارة الآتية: "احمد الله على اني لم اتعلم ان اكره احدا".

كان عمر جيمس بار آنذاك ٦٠ سنة. وسبق له ان ارتاد البحار عام ١٨٧٢. وما ان التحق بخطوط شركة كونارد حتى جاءته الترقية بسرعة. وقبل كارمانيا، استلم قيادة عدد من اكثر سفن الشركة شهرة، بما فيها الباخرة موريتانيا. وكان يطمح الى ان يصبح يوما قائد الخطوط البحرية، محتلا اعلى رتبة ملاحة في الشركة. لكنه ايقن الآن، بعد تسليم معظم سفن الشركة الى الاميرالية، انه لم

eau jeune
presents
L'ORIENTALE
Eau de Toilette
from
L'ORÉAL
PARIS
أو جُن
تقدّم
لورينتال
ماء تواليت
من
لوريال
باريس
متوفّر بأسواق المملكة العربيّة السعودية والخليج العربي .

تبق هناك سفن ولا حاجة الى خدماته في المستقبل، خصوصا لانه تجاوز السن التي تتطلبها الخدمة العسكرية.

وعند الفطور في صباح اليوم التالي، تعمد بار تجاذب اطراف الحديث مع اكبر عدد ممكن من المسافرين، فراح ينتقل بينهم بمرح مصطنع. وقالت له احدى المسافرات: "اظن، يا سيادة الربان، انك ستتولى قيادة سفينة حربية حالما تصل الى انكلترا". فلم يرق بار هذا الكلام الذي قطع عليه مرحه المصطنع، واجاب: "ذلك مستحيل تماما يا سيدتي، اذ سأكون في اجازة مع عائلتي في غضون اسبوع".

اما "كاب ترافلغار" فكانت موضع فخر شركة الخط الملاحي بين هامبورغ وامريكا الجنوبية، واكبر سفينة واجملها في الاسطول التجاري لهذه الشركة. وعندما اعلنت الحرب كانت هذه السفينة راسية على رصيف المسافرين في ميناء بوينس ايرس، بابراجها الشامخة المتعالية فوق السفن الاخرى. وكانت مزودة بثلاثة محركات توربينية تمكنها من الانتقال بسرعة ١٨ عقدة في الساعة. ويبلغ طولها ٢١٠ امتار. وكان جسمها مطليا باللون الأسود، يقابله اللون الأبيض على الاجزاءالمرتفعة فوقه، ويزدان سطحها بمجموعة من المظلات الزاهية المقلمة بالازرق والابيض من حول حوض السباحة وملاعب الاقراص الخشبية في مقدم السفينة، وتعلو مؤخرها ثلاث مداخن ضخمة. وتحوي الواجهة الخلفية فوق سطحها الرئيسي كميات كبيرة من الالواح الزجاجية. وقد سمي هذا القسم "حديقة الشتاء"، واشتمل على سلسلة من المصاطب المكسوة بالرخام الاصفر تتخللها احواض النباتات والزهور الاستوائية ونوافير المياه التي تتراقص على انغام الطيور الاستوائية الجاثمة في مجموعة ساحرة من الاقفاص. واما الزخرفة الداخلية فكأنها اقتلعت من معابد حضارة المايا واقيمت وسط فردوس استوائي.

وكان ربان كاب ترافلغار، القبطان فريتز لانغر هانس، رجلا طويل القامة، رفيع الثقافة، يتقن عددا من اللغات ويجيد لعبة البولو. كما كان من هواة اليخوت، وكانت معرفته بامريكا الجنوبية وبريطانيا لا تقل عن معرفته وطنه الأم المانيا.

وكان اسم كاب ترافلغار يستحضر الى الذهن ذكر الاميرال البريطاني العظيم هوراشيو نيلسون وانتصاره الكبير على الاسطول الفرنسي عند رأس الطرف الأغر قرب جبل طارق، ذلك الانتصار الذي قضى على قوة نابوليون البحرية. وقد اختير هذا الاسم للسفينة خصوصا لاجتذاب الركاب الانكليز الى السفر على متنها الى امريكا الجنوبية. وكان اسم السفينة مناسبا جدا لقيادة لانغر هانس الذي كان معجبا بنيلسون، يقرأ كل ما كتب عنه. وقد ترجم الى الالمانية مجلدين عن سيرة نيلسون لروبرت ساوثي، واشرف بنفسه على تزيين غرفة التدخين والمكتبة بمجموعة من الصور تمثل اهم معارك نيلسون البحرية.

وكانت السفينة قد وصلت الى ميناء بوينس ايرس في ٢ اغسطس (آب) بعد رحلة متمهلة من هامبورغ، معرجة في طريقها على ساوثمبتون

ماك ديرموت
السباقة في ميدان الانشاءات الساحلية ومد الانابيب البحرية

تحتل ماك ديرموت وفروعها مركز الصدارة عالميا في ميدان انشاء الارصفة الساحلية الضخمة ومد الانابيب تحت الماء.

وتتيح لنا مرافقنا الصناعية في مواقع استراتيجية مثل دبي ورأس الخيمة في الامارات العربية المتحدة، وفي مصر، انشاء الارصفة البرية ذات المنافذ المباشرة الى المواقع الساحلية. كما ان خبرتنا مكنتنا من مد انابيب قطرها ١٤٢ سنتيمترا على عمق يتجاوز ١٥٣ مترا.

ولدينا الخبرة اللازمة لمنشآت السواحل في منطقة الشرق الاوسط كلها.

ماك ديرموت
دبــــي

صندوق البريد ٣٠٩٨ دبي، الامارات العربية المتحدة
التلفون: ٢٢٧١٣١ - التلكس: ٤٥٤٣٧

McDERMOTT DUBAI

لدينا مكاتب في: رأس الخيمة - الامارات العربية المتحدة
القاهرة - مصر، السالمية - الكويت، الدوحة - قطر، الظهران - المملكة العربية السعودية، طهران - ايران.

(جنوب انكلترا) حيث قام لانغر هانس بعرض سفينته الجديدة على بعض معارفه الانكليز الذين يشاركونه هواية اليخوت. وفي اثناء ذلك تحدث لانغر هانس بصراحة عن خطر اندلاع الحرب. وكان ونستون تشرشل قد اعلن اذ ذاك في البرلمان بدء "تعبئة تجريبية" للاسطول الثالث. وكان معلوما ان هناك خطة لتحويل سفن الركاب البريطانية الى طرادات مسلحة لحماية طرق بريطانيا التجارية. وقد كشف لانغر هانس ان شركة خط هامبورغ - امريكا الجنوبية حصلت على اعانة مالية من الحكومة الالمانية بنت بها مرابض للمدفعية على سطح السفينة كاب ترافلغار تيسيرا لتسليحها على وجه السرعة. وقال وهو يضحك، مشيرا الى قاعة "حديقة الشتاء": "لكن الناس الذين يقيمون في بيوت من زجاج يكونون في منتهى الغباء اذا بدأوا برمي الحجارة".

وفي بوينس ايرس، لدى اعلان الحرب، صدرت الاوامر من الاميرالية الالمانية باخطار جميع السفن الالمانية بمغادرة الميناء، عدا سفينة واحدة كان عليها ان تجازف بالافلات من سفن الاسطول البريطاني المنتشرة في مياه الاطلسي في محاولة لنقل رجال الاحتياط واولئك الذين يرغبون في التطوع. ونتيجة لتلك الاوامر، خسر لانغر هانس اكثر من ١٥٠ رجلا من طاقمه، بمن في ذلك رئيس الطهاة واربعة ضباط وخادمه الخاص والشخص المخصص لرعاية الطيور والمكلف ايضا بحديقة الشتاء. وقد اعتمد الى حد كبير على سحر شخصيته، فاقنع معظم افراد فرقة

فريتز لانغرهانس، ربان كاب ترافلغار.

الاوركسترا بان يساعدوا في الاهتمام بالمواقد والغلايات. وكان يأمل في ان يقلع بسفينته دونما ابطاء، ظنا منه ان كاب ترافلغار كانت سفينة ركاب غير مسلحة وانه ليس هناك ما يبرر لأي قطعة حربية بحرية، سواء أكانت بريطانية او المانية، ان تعترضها.

ربان جديد

تأخرت اخبار الحرب عن بلدة كلوز الفرنسية الصغيرة عند سفوح جبال الألب. وعندما وصلت اخيرا نسخة من عدد اول اغسطس (آب) من جريدة "التايمس" اللندنية، تسلمها رجل كهل كان يراقب غروب الشمس من كرسيه المديد على شرفة نزل "شميت" وقد لف ركبتيه ببطانية طلبا للدفء.

وكان هذا الرجل العاجز نويل غرانت (٤٥ سنة) قبطانا في البحرية

القبطان نويل غرانت.

الملكية، وكان مصابا بما سماه "الربو الملعون"، وهي عبارة ملطفة لمرض السل الذي كان يعانيه.

وكان غرانت قد التحق بسلاح البحرية كطالب عندما كان عمره ١٢ سنة. وفي الخامسة عشرة من عمره تخرج على رأس صفه في سفينة التدريب "بريتانيا"، واخذ يعتلي سلم الترقية بما بذله من جهد شاق حتى وصل الى رتبته الحالية ولما يبلغ الخامسة والعشرين. وكان ذلك انجازا مهما جعل من غرانت شخصا لا يستغنى عنه. كان يعرف جميع كتب التعليمات والاصول والانظمة البحرية عن ظهر قلب. وكان ملاحا خبيرا معروفا بتعلقه بالنظام وبمواهبه التي استحقت له الثناء مرارا كثيرة، لكنه كان قليل الاصدقاء.

وقد منح اجازة نقاهة بنصف راتب في الاشهر الستة الاولى من عام ١٩١٤، فكان يترقب غيوم الحرب وهي تتلبد في الافق. ووجد لزاما عليه الآن ان يرجع فورا الى الوطن، لربما اعادت اليه الحرب راتبه الكامل، بل حملت اليه الترقية كذلك. وما هي الا خطوة قصيرة حتى يرتقي من رتبة كابتن الى رتبة عميد بحري (رير ادميرال)، فتعقب ذلك احالته على التقاعد اللائق براتب محترم.

وبعد ظهر ٥ اغسطس (آب)، تقدم الكابتن غرانت بطلب الى الاميرالية في لندن يعلن فيه استعداده للخدمة الحربية. وفي خضم تلك الايام العاصفة لم تلزمه الاميرالية باجراء الفحص الطبي. وفي صباح اليوم التالي قيل له انه عين قائدا للباخرة كارمانيا التي ستصل الى ميناء ليفربول في اليوم التالي. وقد تقرر ان يكون هو في استقبالها وان يشرف على تحويلها الى سفينة مسلحة ويهيئها للعمليات الحربية.

لقد كانت هناك مشكلة واحدة تخص غرانت، اذ لم يسبق له ابدا ان تولى قيادة سفينة بضخامة كارمانيا. وقد ترددت الاميرالية فعلا قبل ان تضع في تصرفه سفينة تزن حمولتها ٢٠ الف طن ويبلغ طولها ٢٠٥ امتار، وتغطس محملة الى عمق عشرة امتار ونصف متر. وقد طلب منه رسميا ان يعرض على ربانها الحالى، الكابتن بار، فرصة الابحار معه كملاح و"مستشار"، وان "يلطف" له الامور، او بالاحرى ان يجعل من الصعب عليه رفض هذا العرض بتقديمه له وظيفة آمر (كومندان) موقت في احتياط السلاح البحري الملكي.

وصل غرانت الى حوض شركة كونارد في ميناء ليفربول قبيل

الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي. وتورد سجلات الشركة بيانا بما جرى في ذلك الوقت:

"رست كارمانيا في ميناء ليفربول الساعة الثامنة من صباح ٧ اغسطس (آب) ١٩١٤. وصعد فورا على متنها الكابتن نويل غرانت من البحرية الملكية ونائب المقدم البحري ادموند لوكيير اللذان تقرر ان يتوليا قيادها في الظروف الجديدة: الاول بوصفه القائد المسؤول الأول عنها والثاني بوصفه مساعداً له. وللتو بدأ أكبر عدد من الدهانين الذين امكن جمعهم بتغيير اللون الفاتح لهيكلها ومداخنها وازالة اللونين الاحمر والأسود اللذين اشتهرت بهما سطوحها، بينما راح فريق من العاملين في صناعة السفن يقص ما ارتفع من هيكل السفينة عن مستوى سطحها من الأمام والوراء، وذلك تيسيرا لتصويب المدافع التي ستركب هناك نحو الزوايا المناسبة. وكانت المدافع جميعا من عيار ١٢٠ مليمترا ومداها ٨٥٠٠ متر. وخرجت كارمانيا فعلا الى البحر كطراد مكتمل السلاح بتاريخ ١٤ اغسطس (آب) بعد اسبوع واحد فقط من دخولها الميناء كباخرة سياحية عادية من الدرجة الاولى".

لقد تمت عملية تحويل الباخرة كارمانيا والكثير من السفن البريطانة الاخرى بسرعة وجدارة لم يستطع الالمان مجاراتها. بيد ان الالمان كانوا قد وضعوا منذ حين خططا لتحويل سفنهم الكبرى الى طرادات حسنة التسلح لاستعمالها في غزو البواخر التجارية التي تجوب المحيط الاطلسي. لكن تنفيذ هذه الخطط كان أمرا آخر اصيب بنكسات خطرة. فعند

جيمس بار، ربان كارمانيا.

اندلاع الحرب، كانت المانيا تتوقع ان تكون لها ٤٢ سفينة مسلحة جاهزة للعمل في غضون اسبوع. ولكن لم يكن لديها، في واقع الامر، اي سفينة من هذا القبيل. وكل ما كان لديها لم يتجاوز ١٤ سفينة راسية في الموانىء الالمانية و١٧ سفينة حبيسة في موانىء مختلفة خارج المانيا حيث تقف لها السفن الحربية البريطانية بالمرصاد، وبالتالي تحول دون خروجها.

واستولى البريطانيون في بداية الحرب على ست بواخر المانية اخرى كانت قد حاولت الهروب من الموانىء الخاضعة للسيطرة البريطانية. وبقيت هناك خمس بواخر لم تتسلح منها الا باخرة واحدة هي "كايزر ويلهلم دير غروس"، على اسم القيصر وليم الكبير. ولكن، لسوء حظها، اكتشفها الطراد البريطاني "هاي فلاير" وهي

تتزود بالوقود، فسارع الى الاجهاز عليها. اما الباخرة "كرونبرنز ويلهلم" (على اسم ولي العهد وليم)، فقد فوجئت صباح ٦ اغسطس (آب) قرب الساحل الامريكي وهي تنقل السلاح من الباخرة "كارلزروه"، ولم تكن حينذاك في وضع يمكنها من القتال، فاعتمدت على سرعتها الفائقة للهرب الى عرض المحيط حيث لم تعد تشكل اي تهديد يذكر بسبب قلة وقودها ونظرا الى انه لم يتح لها التزود بأكثر من ثلث ذخيرتها.

ومن اصل البواخر الثلاث الباقية، اختارت الاميرالية البريطانية ان تركز على كاب ترافلغار، وهي اكبرها واسرعها واكثرها تحملا للخطر. وتقرر منعها، باي ثمن، من التسلل الى طرق التموين البريطانية.

راعي طيور من الدرجة الثانية

لم تساور الكابتن لانغر هانس اي اوهام بالنسبة الى المشاكل التي تنتظره في بوينس ايرس. ولم يكن يبالي بجولات التفتيش التي ربما قامت بها السلطات الارجنتينية على باخرته، علما منه بان الاسلحة الوحيدة الموجودة على متن الباخرة كانت مقتصرة على مسدسه الشخصي وبندقيتي صيد تلقاهما هدية منذ بضع سنوات. وعلى اي حال، فالاميرالية الالمانية كانت قد انتهت من وضع خطتها بالنسبة الى فرار هذه السفينة في اواخر الاسبوع الاول من الحرب. فكان من المقرر ان تتزود بالفحم والمؤن وان تتهيأ للاقلاع، تماما كما اراد لانغر هانس نفسه، في الموعد المحدد لها اصلا. وقد رأت الاميرالية الالمانية ان السفينة، بوصفها باخرة ركاب "بريئة"، تستطيع الانطلاق الى عرض المحيط من دون ان يعترضها احد، فتقوم هناك بتسليح نفسها لتصبح "سفينة غازية" على طرق الملاحة البريطانية. وكانت الاميرالية تظن خطأ ان كاب ترافلغار قد غادرت ميناء هامبورغ وهي تخفي مدافعها سرا في عنابرها.

ولم يكن لانغر هانس تبلغ بعد خطط الاميرالية النهائية المتعلقة بسفينته، فكان يأمل في السماح له بالاقلاع في الموعد المحدد، اي في العاشر من اغسطس (آب)، ليعود الى بلده، لكنه، كما يبدو، اقتنع بعدم تمكنه من التزود بكميات كافية من الفحم على الرغم من بعض الرشوة الحذرة التي يستمد لها المال اللازم من الجالية الالمانية المحلية لتأمين عودة هذه السفينة الى الوطن في اقصى سرعة ممكنة. ولسوء الحظ، قرر لانغر هانس الاتجاه اولا الى الولايات المتحدة املا بالتزود بمزيد من الفحم في طريقه الى الشمال.

وقد نجمت عن ذلك مشكلة أخرى. فقد كان عدد الركاب الحاجزين اماكن على متن السفينة للعودة الى المانيا لاسباب شتى، يفوق ما تستوعبه السفينة. فاوصى لانغر هانس بان يسافر هؤلاء الركاب على احدى البواخر التي رتبها القنصل الالماني لهذا الغرض. ولكن كانت هناك فئة اخرى من المسافرين شغلت باله، ومن بينهم اعضاء فرقة اوبرا صغيرة تتجول بجهازها المسرحي ومعداتها وادواتها الموسيقية وتقيم حفلات لموسيقى موزارت وواغنر للجاليات الالمانية المنتشرة على الساحل الشرقي من القارة الامريكية. ولم

يكن لدى افراد تلك الفرقة المال الكافي او فرصة البقاء في الارجنتين، فقبلهم لانغر هانس كركاب على سفينته وهو واثق من انهم سيتدبرون امر نفسهم في الولايات المتحدة.

لكن مشكلة المشاكل كلها كان شخصا ضخما متقدما في السن، هو الجراح البيطري الدكتور هانس براونهولز الذي صعد الى متن السفينة ومعه صندوق يحتوي على حيوانين كبيرين. وكان في نية هذا الطبيب استخدم الحيوانين لتحسين نسلهما في الارجنتين حيث كان، حسب المقاييس الالمانية، صغير الحجم ويكاد لا يصلح للحم المعلب. وقد وجدته سلطات الميناء في بوينس ايرس مخالفا للقوانين الصحية، فامرت بعودته بشكل قاطع الى المانيا على سفينة كاب ترافلغار.

وكان من طبع هذا الطبيب التدخل في كل شيء. فبدأ بالمطابخ التي كانت موضع افتخار السفينة، وحكم عليها بأنها غير صحية. ثم اعلن عن وجود عيوب في حديقة الشتاء من حيث تصميمها وطيورها ونظام غذاء الطيور. وعندما حاول ابقاء الحيوانين في تلك الحديقة، نفد صبر لانغر هانس وثارت ثورته.

وكان قد لفته الى هذا الموضوع

ضابطه الأول، الملازم بيرند فيدرسن الذي وقف صامتا بينما كان لانغر هانس يفرغ جام غضبه. وبعدما هدأت ثورته، عرض عليه فيدرسن الحل الآتي: ان المانيا الآن في حالة حرب، وهو على متن السفينة حيث تعتبر كلمة الكابتن هي القانون في اي وقت، خصوصا في اثناء الحرب، وان ما يحتاج اليه الطبيب البيطري الدكتور براونهولز هو حمله على الاحساس بالواجب نحو الرايخ الالماني. واقترح على لانغر هانس ان "يجند" براونهولز كفرد عامل من افراد طاقم السفينة.

لاقت الفكرة استحسانا لدى الكابتن، وسرعان ما اتخذت حجرته شكل غرفة عمليات بحرية. ففرش العلم الالماني على مكتبه، واعاره فيدرسن قبعته التي حصل عليها كضابط احتياط في البحرية الالمانية. واشرك الكابتن وفيدرسن معهما في هذه "الحيلة" احد ضباط الصف الذي قلده لانغر هانس احدى بندقيتيه وطلب اليه ان يقف خارج الحجرة عند الباب كحارس. وهنا قام ضابط النظام في السفينة باستدعاء الدكتور براونهولز.

واعلن الكابتن لانغر هانس، بصوت "رسمي"، عن تعيين الدكتور هانس يواكيم براونهولز، الجراح البيطري، "مراقبا من الدرجة الثانية للحيوانات التابعة للبحرية الالمانية"، وذلك من غير راتب، على ان يكون مسؤولا عن تغذية جميع الطيور والحيوانات الاخرى على متن السفينة وعن العناية اليومية بها. وسرعان ما اضاف الى ذلك: اما الحيوانان اللذان يخصان الطبيب فيبقيان في الهواء الطلق

HOTEL
INTERCONTINENTAL
GENEVE

مقر اجتماعات العالم العربي

INTERCONTINENTAL
GENEVE

فندق انتركونتينتال، جنيف

7-9, Petit-Saconnex
CH - 1211 Genève 19
✆ (022) 34 60 91

عند الرافعات في مؤخرة السفينة، وانه اذا صدرت عنهما اقل رائحة كريهة فسيحالان على جزار السفينة لاجراء اللازم.

وما ان انتهى الكابتن لانغر هانس من تلاوة "اعلانه الرسمي" حتى فوجىء الجميع بامارات الغبطة والارتياح ترتسم على وجه الدكتور براونهولز الذي لم يكن لديه الا سؤال واحد: هل يمكنه الحصول على بذلة نظامية؟ فرد عليه الكابتن بلهجة رصينة ان في استطاعته ان يرتدي السترة والقبعة الاستوائيتين اللتين كان يستعملهما راعي الطيور في وقت السلم. ثم امره بالانصراف قبل ان يفسد الضحك عليه وعلى فيدرسن "اللعبة".

لكن ضحكهما لم يستمر طويلا. فبينما كانا لا يزالان في الحجرة، قدم ضابط النظام في السفينة بصحبة زائر اخر هو الكابتن البحري اوغست مولر الذي اعلن انه، باسم الرايخ، يضع يده رسميا على كاب ترافلغار لحساب البحرية الالمانية، واعقب ذلك بقائمة طويلة تحدد السمؤوليات انهاها بقوله: "في حال العمليات الحربية يكون لانغر هانس مسؤولا عن ملاحة السفينة، بينما يتولى فيدرسن عمليات القتال".

وسأل لانغر هانس ببساطة: "ولكن بماذا تقاتل السفينة؟" وهو يعلم ان الحارس عند باب حجرته كان يحمل ٥٠ في المئة من "ترسانة" الاسلحة. وكان مولر يجهل ذلك، فعاد الى دار المفوضية الالمانية وابرق رسالة مستعجلة الى برلين. فجاء الرد في برقيتين، الاولى تطلب من لانغر هانس ان يتوجه الى يودي لابلاتا حيث امنت له الاميرالية الفحم الكافي في مونتفيديو. اما البرقية الثانية فتأمره، بعد التزود بالفحم، ان يتوجه حالا الى جزيرة ترينيداد (وهي غير الجزيرة الكبيرة التي تحمل الاسم نفسه في جزر الهند الغربية). وهذه جزيرة صخرية يبلغ طولها خمسة كيلومترات وعرضها كيلومترين ونصف كيلومتر، وتبعد ١٢٠٣ كيلومتراً شرق الساحل البرازيلي. وقد تم اختيار هذه الجزيرة المعزولة غير الآهلة كمكان اجتماع لعدد آخر من السفن الالمانية.

بعد ان تزودت كاب ترافلغار في مونتفيديو غادرت الميناء منتصف ليل ٢٢ اغسطس (آب). وكان لانغر هانس في منصة القيادة، لكنه كان يتردد احيانا الى غرفة الراديو حيث اعاره الاختصاصي سماعتين تشدان حول الرأس لالتقاط المكالمات. ولعل اعلى هذه المكالمات كانت تلك التي يبثها الطراد البريطاني "غلاسكو" والتي، بحكم قوتها، جعلته يقدر ان الطراد لا يبعد عنه اكثر من ٤٨ كيلومترا. وفي تمام الساعة الثالثة صباحا، امر لانغر هانس ان تنطلق كاب ترافلغار باقصى سرعتها شرقا الى عرض البحر، علما بان جزيرة ترينيداد تبعد حوالى ٢٨٠٠ كيلومتر شمال شرق مونتفيديو. وقد شاء لانغر هانس الابتعاد عن الساحل الامريكي الجنوبي ما استطاع، تقديرا منه ان الدوريات البريطانية نشطة على امتداد هذا الساحل، وانه اذا اتجه شرقا مسافة كافية، فانه يستطيع ان ينعطف شمالا فيبلغ ترينيداد من الجنوب، وهو اخر اتجاه يتوقع احد ظهوره منه.

حليّ أوميغا. من اليسار لليمين : BA 891.8872B, BA 891.8883A, BA 891.8742B. جميع النماذج تسير بحركة الكوارتس، العلبة والسوار من ذهب ١٨ قيراط، حافّة مرصّعة بالماس، غطاء من الياقوت الا. نماذج مسجّلة.

ينصح بالشراء من الباعة الرسميين لساعات أوميغا فقط. أطلب كتيّب الضمان الدوليّ.

لقد استصعب الكابتن بار الامر عندما عرض عليه ان يكون مستشارا لرجل يصغره نحو ١٥ سنة. ولعل ما جعله يرضخ لذلك يقينه بأنه اذا ما اختار ان يبقى على اليابسة في سنه هذه، فمن الارجح انه سيقضي عليها بقية عمره. فاستجاب لعرض غرانت ببساطة: "انا رجلك يا كابتن غرانت". ورد عليه غرانت: "شكرا يا حضرة الكومندان". وجلس في حجرة بار التي اتخذ منها مقرا له، وطلب اوراق كارمانيا وتقارير غرف المحركات وقوائم باسماء افراد الطاقم ونسخا عن جميع سجلات الضباط الشخصية. ثم امضى بقية اليوم منفردا. وقد افرغ بار الحجرة من امتعته الشخصية. وبعد ان فكر هنيهة في المكان الذي سينتقل اليه، قرر ان يستمتع بالاقامة في الجناح الفاخر المحجوز لاعضاء مجلس ادارة كونارد.

غذاء الديوك المقاتلة

ظلت العلاقة بين الرجلين مقصورة على طابع الرسميات والتحفظ طوال ذلك الاسبوع الحافل الذي جرى فيه تحويل كارمانيا الى سفينة حربية. وبذل بار جهده ليبقى متنحيا ما امكنه ذلك. لكن معظم افراد الطاقم الذين بقوا على متن السفينة كانوا من موظفي كونارد، وكان طبيعيا ان ينظروا الى بار على انه هو الكابتن المسؤول. وكتب بار في ما بعد يقول: "حالما يتسلم رجل قيادة سفينة كبيرة، يصبح انسانا منفردا. ان قيام الكابتن غرانت الآن بدور "النجم" لم يرحني مثقال ذرّة، اذ انه لم يمض علي بعد وقت طويل مذ كنت انا الكابتن. فما زلت في نظر الكثيرين من الضباط رجلا على حدة. وهكذا، فقد حدث ان غرانت وانا، الرجلين الذين احببنا رفقاءنا، كنا نشعر بشيء من الوحدة".

كان الهم الأول للكابتن غرانت ان يلم بامور قيادته الجديدة. فقد اصبح على متن كارمانيا الآن طاقم قوامه ٤٢٠ بحارا، ألف الكثير منهم ان يشعلوا الغليون عندما يشاؤون او ان يمضغوا التبغ في اثناء العمل. ولم يكن اي منهم يبالي كيف يبصق طالما كان ذلك في اتجاه الريح!

وكان من حسنات غرانت انه تخلى بسرعة عن عادته في التقيد الصارم بالانظمة بالنسبة الى افراد الطاقم. لكنه عوّض عن ذلك باتخاذ مسلك مختلف تماما مع ضباطه الذين كانوا جميعاً تابعين لشركة كونارد، باستثناء نائب المقدم البحري لوكيير واربعة من صغار ضباط الصف. فقد كان غرانت، في نظر هؤلاء، انسانا منفردا عنهم، منطويا على نفسه، لاذعا في انتقاداته، متشددا في مقاييسه، ومتجاهلا، كما يبدو، ذلك الوضع الشاذ من تعارض الولاء الذي يتجلى بوجود ربانين اثنين على متن سفينة واحدة.

ولكم كان من السهل ارتكاب الهفوات والتعرّض لقساوة غرانت الذي بدا كأنه يعمل ٢٤ ساعة في اليوم. وكان الامر بالطبع لا يقل صعوبة بالنسبة الى غرانت ذاته، وربما كان محقا في ذلك بسبب اعتلال صحته. وقد اخذ على نفسه ان يفهم الجميع، بطريقة ما، انه هو وحده صاحب الكلمة الأولى والاخيرة

على متن السفينة. وسنحت له الفرصة لذلك في ليلته البحرية الثانية عندما كان لوكيير المسؤول الاول المناوب في منصة القيادة، وقد تجمع خلفه عدد من الضباط الآخرين - وكلهم من رجال كونارد - يترصدون بقلق عباب البحر وسط الظلام، بينما اخذت كارمانيا تشق طريقها عبر مياه الاطلسي. وفي غمرة هذا التوتر مدّ احدهم يده الى جيبه وتناول غليونه وحشاه بالتبغ كما يروقه ثم اشعل عود كبريت. واذا بغرانت، الذي كان قد تسلل الى منصة القيادة ووقف صامتا وراء الضباط في الظلام الدامس، يصيح بصوت لاذع: "اطفىء هذا الضوء الملعون. احضر الى حجرتي. لا اسمح بالتدخين على منصة قيادتي". ولم يحن وقت الفطور حتى ادركت السفينة بكاملها من هو القائد على متنها.

وقد عينت لكارمانيا، كما كان متوقعا، منطقة تبلغ مساحتها حوالي ٢٦٠ كيلومترا مربعا لتتولى فيها اعمال الدورية والخفر. وتمر عبر هذه المنطقة جميع الطرق الملاحية الرئيسية الوافدة من الشرق او الغرب الى شمال غرب ايرلندا. وكان المطلوب من كارمانيا ان تطلع على هويةكل سفينةتشاهدها، اضافة الى توليها بعض المهمات الاخرى الممكنة، علما بانه تتعذر عليها مهاجمة السفن الحربية الالمانية لان ضخامة حجمها يجعلها هدفا سهلا لتلك السفن، ولان استهلاكها الباهظ من الوقود لا يتيح قيامها بتطوافات طويلة. فان قطع الاطلسي باتجاه واحد، مثلا، يستنفد ٩٠ في المئة من

الامان لأموالكم وفوائد لاتنافس مع لومبارد نورث سنترال

العضو في مجموعة الناشيونال وستمنستر بنك التي يفوق رأسمالها واحتياطها ١,٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني.

لومبارد نورث سنترال عضو في أحد مجموعات البنوك المصرفية العالمية ولدينا تاريخ يرجع إلى أكثر من ١٠٠ سنة. نمدكم بتسهيلات ايداعية تعود عليكم باقصى فائدة مع مرونة الاختيار وضمان لأموالكم. لدينا ودائع لأفراد ومؤسسات من جميع انحاء العالم.

١٢٪
في السنة
ايداع محدد لمدة سنة.

تدفع كل الفوائد بدون خصم الضريبة البريطانية على الاصل.
أسعار الفائدة المذكورة سارية إلى حين ارسالها للطباعة.

ان المبلغ المطلوب لفتح حساب الايداع ذو الاخطار هو ٥٠٠ جنيه استرليني أو أكثر ويمكن اضافة أي مبلغ إلى هذا الحساب في أي وقت. يمكن سحب أي مبلغ بعد الاخطار في اخر المدة المتفق عليها. تستحق الفائدة اعتبارا من تاريخ الايداع وتدفع نصف سنويا أو تضاف إلى الحساب.
هناك كذلك حسابات ودائع أخرى بحد أدنى للايداع بمبلغ ١٠٠٠ جنيه استرليني. وعليكم الاختيار بتحديد مدة الايداع من سنة إلى خمس سنوات وكذلك يمكن الاختيار بين ان تدفع الفائدة شهريا أو كل ثلاثة أشهر أو كل نصف سنة أو سنويا. سعر الفائدة محدد في هذه المدة ولا يمكن تغييره طوال مدة الايداع.
اكتبوا إلى مدير حسابات الايداع واطلبوا نسختكم من كتيبنا وأسعار الفوائد الجارية.

Lombard North Central
Bankers

الى: LOMBARD NORTH CENTRAL LTD., DEPT. U859.
17 BRUTON STREET, LONDON W1A 3DH, ENGLAND.
Telephone: 491 7050.

الاسم: ______________

العنوان بالكامل: ______________

____

وقودها. ثم ان تحويلها الآن الى سفينة مسلحة يحول دون تزودها بالوقود الا في المملكة المتحدة او في موانىء الامبراطورية او الموانىء التي في ايدي الدول الحليفة.

ولم تلبث ان بدأت روح التعاون تنمو بين الرجال على متن كارمانيا. وذلك يعود الى اسباب عدة، منها الروح القيادية والتقاليد العريقة والقضية المشتركة. لكن هناك عاملا واحدا جعل من كارمانيا نسيجا فريدا في البحرية البريطانية، وهو ان الضباط وافراد الطاقم على السواء كانوا يقتاتون مثل الديوك المقاتلة التي تغذى تأهبا للرهان عليها في حلبة الصراع.

كانت كارمانيا باخرة سياحية تتميز بالترف والاسراف، وكان ما تحمله من صنوف الطعام والخمور شيئا اسطوريا في ذلك الظرف. وفي خضم عملية تحويلها السريع الى سفينة حربية، لم يفطن احد لما تحفل به ثلاجاتها من افخر الاغذية او ما تضمه اقبيتها من اجود انواع النبيذ التي تركت على متنها من غير ان تمس. ثم لم يكن هناك متسع من الوقت لطلب المخصصات الغذائية العادية التي تزود بها الاميرالية قطعها البحرية. فما كان امام شركة كونارد الا ان تترك لكارمانيا المؤن نفسها التي درجت على تزويدها بها: احسن انواع سمك السلمون الاسكوتلندي، اجمل ضلوع لحم البقر، سمك دوفر سول الشهير، بيض، قشطة (كريم)، فواكه طازجة وكميات من الدجاج.

وذكر بار، بعد سنين من ذلك، ان شركة كونارد ارسلت، من دون شك، قائمة الحساب الى الاميرالية لتعويضها عن تلك الارزاق التي زودت بها السفينة، واضاف بار: انها لجريمة ان تهمل "ممتلكات البحرية". فقد كانت وجبتا الغذاء والعشاء في غرفة طعام الضباط سخية كل السخاء. وكان في استطاعة الضباط المناوبين ان يطلبوا كل ما تشتهيه انفسهم، فيقدم لهم على طبق من فضة يحمله خادم في سترة بيضاء. حتى ان الوقادين وعمال غرفة المحركات كان نصيب كل منهم نحو كيلوغرامين من شرائح اللحم التي كانوا يفضلون شيّها على رفوشهم بدلا من ان يصعدوا الى القاعة لتناول الطعام مع سائر البحارة.

وعلى اثر احد العشاءات الفاخرة مساء الاربعاء ١٩ اغسطس (آب)، قدم الى غرفة الضباط رجل الاشارة المناوب وفي يده رسالة بالرموز (الشيفرة). فما كان من غرانت الا ان دعا بار الى حجرته لمساعدته على فك رموزها. كانت الرسالة مقتضبة جافة: "غادروا منطقة الدورية حالا. سارعوا في الاتجاه نحو برمودا". وكانت تلك البرقية بداية تحركات متعددة ادت الى مجابهة كارمانيا مع كاب ترافلغار في قصة مثيرة.

عملية تنكر

كانت كاب ترافلغار سفينة حديثة العهد، ولم يكن من المحتمل ان يورد اي مرجع بحري رسما بينا لشكلها. وكانت، بمداخنها الثلاث الضخمة، تبدو كأنها احد الطرادات الالمانية او البريطانية الكبيرة التي يستطيع اي منها ازالة كاب ترافلغار عن سطح اليم عن بعد بضعة كيلومترات. فلم

يكن من المتوقع، اذاً، لاي طراد بريطاني او الماني، ان يجازف بالاقتراب منها للتأكد من هويتها. وهكذا، قرر لانغر هانس ان مهمته الاولى هي اجراء عملية تنكر لسفينته.

ولحسن الحظ، لم تكن اقرب المداخن الثلاث من مؤخرة السفينة متصلة بغرفة الغلايات، اذ كان الغرض منها تهوئة شرفات المسافرين والمطابخ وانطلاق البخار المستنفد من غرفة المحركات. فاذا ازيلت هذه المدخنة، اصبحت السفينة بمدخنتين فقط. وبقي السؤال: اي سفينة ركاب يجب ان تشبه؟ وسرعان ما امتدت يد لانغر هانس الى الانبوب الصوتي لينادي فيدرسن الذي كان متمددا في قمرته.

سأل لانغر هانس بطريقة غير مباشرة: "اذا ابلغك المراقبون عن وجود باخرة في الافق البعيد، لها مدخنتان وحمولتها ٢٠ الف طن، فأي باخرة يحتمل ان تكون تلك؟".

ورد فيدرسن على الفور: "لا بد من ان تكون باخرة ركاب بريطانية تابعة لشركة كونارد او لشركة يونيون كاسل. وربما كانت تلك الباخرة كارونيا او فرنكونيا او كارمانيا...".

ويبدو ان الاسم الاخير قد ضرب على وتر في ذهن لانغر هانس، فاخذ يفكر اين سمع هذا الاسم. وبدأ يستعرض الاحاديث التي جرت معه خلال الايام القليلة الماضية. نعم، لقد تجرأ الدكتور براونهولز (الطبيب البيطري) على مقارنة مطابخ كاب ترافلغار بمطابخ كارمانيا. وفي غضون بضع دقائق كان براونهولز منتصبا امام "رئيسه" الكابتن. فسأله لانغر هانس ماذا يعرف عن كارمانيا.

بدأ براونهولز يتبجَّح كعادته. وراح يقول بغير ترتيب: ان كارمانيا سفينة قذرة تحفل مطابخها بالصراصير، بل ان هذه الصراصير تفوق بحجمها الصراصير على اي باخرة اخرى تجتاز الاطلسي. وقال ان الطعام الذي تقدمه يقزز النفس، وان لعبة "البريدج" فيها ليست شريفة.

قاطعه لانغر هانس سائلا ما اذا كان يتذكر شكل كارمانيا. وكان جواب براونهولز ابلغ مما توقع لانغر هانس، فقد ابرز قصاصة جريدة تكاد تكون بالية وعليها صور الباخرة. فاكتفى لانغر هانس بنظرة واحدة الى الصور وقال لفيدرسن: "يجب ان يصبح شكل كاب ترافلغار هذه الليلة شبيها بشكل كارمانيا".

وكانت المشكلة الاولى ازالة المدخنة الاقرب الى مؤخر السفينة، والتي كانت مصنوعة من الحديد بسماكة ثمانية مليمترات وارتفاع ١٢ مترا فوق سطح السفينة. وكانت قاعدة المدخنة مثبتة بمجموعة من البراغي الثقيلة. واضافة الى ذلك، فقد شدّت اسلاك حديد الى طوق على مسافة ٣٠ سنتيمترا من قمة المدخنة. واستنبطت طريقة جديدة لفك المدخنة: تركت البراغي والطوق مكانها موقتا، واقيمت صقالة نقالة على الحبال، وبدأت عملية طويلة لقص المدخنة بالاوكسجين عموديا من فوق الى تحت. وكانت خطوط القص العمودي تبعد بعضها عن بعض حوالي

٣٠ سنتيمترا بحيث تتسنى ازالة الطوق في المساء، ثم شد "شرائح" المدخنة المقصوصة بواسطة بكرات جرارة، من فوق الى تحت، تماما كما يقشر الموز عند فتحه. ولئن لم تكن هذه الوسيلة هي المثلى لانجاز هذا العمل، الا انها، نظرا الى اهتزاز السفينة المنطلقة بأقصى سرعتها وسط البحر الهائج، بدت انها الطريقة العملية الوحيدة. وقد نجحت بالفعل.

وقد جرى طلاء المدخنتين الاخريين باللون الاحمر الذي يعلوه الاسود، وهما اللونان اللذان تستعملهما شركة كونارد في جميع سفنها. اما قوارب النجاة، التي كانت سوداء يعلوها اللون الابيض على متن كاب ترافلغار، فقد اعيد طلاؤها كلها باللون الابيض فقط، وفقا للاسلوب الذي تتبعه كونارد في هذا الشأن.

ولاحظ لانغر هانس من قصاصة براونهولز ان منصة القيادة في كارمانيا تمتد على عرض السفينة، بينما كانت منصة كاب ترافلغار اشبه بعلبة كبريت فوق الصالة الرئيسية، ولا تتجاوز ربع عرض السفينة. فاصدر لانغر هانس الامر بنقل كل اثاث الصالة الرئيسية وبوضع اطار خشبي خفيف وتثبيته بالبراغي الى جانبي المنصة الاصلية. وقرر لانغر هانس تغطية الاطار الخشبي بالقماش وطلاءه بحيث تبدو المنصة تماما مثل منصة كارمانيا. واوكل هذه المهمة الى المدير المسرحي لفرقة الاوبرا المتجولة التي لجأت الى سفينته.

وشرع المغنون والموسيقيون

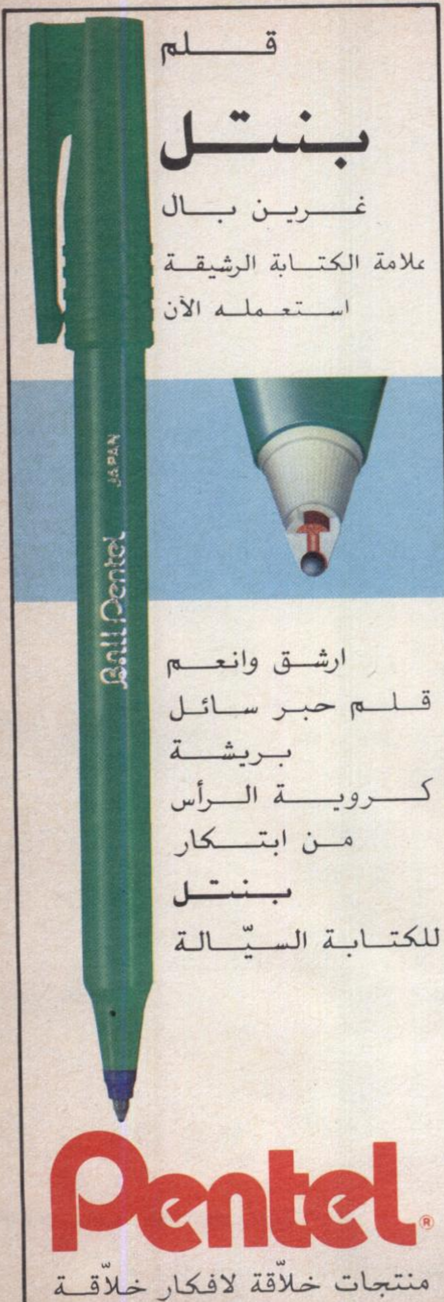

القبطان جوليوس ويرث.

والممثلون بالعمل بكل عزم وجد، بينما راح احدهم يعزف اعذب الالحان على البيانو ويتبعه شخص اخر بالغناء، وما هي الا دقائق حتى دوت السفينة كلها باصوات اعضاء فرقة الأوبرا الذين اخذوا ينشدون الاغنية تلو الاخرى ويرد عليهم آخرون خارج الصالة، وتتناقل الايدي فراشي الدهان على انغام الموسيقى. وكانت كاب ترافلغار كلما قطعت ميلا تغير مظهرها بشكل ملحوظ، فاصبحت الاغاني المدوية من افتك الاسلحة لديها وهي تمخر البحر في اتجاه الشرق.

وتم تركيب المنصة الوهمية وطلاؤها في اصيل اليوم السادس والعشرين من اغسطس (آب). فتوجه لانغر هانس الى مقدم السفينة لتفقد منصته الجديدة، فتعذر عليه، وهو في الخارج، معرفة اين ينتهي الحديد واين يبدأ القماش. واما من داخل المنصة فكان المظهر مختلفا تماما بما تخلله من المشاهد المصورة من اوبرا "زواج فيغارو" من ناحية ومنظر طريق تخترق غابة اشجار باسقة من الناحية الاخرى. اما المشاكل الباقية، فكانت ثانوية، كالاهتمام بتقليد الشعار الاحمر لبريطانيا العظمى وعلم شركة كونارد. وما ان تم ذلك حتى خيط الشعاران احدهما الى الآخر ووضعا على السارية استعدادا لرفع هذا العلم الجديد في احوال الطوارىء. لكن لانغر هانس تشاءم من ازالة اسم كاب ترافلغار المدهون على مقدم السفينة ومؤخرها، فأبقى عليه. وفي منتصف ليلة ٢٦ اغسطس (آب)، بلغت كاب ترافلغار خط الطول ٢٩ درجة و٣٠ دقيقة غربا، وغمر لانغر هانس شعور بالارتياح عندما استدار بسفينته شمالا قاصدا جزيرة ترينيداد التي اصبحت لا تبعد عنه سوى مسافة ٧٢٤ كيلومترا تقريبا. وقيل له انه ربما صادف في طريقه الى الجزيرة بعض وحدات من البحرية الالمانية التي كانت تنتظره.

تحركات مشؤومة حاسمة

في هذه الفترة وفي الاسابيع الثلاثة التي تلتها، وقعت سلسلة من الاحداث كان لها الاثر الحاسم على مصير كاب ترافلغار.

لدى اندلاع الحرب، كانت السفينة المدفعية الالمانية "ايبر"، بقيادة الكابتن جوليوس ويرث البالغ من العمر ٣٩ سنة، ازاء الساحل الافريقي. وكانت ايبر سفينة صغيرة، ضئيلة السلاح، بنيت خصوصا

لخفر ساحل جنوب غرب افريقيا الذي كان تابعا لالمانيا انذاك. لكنها في ١٣ اغسطس (آب)، تسلمت برقية تأمرها بالتوجه الى جزيرة ترينيداد "للالتقاء بوحدات اخرى".

وصل ويرث مساء ١٥ اغسطس (آب) باكرا. وبعد بضعة ايام انضمت اليه اربع حاملات فحم صغيرة. فملأ مخازنه بالفحم وبدأ دوريته الحذرة حول الجزيرة. وعند فجر ٢٠ اغسطس (آب) لمح عن بعد شبح سفينة حربية، وتنفس الصعداء عندما تبين انها الطراد الالماني دريسدن. ثم قيل له ان سفينة مسلحة تدعى كاب ترافلغار ستصل قريبا، وان عليه ان يتولى قيادتها.

وحدث في غضون ذلك ان اعترضت الاميرالية البريطانية برقية مرسلة الى برلين، لم تستطع الاميرالية فك رموزها. لكنها ادركت، من خلال اشارة النداء، انها صادرة عن الزورق الحربي ايبر الذي كانت تقدّر انه يعمل في محاذاة الشاطىء الافريقي. وقد عزز ذلك اعتقاد الاميرالية ان المانيا كانت تخطط لأمر رهيب على الخط التجاري منكيب تاون او في منطقة غرب افريقيا نفسها. وكانت مواجهة هذا التهديد تعني اضعاف الاسطول الذي يغطي جنوب الاطلسي الذي تجتازه خطوط تجارية تعتبر حيوية جدا بالنسبة الى بريطانيا. وهكذا تقرر ان تستأنف كارمانيا (التي وصلت لتوها الى برمودا) مسيرتها في اتجاه الجنوب على مسافة ١٦٠٩ كيلومترات اخرى الى جزر الهند الغربية لتعمل - خلافة لامنية ضباطها - كسفينة تموين.

وغادرت كارمانيا جزيرة برمودا في ٢٩ اغسطس (آب)، وبعد رحلة مملة، حطت مراسيها في جزر الهند الغربية في ٢ سبتمبر (ايلول). وجرى فورا تحميلها بما يلزمها من الفحم والمؤن التي امرت بتسليمها الى اسطول الاميرال السير كريستوفر كرادوك، المكلف تعقب السفن الالمانية التي قد تغير على السفن البريطانية بالقرب من الساحل الفنزويلي.

واستنتجت الاميرالية من الرسائل اللاسلكية المعترضة ومن السفن الالمانية التي شوهدت بالمكبرات من مسافات بعيدة، ان ثمة اسطولا المانيا مغيراً -يضم كاب ترافلغار والطرادين دريسدن وكرونبرنزويلهلم - يجمع شمله قرب جزيرة ترينيداد الصغيرة. وفكرت الاميرالية فيمن ترسله لاستجلاء الامر، فوقع الاختيار على كارمانيا التي تلقت التعليمات في الساعة العاشرة من صباح ١١ سبتمبر (ايلول) باستكشاف المياه المحيطة بجزيرة ترينيداد. فاذا وجدت اي سفن للعدو في المنطقة، كان عليها ان تنقل الخبر الى الطراد بريستول.

وكان لبرقية الاميرالية التي تضمنت هذه التعليمات لكارمانيا وقع الصاعقة على كل من غرانت وبار. وكان غرانت يعاني اخيرا اشتداد وطأة المرض عليه. والواقع ان خادمه وجد بياض سريره في الصباح ملوثا ببقع من الدم. ونتيجة لذلك، وبناء على اقتراح طبيب السفينة، بدأ غرانت يتمهل في الامور ويتجنب اجهاد نفسه الى اقصى المستطاع. ومع هذا، فما ان تم فك رموز برقية

الاميرالية حتى كان غرانت في غرفة الخرائط يتدارس الشؤون التكتيكية مع بار.

وسرعان ما اكبّ الرجلان على تدارس ميزات السفن: فالطراد دريسدن مخفوض البناء، معدّ للسرعة وللطواف على مسافات كبيرة، وله ثلاث مداخن، وتبلغ سرعته ٢٤ عقدة. والطراد كرونبرنز ولهلم مزود باربع مداخن، ويستطيع الاسراع بمقدار ٢٣ عقدة، بينما تبلغ سرعة السفينة كاب ترافلغار ١٨ عقدة، اي بزيادة عقدة واحدة على سرعة كارمانيا.

وجالت فكرة واحدة في خاطر الرجلين: اذا امكن حمل الألمان على الاعتقاد بان كارمانيا هي كاب ترافلغار، فانهم سيفسحون لها مجال الاقتراب حتى مرمى مدفعيتها. ولكن لم يفكر اي منهما في ما عساهما يفعلان لو كانت كاب ترافلغار راسية هناك.

وامضيا بقية اليوم في الاشراف على تركيب المدخنة الثالثة الوهمية. وكانت هذه المدخنة مجرد هيكل مصنوع من قماش المظلات التي كانت على سطح السفينة، وقد شدت الى اطار خشبي خفيف في شكل الرقم "٧"، مع توجيه زاويته الى الامام. فالمهم هو ان تبدو السفينة بثلاث مداخن. وتم تثبيت المدخنة الوهمية بالاسلاك خلف المدخنة الثانية التي اصبحت الآن المدخنة الوسطى.

مساء ذلك اليوم اقيمت حفلة عشاء لمناسبة عيد ميلاد غرانت، احرزت نجاحا منقطع النظير لكثرة ما قدم فيها من اطباق الطعام الشهي وانواع النبيذ الفاخر، وكأنها الحفلة التي اقامتها دوقة ريتشموند على شرف ولنغتون عشية معركة واترلو. واعقبت العشاء حفلة موسيقية احيتها فرقة السفينة، وتضوعت الصالة الرئيسية برائحة سيجار الهافانا الذي لم ينطفىء. واستمر شرب النبيذ "موتون روتشيلد" واجود اصناف الكونياك حتى اليوم التالي. وكانت لحظة "النجاح والاستحسان"، بالنسبة الى بار، عندما وقف واقترح ان يشرب الحاضرون نخب السيدات، ولا سيما السيدة غرانت. فعلت حمرة الخجل وجنتي غرانت وكأنه تلميذ مدرسة.

وحدث بعض المزاح البريء عندما فكر الرجلان في ارتداء الملابس التنكرية. ووقف طبيب السفينة واقترح ان يشرب نخب السفينة، وقال انه لا يعلم ما اذا كان يشرب نخب كارمانيا او نخب كاب ترافلغار. واكتفى بشرب نخب الدارعة "سيبارايت". وانتهت السهرة بان توالى كل منهم على انشاد اغنية من الاغاني الشائعة آنذاك، بينما اخذ الباقون يرددون اللازمات وكأنهم كورس محترف. واصبحت السفينة على مقربة من جزيرة ترينيداد القابعة على مسافة تقل عن ٩٠ كيلومترا الى الجنوب.

"لمسة نلسون"

في هذه الاثناء، خضعت كاب ترافلغار لتغيير مسرحيّ آخر. وبلغت جزيرة ترينيداد في ٢٨ اغسطس (آب) حيث القت مرساتها بعد الظهر. وفي ذلك الوقت كانت كارمانيا لا تزال في برمودا.

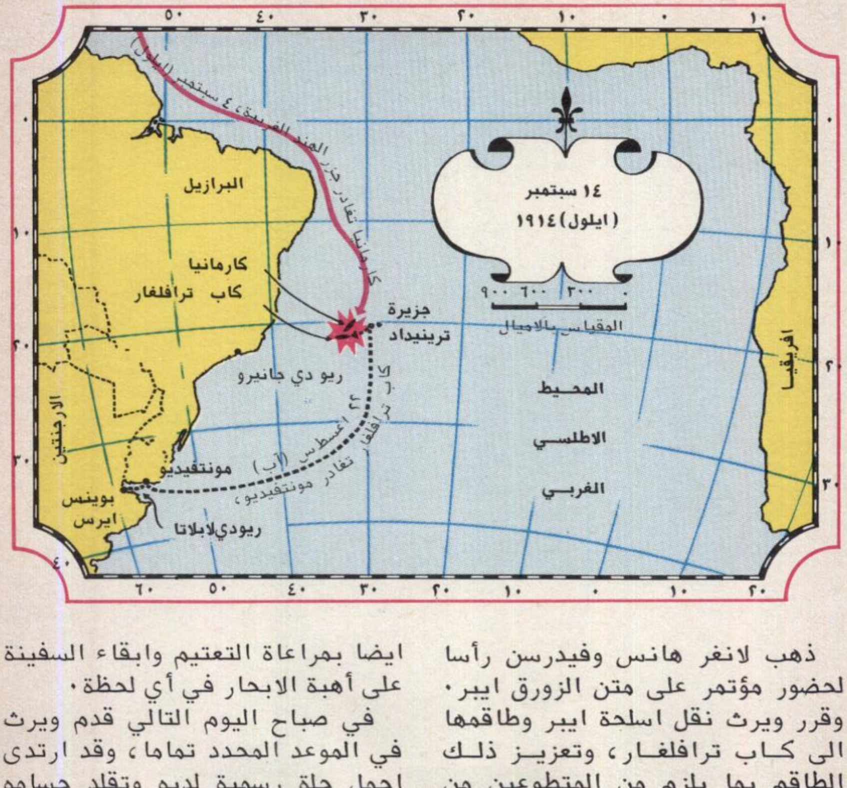

ذهب لانغر هانس وفيدرسن رأسا لحضور مؤتمر على متن الزورق ايبر. وقرر ويرث نقل اسلحة ايبر وطاقمها الى كاب ترافلغار، وتعزيز ذلك الطاقم بما يلزم من المتطوعين من كاب ترافلغار نفسها ومن ناقلات الفحم. وكان على علم تام بأن الاسلحة المتوافرة لديه لا تكفي، لكنه كان يأمل في أن يلتقي وحدات أخرى من البحرية الالمانية ويحصل منها على بعض المدافع.

وتولى أحد قوارب النجاة التابعة للكابتن ويرث اعادة ضباط كاب ترافلغار الى سفينتهم، واحاطهم علما بأن ويرث سيصعد الى متن تلك السفينة في تمام الثامنة من صباح اليوم التالي ليتولى قيادتها. وأمرهم ايضا بمراعاة التعتيم وابقاء السفينة على أهبة الابحار في أي لحظة.

في صباح اليوم التالي قدم ويرث في الموعد المحدد تماما، وقد ارتدى اجمل حلة رسمية لديه وتقلد حسامه وتزود بنسخة من دليل البحرية الالمانية الذي يحدد واجبات الضباط ومسؤولياتهم. وكان يتوقع ان يحييه الحارس عند سلم السفينة وأن يتسم استقباله بالمراسم البحرية المألوفة، وان يرافقه احد الضباط الى حجرة الربان. غير انه صعد السلم من دون أن يصادف احدا، ودخل الى الحديقة الشتوية حيث لم ير الا الدكتور براونهولز الذي كان مشغولا في اطعام الببغاوات، فحيَّاه هذا تحية "مدنية" وانصرف الى شأنه.

في تلك اللحظة دخل لانغر هانس الحديقة الشتوية، ومدّ يده الى ويرث مصافحا وقال: "يحلو لي أن اراك على متن هذه السفينة يا رفيقي العزيز. ضع ذلك السيف المخيف في مكان ما، وتعال لنتناول الفطور معا".

صعق ويرث بذلك الفطور المترف الذي اشتمل على الكعك المحلَّى والكلاوي وصنوف اللحم المقدّد والفاكهة الطازجة وبجانبها طاسات صغيرة لغسل اصابع الايدي مملوءة ماء يطفو على سطحه اجمل الزهر. وبدأت الشكوك تساور ويرث حول الحكمة من تحويل هذه السفينة الى طراد حربي.

كانت ايبر تحمل مدفعين من عيار ١٠٥ ملليمترات، مدى كل منهما ٦٥٠٠ مترا، اضافة الى ستة مدافع رشاشة ثقيلة. وكانت كاب ترافلغار قد جهِّزت بأربعة مرابض للمدفعية على سطحها، ولكن لم تكن هذه المرابض صالحة لاستقبال المدفعين من ايبر. لذلك كان لا بدّ، اولا، من حفر مجموعة جديدة من الثقوب لايواء البراغي عبر صفائح النحاس البالغة سماكتها ١٣ سنتيمترا. ثم كان لا بدّ من انجاز هذا العمل باليد.

وفي اثناء هذا العمل، قام آخرون بنقل المدافع الرشاشة الى متن السفينة، في حين جلس ويرث تحت مظلة السطح الامامي واخذ يرسم المخطط تلو الآخر بالنسبة الى مظهر السفينة من عل، ثم حاول ان يحسب زوايا اطلاق النار بطريقة لا تعوقها منشآت السفينة. وراقبه لانغر هانس قليلا ثم قال: "قد لا تصدق، ولكن ربما استطعت ان اساعدك، باعتبار اني اعرف الكثير عن نوع الاشتباك الذي اظن انك تخطط له".

وأدرك كلاهما انه، في حال الالتقاء بسفينة حربية معادية وتبادل النار معها، فستكون كاب ترافلغار في وضع يائس نظرا الى قصر مدى مدفعيها الصغيرين بالنسبة الى مدفعية العدو. اما اذا شاءت كاب ترافلغار استعمال مدافعها الرشاشة، فيجب ان تكون قريبة جدا من السفينة المعادية، مما يجعل مثل هذا الاقتراب ضربا من الانتحار ما لم يتسنَّى لها، بفضل رشاشاتها الكثيفة، ان تلزم رجال السفينة المعادية بخفض رؤوسهم الى ان يتم لكاب ترافلغار ان تقترب من حافة السفينة المعادية وينقضّ رجالها عليها على طريقة القراصنة.

وقال لانغر هانس: "انك تحتاج الى خطة خاصة بتبادل النار من مسافة قريبة ضد عدو ابطأ منك، كما انك تحتاج الى تعزيز "فرق الانزال" التي ستتولى الانقضاض على متن السفينة العدوة. اتراني مصيبا في استنتاجي هذا؟" فهز ويرث رأسه بالموافقة. عندئذ اقترح لانغر هانس ان يذهبا الى غرفة المكتبة. وهناك وقف لانغر هانس امام كتبه وقال لويرث بخيلاء: "كل شيء هنا. انا شخصيا من المعجبين بنلسون، وان ما تحتاج اليه في الواقع هو ما يسمى لمسة نلسون". وشرح له ان ذلك يعني اظهار البراعة في التصرف في اي موقف، وفي هذه الحال بالذات يعني اتباع تكتيك خاص يتيح الاقتراب من مقدم سفينة العدو اولا، مع الحرص ما أمكن على عدم تعريض جانب سفينتهما لنيران العدو قبل ان تقرب كاب ترافلغار الى مسافة تمكنها من الاستدارة بسرعة بحيث يصبح جانبها

فجأة ملامسا لجانب السفينة المعادية. وعندئذ يتسنى لفرق الانزال اعتلاء متنها.

أراد لانغر هانس الاسترسال في حديثه، لكن ويرث قاطعه قائلا ان ذلك ممكن عمله بسفينة سهلة المناورة مثل ايبر، وليس بسفينة في ضخامة ترافلغار. فالامر هنا يختلف كليا، اذ ستحتاج الى أكثر من ثلاثة كيلومترات لتتوقف والى قرابة كيلومترين لتستطيع الاستدارة وملامسة جانبها لجانب السفينة المعادية.

ورد لانغر هانس قائلا ان كاب ترافلغار مجهَّزة بثلاثة رفاصات توربينية يتسنى تشغيل كل منها على انفراد. واذا دار المحرّكان الاوسط والايمن بأقصى سرعتهما في اتجاه عكسي، فذلك يكفي لاستدارة السفينة بحيث يتجه مؤخرها نحو الميناء في وقت قصير نسبيا.

واقتنع ويرث بكلام لانغر هانس الذي اقترح عليه ان يتثبت من صحة اقواله باجراء تجربة عملية، خصوصا أن السفينة كانت على أهبة الابحار وفقا للتعليمات. وفي صباح اليوم التالي خرجت السفينتان ايبر وكاب ترافلغار الى عرض البحر. وقد حملت الساعات القليلة التالية الى ويرث درساً لن ينساه في الملاحة البحرية.

وجَّه لانغر هانس مقدّم كاب ترافلغار نحو ايبر وانطلق في اتجاهها. وربما تخيَّل، ولو للحظة قصيرة، كيف ان اعضاء مجلس ادارة كونارد ينظرون اليه فاغرين افواههم وهو يقوم بهذه الحركات البهلوانية. وما ان صار على قاب قوسين من ايبر حتى اصدر الامر بتشغيل المحركات

كل يوم
ولمدى العمر

ستدوم الهدية المختارة من أدوات «كروس» الكتابية مدى العمر. وبعد جيل من الآن ستبقى تبدو مميزة. كما ستقوم بالأداء الدقيق المماثل لدقة صانع الساعات.

بكل بساطة إن أدوات «كروس» الكتابية هي أفضل ما تستطيع النقود أن تبتاعه وهي مضمونة مدى العمر بدون شروط.

متوفرة لدى أكبر بائعي المجوهرات ومحلات القرطاسية في تشكيلة من الطلاءات بما فيها الكروم اللماع. الذهب لبروم. الفضة الأسترليني والذهب الخالص.

كروس» ماركة معروفة عالمياً بواسطة الرأس الأسود لمميز على الغطاء.

CROSS®
SINCE 1846

A.T.Cross Limited,
Ballinasloe, Galway. Republic of Ireland.

أُتحِف مائدتكِ بأواني
نوريتاكه
هذه الاواني الابيضه من الخزف الصيني الاصيل هي الاكثر مبيعا في العالم. وهي تتيح لك مجالا كبيرا للاختيار من مجموعتها الرائعة.
Noritake
NORITAKE CO., LIMITED
1-1, Noritake-shinmachi, Nishiku, Nagoya451, Japan
للمزيد من المعلومات عن نوريتاكه، يرجى الاتصال ب:
دبي : اشرف واخوانه هاتف ٢١٩٧٥
دبي : شركة المشاريع المتضامنة المحدودة « ٢٣٢٦٥
الدوحة: ستوديو ومحلات السلام « ٢٢٥٤٠
جدة : عبد الباسط باجنيد واولاده « ٣٤٨٤٤
الرياض: محلات المطرف للتجارة « ٢٨-٤٤
الخبر : شمس الدين اشرف ٤١١-٤
الكويت : اشرف وشركاه هاتف ٤١٢١٨٠
الكويت : محلات معتاصس « ٦١٠١٣٢
البحرين : اشرف واخوانه « ٥٣٤٥٧
البحرين : متجر المحمود « ٥٤٧٥٤
مسقط : كيمجي رامداس هاتف ٧٢٢٢٢٥
مسقط : شاه ناجارداس مكنجي « ٧٢٢٣٠١
بيروت : فونتانا « ٣٤١٧٥٨
عمّان : حنا زنانيري واولاده « ٢٣٢٢٢
طرابلس : محلات لبنه « ٤١٧٢٥
بنغازي : محمد محمد الكوافي واخوته « ٩٢٢٠٤
ابوظبي : ستوديو ومحلات السلام « ٤٤٦٤٣
ابوظبي : جنرال انتربرايزس كومباني « ٤٢٥٤٦
صنعاء: معرض بلقيس للأواني المنزليّة « ٥١٥٨

الثلاثة بالسرعة القصوى الى الوراء. ولم يلبث ان بدا كأنه على وشك الاصطدام بإيبر، فأومأ برأسه الى ويرث الذي سارع الى تحويل دفة السفينة الى الميمنة تحاشيا للاصطدام. واذا بجانب كاب ترافلغار يكاد يلامس جانب ايبر بسرعة تفوق ما تصوره ويرث.

أمضت السفينتان طوال ذلك اليوم تكرران تلك "اللعبة" الى أن اتقنتا التكتيك المنشود. وعند حلول الغسق أمر ويرث بالعودة الى الجزيرة حيث تم تركيب المدافع على متن كاب ترافلغار في مواضع تتيح لها تقديم افضل الدعم الممكن. وفي ٤ سبتمبر (ايلول)، خرج ويرث بكاب ترافلغار الى عرض البحر لتدريب فرق الانزال على الانقضاض. وبقي لانغر هانس في الجزيرة.

تزوّدت كاب ترافلغار بمجموعة كبيرة من الشباك المستعملة لرفع الامتعة من العنبر. وصنعت على عجل منصة خشبية غير مصقولة ركّزت فوق حدى هذه الشباك. وعند رفع المنصة مع الشبكة في الهواء، بدت كأنها شبكة للصيد. فتعلم فريق الانزال الاول كيف يتعلق بهذه الشبكة من الخارج. ووجد ويرث انه يستطيع رفع افراد الفريق من العنبر والميل بهم فوق جانب السفينة، ثم انزالهم على سطح السفينة المعادية في أقل من دقيقة واحدة.

وحرصا على سلامة فرق الانزال، أمر ويرث باحضار لفّة ضخمة من السجاد جرى تثبيتها من أحد طرفيها الى شرفة السفينة للتمكن من قذفها بالطرف الآخر الى سطح السفينة المعادية فينزلق عليها افراد فرق الانزال عند انقضاضهم على هذه السفينة. وقد اعجب هذا الابتكار معظم البحارة، وحقّق لفيدرسن وفريق السجادة لقب "علي بابا والاربعون حراميا".

وعلى أثر هذه التدريبات الشاقة، استدار ويرث بالسفينة عائدا الى الجزيرة. وشوهدت ترينيداد عند ظهر ١٣ سبتمبر (ايلول).

سلاح غير عادي

راقب الكابتن لانغر هانس، بشعور من الغبطة المشوبة ببعض وجل، السفينة كاب ترافلغار وهي تقلع للقيام بدوريّتها.

وكان لانغر هانس قد ابدى ملاحظة بأن وجوده على متن السفينة الى جانب رجل يصغره سنا ربما أدى الى عرقلة اسلوب ويرث في تصريف الامور. فأصدر ويرث امراً بتعيين لانغر هانس مسؤولا عن سائر السفن المدنية وعن المنشآت البحرية الصغيرة في الجزيرة. ولكن بعد ان خرجت كاب ترافلغار الى عرض البحر واقفر المرفأ الصغير، قرّ رأي لانغر هانس على القيام بجولة استكشافية. وحمل بندقيته وركب قاربا صغيرا وأخذ يجذف بنفسه نحو الشاطىء.

ولاحظ ان هناك بقايا رصيف بحري مع مبنى حجري متداع عند أحد طرفيه، وان الدخان يتصاعد من المبنى. فدخله ووجد فيه الطبيب البيطري الدكتور براونهولز الذي كبرت مسؤولياته لتشمل الحيوانات على متن السفن الاخرى. واستفسر لانغر هانس عن الحيوانين اللذين اصطحبهما، فوجدهما مزدهرين، وقد اطلق عليهما براونهولز اسمي نلسون وايما، تيمنا باسمي الاميرال

وخليلته. وبدت ايما على وشك ان تضيف مخلوقا جديدا الى سكان الجزيرة في أي لحظة.

بعد تناوله طعام الغذاء مع الطبيب البيطري، توجَّه لانغر هانس الى أعلى نقطة في الجزيرة حيث أقام ويرث مركزا للمراقبة. واستغرق وصوله الى تلك النقطة المرتفعة بعض الوقت، لان الطريق البرية المؤدية اليها كانت تكسوها الاعشاب الكثيفة في بضعة اماكن. وكان المنظر رائعا حقا من تلك القمة. وقدّر لانغر هانس ان الهضبة تعلو نحو ١٥٠ مترا فوق سطح البحر، وانها تتيح للناظر رؤية واضحة الى مسافة لا تقل عن ٤٠ كيلومترا. ووجد الرجال في مواقع المراقبة يستريحون بين بقايا تحصينات حجرية قديمة ربما اقامها الاسبان، وهم أول القادمين الى هذه الجزيرة التي اتخذوا منها ملجأ عمليا تتوافر فيه مياه الشرب.

كانت هناك طريق أخرى للنزول من القمة، سار عليها لانغر هانس ووجد انها تؤدي الى مكان سرعان ما أدرك انه كوة فوهة مدفع هاون قديم مصنوع من النحاس، وهو من النوع الذي كان يستعمل لعمليات الحصار. وكان المدفع كامنا خلف متراس منخفض يشرف على مياه المحيط.

كان قطر الفوهة نحو نصف متر، ولا يتجاوز طول ماسورة المدفع القزم مترا واحدا. وكان عند قاعدة الماسورة من الداخل تجويف خاص لحشوة البارود ينفذ عبره ثقب الى أعلى لاشعال البارود من خلاله. وقد استعمل نلسون هذا النوع من المدافع، كما تعرّض لنيران امثالها، في جزيرة كورسيكا.

أخذ لانغر هانس يتخيل الاثر الذي تحدثه قذيفة من هذا المدفع قدر وزنها بعشرين كيلوغراما، اذا سقطت على سطح سفينة معادية. وقدّرت سرعة انطلاق هذه القذيفة بـ٢٢٥ كيلومترا في الساعة. وربما ادى هبوطها على سطح السفينة الى اختراقه الى اسفل. وعندما عاد لانغر هانس الى "ايلينور وورمان"، ناقلة الفحم التي اتخذ منها الان مقرا له، كانت خطة الافادة من هذا المدفع قد ارتسمت ملامحها في ذهنه.

كان لكاب ترافلغار ممر جانبي مجهَّز بباب تحت منصة القيادة بحيث يتاح للركاب الصاعدين الى متنها ان يدخلوا رأسا الى الشرفة "ب". فكر لانغر هانس في تركيز مدفع الهاون في هذا الممر الذي، اذا فتح بابه، يبدو كأنه نافذة يطل منها المدفع ايذانا ببدء اطلاق النار على العدو. واذا لقم المدفع بقذيفة محشوة بقطع من الفحم المشبع بالزيت، استطاعت هذه القذيفة ان تفجّر وابلا من حمم الفحم في جميع الاتجاهات فوق سطح السفينة التي تنزل عليها، فتحدث الحرائق وتثير ستارا من الدخان وتشيع الارتباك والحيرة، وبالتالي تساعد فرق الانزال في مهمتها. فراقت لانغر هانس هذه الافكار وأثملته.

وتبين ان اعداد هذه الخطة كان اسهل مما يتصوره العقل. ذلك ان احدى ناقلات الفحم كانت مزودة على جانبيها بعدد من اطارات المطاط القديمة تجنبا لتأذي معدنها عند شحن الحمولة او افراغها. فجلب لانغر هانس بعض هذه الاطارات وأقحم فيها ماسورة المدفع في شكل دولاب،

تسنَّت معه "دحرجة" المدفع الى رصيف الميناء، وأمكن بالتالي نقله الى ايلينور وورمان ورفعه الى أعلى مقدّم المركب. ولم يكن في نية لانغر هانس ان يستعمل المدفع في هذا الوضع الذي لم يختره الا لانه الجزء الاعلى من السفينة الذي يسهل نقل المدفع منه الى متن كاب ترافلغار لدى عودتها.

وعندما وصلت اشارة من الكابتن ويرث الى ان كاب ترافلغار هي الان في طريق عودتها، كان قد تم تركيب مدفع الهاون على منصة متينة مصنوعة من الحديد المستعمل لربط خطوط السكك الحديد وظهرت الى جانبه مجموعة من "القذائف" المملؤة بأجود انواع فحم مقاطعة ويلز المنقوع بالزيت.

لقاء العملاقين

شعر الكابتن ويرث بأن البريطانيين اصبحوا قريبين، وكان يأمل في اخلاء الجزيرة بأسرع وقت ممكن. وبينما كان يتزود بالفحم شاء ان تتخذ ايلينور وورمان موقعا الى الجنوب الغربي لاستكشاف اي حركة قد تلوح في الافق. والواقع ان غرانت كان يقترب من الشمال لتصبح الجزيرة حاجزا بينه وبين المرسى الى الجنوب الغربي.

ولما اجتمع ويرث على متن كاب ترافلغار بالكابتن العجوز لانغر هانس، اعرب له عن شكره عندما علم بمدفعه. لكنه اقترح عليه بكل لطف، مع تحاشي الاساءة الى شعوره، ان يبقي المدفع في الوقت الحاضر في مكانه على متن ايلينور وورمان حيث يمكن استعماله عند الضرورة لاعطاء الاشارة. وبعد انتهاء الاجتماع ودع ويرث صديقه العجوز بحرارة، وعاد لانغر هانس بقارب صغير الى ايلينور وورمان. وما ان بلغها حتى طلب من بحارة القارب الانتظار قليلا. ولم يلبث ان جاءهم بكتاب طلب تسليمه الى ويرث. كان هذا الكتاب المجلد الثاني من سيرة نلسون بقلم ساوثلي. ووضع لانغر هانس اشارة على فقرة من تعليمات نلسون الاخيرة قبيل معركة الطرف الاغر، جاء فيها: "لا يخطىء الكابتن اذا وضع سفينته الى جانب سفينة العدو".

في حدود الساعة ١١ من صباح ١٤ سبتمبر (ايلول)، وفي اثناء عملية تزويد كاب ترافلغار بالفحم، شاهد ويرث سفينة غريبة تقترب من الشمال، فسارع مع فيدرسن الى الصعود الى قمة منصة القيادة لمحاولة التعرف على هوية السفينة المتطفلة. وظن فيدرسن انها احدى سفنهم لشبهها الكبير بالسفينة الشقيقة "كاب فينيستير". ورفع ويرث مرساة السفينة استعدادا للابحار، وامر رجل الاشارة ان يطلب من الزائر الغريب الاعلان عن هويته.

اما غرانت فقد القى نظرة فاحصة على كاب ترافلغار التي ظهر هيكلها بأبراجه ومنشآته الضخمة. وقال لبار متسائلا: "يا الهي! اي سفينة هذه؟" فرد بار: "يتبين من مدخنتيها انها - من دون شك - احدى سفننا او احدى سفن خطوط يونيون كاسل".

وأخذت "الطريدة" الان تتحرك جنوبا. ورفع غرانت رايته ليعلن عن هوية سفينته. كانت احدى السفينتين تبعد عن الاخرى زهاء ١٥ كيلومترا وتتجهان كلاهما جنوبا. ولكن ما أن اتضح شعار راية كارمانيا

تلفزيون فيليبس - شاشة كبيرة
وألوان طبيعيّة نابضة بالحياة
PAL/SECAM
ألوان طبيعية تنبض بالحياة. ووضوح لا يضاهى - يرجع الفضل فيها الى أساليب «هايبراي» الجديدة - وصوت واضح لا تشويه فيه. تلك هي المزايا الأساسية في كل جهاز تلفزيون فيليبس. بالاضافة الى ميزة المتانة الكبيرة. وهنالك أداة فوق صوتية للتحكّم عن بعد لا تحتاج الى سلك كهربائي. ولكنها تمكنك من تغيير القنوات وتعديل ضبط المفاتيح وأنت جالس في مقعدك. وإذا وصلت جهاز التلفزيون بمسجلة كاسيت فيديو من صنع فيليبس فانك تستطيع أن تعيد عرض أي برنامج تلفزيوني في أي وقت (تصل مدة الكاسيت الى ١٣٠ دقيقة) وتستطيع أن تشاهد برنامجاً على قناة وتسجل في الوقت ذاته برنامجاً آخر من قناة أخرى. بل انك تستطيع أن تسجل برنامجك الذي تريد وأنت خارج المنزل. إن هذه المنتجات بما تتحلّى به من أساليب اتصال معقّدة وشكل حديث أنيق. إنما جاءت نتيجة سنوات طويلة من الأبحاث التي تستند إلى امكانات عالمية هائلة. فلماذا لا تكون واحداً من الملايين الذين يضعون ثقتهم في فيليبس ؟ اطلب عرضاً لتلفزيون فيليبس اليوم. فهناك أجهزة صنعت خصيصاً للبلاد الحارة المناخ وتعمل بنظامي پال و پال / سيكام.
PHILIPS
فيليبس الأفضل لكم دوماً

وهي ترفرف على رأس الصاري حتى أمر ويرث بالاستدارة ١٨٠ درجة في اتجاه العدو. وبينما اخذت المسافة تضيق بين السفينتين، أمر غرانت باطلاق قذيفة نحو مقدم كاب ترافلغار. وسقطت القذيفة امامها، وارتفع عمود من الماء اثر انفجارها. فأمر ويرث على الفور برفع راية سفينته والرد على هذه "التحية" بأحسن منها.

اعطي الامر لرجال المدفعية الالمان بالتركيز على منصة قيادة كارمانيا وعلى ما ارتفع من منشآتها فوق هيكلها الرئيسي. وكان الغرض من ذلك الاستيلاء عليها وليس اغراقها. مرت الطلقة الاولى من فوق السفينة، واصابت الطلقة الثانية حبل الراية ودمرت صاري الجهاز اللاسلكي. اما الطلقة الثالثة فقتلت معظم طاقم أحد مدافعها.

في مقابل ذلك، انفجرت قنبلتان من كارمانيا في "الحديقة الشتوية"، وتطايرت الشظايا في جميع الاتجاهات محدثة الحرائق الصغيرة هنا وهناك. كان ويرث يظن انه يستطيع استعمال مدافعه الرشاشة في دقيقتين. واذا بشظية تنزل وراءه وتردي رجل الدفة قتيلا. وانحرفت كاب ترافلغار فجأة الى جانبها الايسر، فقفز ويرث الى دفة القيادة ليعيد سفينته الى خطها الهجومي.

وسرعان ما شبّ الحريق في المنصة الزائفة التي أقيمت على كاب ترافلغار. وساهم البخار والدخان مع ألسنة اللهب المتصاعدة من المنصة الزائفة في حجب الرؤية عن كارمانيا. وعلى أي حال، فقد اتاح انحرافها الموقت للمدفع المثبت في مؤخرها ان يسجل اصابة مباشرة في منصة قيادة كارمانيا.

وجد ويرث انه صار الان على مسافة ستة كيلومترات من العدو، فقرر ان الوقت حان للاطباق عليه حسب التدريبات الشاقة التي سبق أن اجراها مع لانغر هانس. فأمر رماة المدافع الرشاشة بفتح النار. وهنا صاح غرانت لرفيقه بار: "هل تعلم؟ اظن ان هؤلاء المعتوهين يحاولون وضع سفينتهم في محاذاة سفينتنا".

وازاء وابل الرصاص المنهمر، قرر غرانت الابتعاد عن مرمى الرشاشات. فاستدارت كارمانيا الى جانبها الايمن، ولكن بعد ان اصدر لوكيير امره لمدفعيتها بتصويب قذائفها على ذلك الخط من جسم كاب ترافلغار الذي يلامس مياه البحر.

اصابت الدفعة الاولى من القذائف الجانب الايمن من كاب ترافلغار، واخترقت احداها هيكل السفينة عبر أحد الحواجز المائية، فتدفقت المياه الى واحد من العنابر. واستقرت قذيفة ثانية في مكان آخر من السفينة، فاندفعت المياه الى غرفة المحركات. واصابت قذيفة ثالثة مخزن الوقود الاحتياطي فاحدثت فيه اضرارا بالغة. وسارع المهندس الرابع، كارل ريك، الى اتخاذ الاجراءات الطارئة وجعل المياه تتدفق الى جانب السفينة الايسر في محاولة لرفع جانبها الايمن. وكان ويرث يريد متابعة هجومه، الا ان تدفق المياه من الجانب الايمن لسفينته حمله على العدول.

واخذت السفينتان تفترقان. واطلقت كاب ترافلغار قذائفها على كارمانيا قبل ان تبتعد عن مرمى

رحلات كاثي باسفيك إلى الشرق الأقصى

رحلات من القلب إلى القلب، لأكثر مناطق آسيا سحراً وروعة

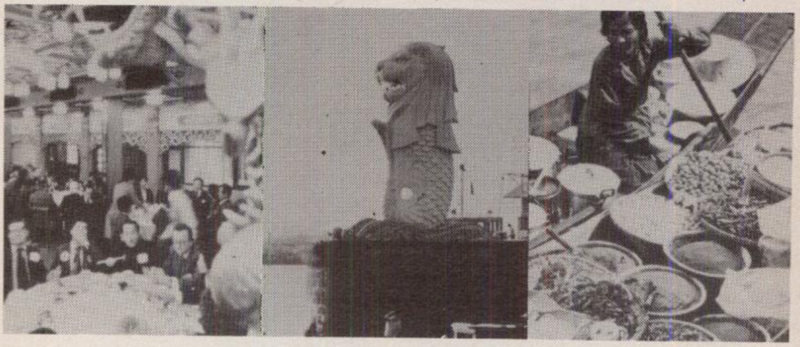

CX53

بانكوك/سنغافورة/هونغ كونغ

٩٤٥ دولار أمريكي

١٤ يوماً و١٣ ليلة .. رحلة اسبوعين من اللهو والمرح في ثلاث مدن آسيوية مشهورة .. للتسوق والسياحة والليالي الساهرة ..

بانكوك/بتايا

٦٤٠ دولار أمريكي

٧ أيام و٦ ليالي بين روعة وهيبة معابد بانكوك المشهورة .. وسوقها الاسطوري العائم .. وهدوء الطبيعة الساحرة في مصيف بتايا، أشهر مصايف تايلاند الساحلية ..

بانكوك/مانيلا/هونغ كونغ

٩٥٠ دولار أمريكي

١٤ يوماً و١٣ ليلة .. إن بانكوك وهونغ كونغ مكانان لابد لكل سائح من زيارتهما إلا أن هذه الرحلة تشمل أيضاً مباهج مانيلا حيث يجد الزائر متعة في شراء الهدايا بالثمن الذي يناسبه، وحيث يستقبله الناس بكل بشاشة ومودة كما أن الانطلاق منها في جولات خلوية في الارياف يزيد من قيمة وروعة هذه الرحلة.

ستجد وأنت على متن طائراتنا في كل هذه الرحلات كل ترحيب وعناية وستحيطك مضيفاتنا المتعددات الجنسية واللواتي يأتين من ٩ أقطار مختلفة، بكل رعاية، وبخدمة لايقدمها غيرهن.

من صميم آسيا.

Hong Kong's discovery airline
CATHAY PACIFIC
The Swire Group

DISCOVERY TOURS

يمكنكم مراجعة الاسعار والحصول على كتيب الرحلات من اقرب مكتب لشركة طيران كاثي باسفيك

البحرين ٢٥٨٨٥٠ - الخبر ٨٦٤٢٧٢٧ - جدة ٤٦٢٢٥ - الرياض ٤٦٤٥٦٦١ / ٤٦٥٠٤١٢ - الكويت ٤٣٢١٠٦ - الدوحة ٣٢٠١٨٢ - ابوظبي ٣٣٣٢١٠ - دبي ٢٢٤١٥٦ - مسقط ٧٠٢٩٥٢ - بيروت ٣٥١٢٠٠ - دمشق ٢٢٨١٥٥ - عمان ٢٤٣٦٣ - القاهرة ٤٣٣٣٦

مدفعيتها، فاخترقت احدى القذائف غرفتين على سطحها واندلعت فيهما النيران. وطلب غرانت الى بار ان يتولى الاشراف على اخماد الحريق الذي سرعان ما انتشر الى منصة القيادة. واضطر غرانت الى الانتقال الى مركز قيادة آخر اقامه بار في مؤخر السفينة لتسهيل عملية رسوها. وكانت شبكة المواصلات قد دمرت في الدقائق الاولى من الاشتباك. ولم يبق امام غرانت الا الاعتماد على فريق من الرجال المتمركزين عند فتحات السفينة ليتناقلوا اوامره بصفاراتهم

سمع لانغر هانس دويّ القذيفة الاولى التي اطلقتها كارمانيا وهو على متن ايلينور وورمان، وتابع سير المعركة في الافق البعيد امامه. وكان مدفع الهاون لا يزال مثبتا على السطح الاعلى من سفينته الصغيرة وعلى أهبة الاستعمال بالطريقة التي ابتكرها. فتبادل النظرات مع ربان الباخرة ثم التقط خرطوم الصوت النحاسي.

تلمس لانغر هانس جيبه باحثا عن علبة لفائف السيجار، فوجد انه لم يبق فيها سوى ثلاثة. فقرر ان يحتفظ بواحدة منها لتدخينها لدى اقدامه على تنفيذ المخطط الذي رسمه لنفسه. ثم اشعل السيجارين الآخرين، فقدم واحدا الى ربان السفينة ووضع الآخر بين شفتيه وهو يتجه نحو سحب الدخان التي انطلقت من الباخرتين المحترقتين.

الوداع الاخير

كانت خراطيم المياه على السطح الاسفل من كارمانيا مليئة بالثقوب لكثرة ما اصابها من الشظايا. وقد حاول بار اخماد النار باغلاق جميع منافذ الهواء اليها ورشها بالمواد الكيمائية المخصصة لهذا الغرض وبما امكن من الماء. وكان على وشك اخمادها عندما اضطرمت النيران من جديد على حين غرة. فنسب ذلك الى أحد امرين: اما ان يكون اتجاه الريح قد تغير واما ان تكون كارمانيا غيرت اتجاهها. وسارع الى سطح السفينة لاستطلاع حقيقة الامر.

بعد ان سد بار منافذ الهواء تحت السطح، ظن غرانت انه سيطر على النار، فحاول تجديد هجومه. وصاح بار في وجهه: "ما هذا الذي تفعله؟" وردّ عليه غرانت مشيرا بيده الى ناقلة الفحم: "اريد القضاء على تلك السفينة". في تلك اللحظة كانت ايلينور وورمان تحشرج بمحركها وتتهادى رابطة الجأش بين السفينتين العملاقتين، بينما وقف الكابتن العجوز لانغر هانس على السلم القائم بين ظهر السفينة وسطحها الامامي وقد احكم في فمه سيجاره الاخير، وثبّت احدى يديه على الشرفة بينما أمسك باليد الاخرى الفتيل المتدلي من مدفعه. ومج نفسا قويا من الدخان تطاير في الفضاء، وراح يراقب من خلال ضبابه وجهة الريح. وبعدما اطمأن الى الوضع، اشعل الفتيل بنار سيجاره. وفجأة لمع وميض خاطف كالبرق اعقبه دويّ انفجار كبير. واذا بسحابة من الدخان الاسود الكثيف تنطلق من فوهة المدفع العتيق لتحجب كاب ترافلغار، ولو موقتا، عن مدافع كارمانيا الفتاكة. ثم ركّز لانغر هانس سيجاره مطمئنا في شريط قبعته وراح يحشو المدفع من جديد.

كان ويرث لا يزال ممسكا بدفته. لكن كاب ترافلغار بدت كأنها تسمرت مكانها. فقال له فيدرسن انه لا يستطيع السيطرة على تدفق المياه. وما ان سأله ويرث عن حال اخماد الحرائق حتى انفجرت قذيفة بين فرق الاطفاء، فصرعت اطفائيا وأصابت اثنين آخرين بجراح خطرة.

وركع ويرث الى جانبهم واخذ يردد بصوت خفيض عبارات المؤاساة. واذا بقذيفة اخرى تنفجر قريبا منه فتدفعه بعنف الى الوراء. وحاول فيدرسن ان يسمك به، لكنه رأى قطعة مسننة من اطار المنصة منغرسة تحت ابطه. ولم يجرؤ على انتزاعها لان الجرح كان ينزف بغزارة. واستجمع ويرث ما تبقى من قواه وأمر فيدرسن بمغادرة السفينة مع رجاله. وسرعان ما اخذت كاب ترافلغار تميل بشدة الى ان اصبح معظم جانبها الايمن تحت الماء. وعند ذلك انطلقت ايلينور وورمان بسرعة واهتياج، كالدجاجة التي تحن على فراخها، ووقفت بين كارمانيا والسفينة التي كانت تعاني سكرات الموت.

وأخذ بار يراقب عن سطح السفينة البريطانية تحركات ناقلة الفحم ويتتبعها بدقة، من دون ان يدري ان فريق الاطفاء قد لحق به واصبح الى جانبه. وتملكت غرانت فكرة القضاء على السفينة الصغيرة. لكن بار صاح به، متجاهلا ما تفرضه عليه رتبته من الاحترام لغرانت، وحذّره بانه "سيكون الخاسر هذه المرة اذا لم يبتعد".

وخيم الوجوم على بحارة كارمانيا، واخذوا ينظرون تارة الى بار وطورا الى غرانت، بينما ينتظر رجال المدفعية تعليماتهم. وادرك الجميع ان جل ما يبتغيه بار هو سلامة سفينته بعد هذه المعركة. فقد اتضح الان ان كاب ترافلغار انتهى امرها، وان ايلينور وورمان اخذت تقوم بمهمة انسانية لانقاذ الرجال من الغرق، وان استمرار تحرك كارمانيا وسط الرياح من شأنه ان يحيلها رمادا.

واصدر غرانت أمره بكل هدوء بأن ينصرف "المتفرجون" الى أعمالهم. ثم تقدم نحو بار وقال له: "هيا بنا الان نخمد الحريق". وانسحبت كارمانيا مبتعدة عن موقع المعركة.

لا أحد يعلم من بدأ الغناء: ربما كان احد اعضاء فرقة الاوبرا في أحد قوارب النجاة التي انزلت الى البحر من كاب ترافلغار. وذكر فيدرسن انه سمع صوتا صادحا عبر المحيط يردد المقطع الاول من نشيد علم البحرية الالمانية. وتبعه صوت ثم آخر. وسرعان ما انضم اليهم طاقم ايلينور وورمان. وما هي الا لحظات حتى كانت هناك ٣٠٠ حنجرة تشق عنان السماء بألحان ذلك النشيد الحماسي. وكتب لانغر هانس في مفكرته: "لم يكن مبعث النشيد الشعور بالاعتزاز والفخر او الانفراج من كرب المعركة، وانما كان وداعا للكابتن ويرث وسفينته".

بدأت كاب ترافلغار تستعيد توازنها وهي نصف غرقى، وكأنها شاءت الاستجابة لاصوات الكورس، تماما كما يصحو المحتضر على فراش الموت. وظهر ويرث كالتمثال متكئا على دفة القيادة عند حطام منصته. ولم يلبث مؤخرها ان راح يرتفع عاليا

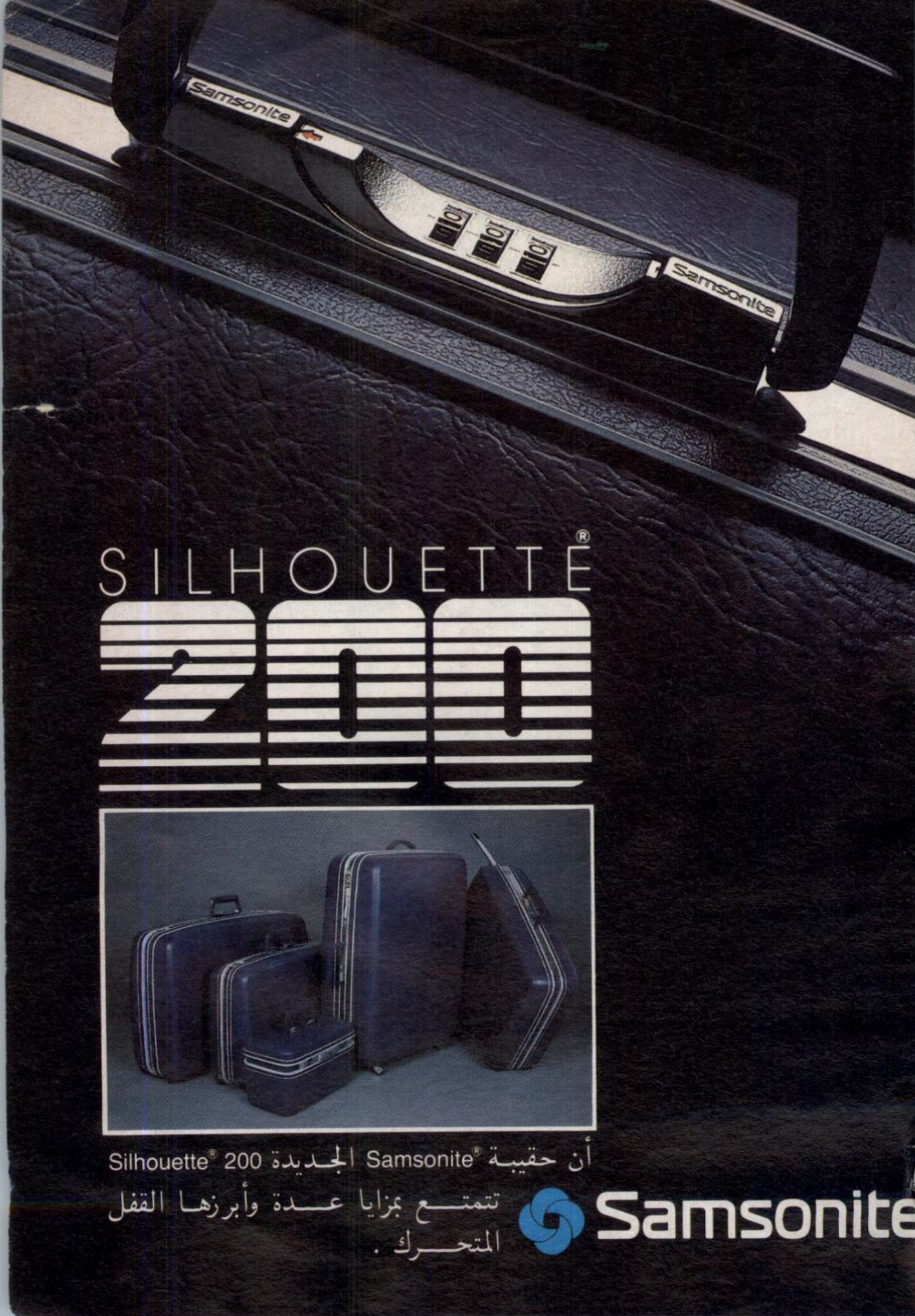
Samsonite
Samsonite
SILHOUETTE®
200
أن حقيبة ®Samsonite الجديدة ®Silhouette 200
تتمتع بمزايا عدة وأبرزها القفل المتحرك .
Samsonite

في الهواء لتغوص بهدوء في الاعماق وتتوارى عن الانظار.

حبس لانغر هانس العبرات في مقلتيه. وكم تمنى في تلك اللحظة لو وجد سيجارا واحدا في العلبة الفارغة في جيبه. ولم يخمد حسرته منظر كارمانيا تلتهمها النيران. والقى نظرة الى مدفع الهاون الذي كان الدخان لا يزال ينبعث من فوهته، واستدعى ستة بحارة ليساعدوه على تنفيذ ما اعتزمه. فشمروا عن سواعدهم وبذلوا الجهد الجهيد لزحزحة المدفع وتسديد قاعدته نحو البحر، وقذفوه الى البحر ليستقر في القاع الى جانب كاب ترافلغار. وعند ذلك تفجرت دموع لانغر هانس وراح يجهش كالطفل. ثم اجاز لقبطان ناقلة الفحم ان يساعده على النزول الى حجرته.

خاتمة

تقدمت ايلينور وورمان للبحث عن الباقين على قيد الحياة من كاب ترافلغار، فوجدت فيدرسن وانتشلته. كما انتشلت جثة الكابتن يوليوس ويرث مع ١٥ جثة أخرى للذين قتلوا او غرقوا مع السفينة. وفي ١٥ سبتمبر (ايلول)، ووريت الجثث مثواها الاخير في البحر حسب التقاليد البحرية.

اما كارمانيا فقد نقلت خبرا عن اشتباكها مع "طراد مساعد" للعدو ومزوّد بسلاح ثقيل، وافادت بانها اغرقته بعد معركة قصيرة حامية. لكنها بقيت جاهلة حقيقة هوية كاب ترافلغار الى ان وصلت ايلينور وورمان الى ميناء بوينس ايرس وعلى متنها البحارة الناجون. ولم تصدق السلطات في الارجنتين والاوروغواي ان كاب ترافلغار كانت تحمل مدفعي ايبر وستة مدافع رشاشة فحسب. وقدرت ان لانغر هانس خدعها عندما اخبر مفتشي الميناء في البلدين ان سفينته كانت خلوا من السلاح. وجرت محاكمته في مونتفيديو حيث برئت ساحته. ثم احتجز في الارجنتين مع بعض رفقائه الالمان حتى نهاية الحرب. ولم يعلم شيء عن تاريخ وفاته أو مكانها.

اما الدكتور براونهولز، الطبيب البيطري الذي رفض التخلي عن حيوانيه ايما ونلسون لدى ابحار السفن، فقد اقام في جزيرة ترينيداد وعاش خليّ البال في عزلته التي استمرت حتى ١٥ فبراير (شباط) ١٩١٥ عندما التقطه الطراد الالماني "برنز ايتيل فريدريك" الذي طلب اللجوء لاحقا الى الولايات المتحدة. وقد رخص حينذاك لبراونهولز، بصفته مدنيا، أن ينزل الى اليابسة حيث كتب وصفا مسهبا لمغامراته نشرته صحيفة المانية.

بلغ عدد ضحايا كارمانيا تسعة قتلى و٢٦ جريحا. وبعد اجراء عمليات الاصلاح اللازمة لها، ارسلت الى جبل طارق واوكلت اليها اعمال الدورية قبالة لشبونة، العاصمة البرتغالية. وبعد الحرب اعيد تجهيزها كسفينة ركاب، فخدمت بنجاح على خطوط الاطلسي الى ان تقرر "تقاعدها" عام ١٩٣١.

واستمر الكابتن غرانت في الخدمة كقائد لمدة قصيرة. لكن كثرة لجوئه الى المستشفيات أدت، عام ١٩١٦، الى اعلان عدم اهليته الصحية للعمل في البحر. وكلف مهام أخرى في البر، وتمت ترقيته الى رتبة نائب عميد بحري.

جواهر خاصة جداً من « اوميغا »
OMEGA
automatic
DE VILLE
الساعة : BA 451.0010.Ø1.DEØ (١٦ حجر من الماس/ ٠,٥٢ قيراط) الأزرار : BA 091.130
(١٦ حجر من الماس/ ٠,٣٢ قيراط) الخاتم : BA 091.95.231 (٨ احجار من الماس/ ٢٠ قيراط)...
Ω
OMEGA
اشتروا من وكيل اوميغا المعتمد فقط واسالوا عن كفالتنا الدولية...